المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية بالرياض
قسم البلاغة و النقد و منهج الأدب الإسلامي

صيغ مادة (أمر) و دلالاتها في النظم القرآني

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في البلاغة

إعداد

حصة بنت سعود بن عبدالله الهزاني

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود موسى حمدان

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

العام الجامعي ١٤٣٠هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الرحيم الرحمن ، منزل القرآن ، في أعلى منزلة وأروع بيان ، و حفظه من الزيادة و النقصان ، و أصلي و أسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، أشرف الأنبياء و المرسلين ، و على آله و صحبه أجمعين ، و بعد

فقد نزل القرآن الكريم في أمة ، بلغت من الفصاحة و البلاغة أعلى قمة ، عرف عنهم الأخذ في كل لديد ([1])، فجاءهم بكل جديد ، و بهت كل جبار منهم و عنيد ، فما كان منهم إلا الاعتراف بالشرف التليد لهذا القرآن المجيد إلى يوم الوعيد .

و يدل على إعجاز القرآن لهم أن تحداهم بأن يأتوا بمثل أقصر سورة فبان عجزهم و اتضح للعيان قهرهم .

و قد اتجه علماء الأمة إلى البحث في أسرار القرآن الكريم و الكشف عن وجه الإعجاز فيه فهدوا إلى دقة نظمه ، و استقامة لفظه ، و تساوق ألفاظه مع معانيه .

و إن من ظواهر دقة نظم القرآن الكريم الإتيان بالكلمة ملائمة لسياقها ، غير قلقة في موضعها ، فكانت كل مفردة في موضع محدد و معنى معين ، بحيث لا تقوم مفردة مقام مفردة أخرى .

و لما كانت مادة (أمر) من المفردات التي ترددت في القرآن الكريم كثيراً بمختلف الصيغ ما بين فعل ماض و مضارع، و أمر ، و مصدر ، و معرفة ، و نكرة ، و مفرد ، و جمع ، و ورودها بصيغة المبالغة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [سورة يوسف :٥٣] ، وورودها بصيغة تفرد بها القرآن الكريم فكانت من فرائد أسلوبه و ذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [سورة الكهف :٧١] ، فكلمة (إمرا) ذات أسرار جمالية بليغة تستحق الوقوف على ما ذكره علماء التفسير و البلاغة .

و الغاية من هذه الدراسة تبيان مواضع هذه المادة في القرآن الكريم و تدبر دلالاتها في سياقها ، و الكشف عن أسرار استعمالها ، و الوقوف على النكات و الأعراض البلاغية من تنوع صيغها ، و الكشف عن بيان الإعجاز القرآني بذكر بعض المسائل البلاغية المتصلة بالآيات التي وردت فيها

[1] : " ورجل شديد لديد ، والألدّ : الخَصِمُ الجَدِلُ الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق " لسان العرب (لدد)

مادة (أمر) و ذلك من خلال التأمل في السياق الذي وردت فيه ، و هي غاية يشترك فيها كثير من طلاب العلم الذي يحاولون إثراء الدراسات القرآنية بما يفتح الله به عليهم من عطاء للكتاب الحكيم .

و قد كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع رغبتي الصادقة الملحة في البحث في القرآن الكريم منذ بدء هذه المرحلة العلمية ، كما زاد من رغبتي لهذا الموضوع عدم وجود دراسة متخصصة حوله، إذ إن كل ما دار حوله ما هو إلا ذكر للوجوه التي وردت عليها مادة (أمر) في القرآن الكريم في كتب الوجوه و النظائر ، كما أن الدكتور / محمد المنجد ــ أشار إليها في كتابه ــ (الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق) فقد تحدث عنها فيما لا يتجاوز ثلاث صفحات خلص فيها إلى أن مادة (أمر) لها دلالتان في القرآن الكريم لا غير هما : الشأن ، و استدعاء الفعل ، و إلى الأول تعود معظم الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه و النظائر، لكنه لم يتعرض للأسرار التي وراء هذه المادة في شواهد القرآن الكريم ، و لم يعمق النظر في أسرار المجيء بكل صيغة ، و بناء على هذا لم أجد دراسة مخصصة لهذه المادة ، أما هذه الدراسة فإنها ترمي إلى الكشف عن أسرار استعمالها ، و ذلك من خلال التأمل في سياقها .

و قد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التالي :

١- تصنيف الآيات التي وردت فيها مادة (أمر) حسب الفصول و المباحث ، و تناول هذه الآيات بالشرح و التحليل و بيان ما فيها من فنون بلاغية مهتدية بما كتبه علماء التفسير و البلاغة .

٢- الموازنة بين استعمالات مادة (أمر) في هذه الآيات ، حيث إني سأوازن بين استعمالات مادة (أمر) في الفصلين الثاني و الرابع و ذلك لأتمكن من الكشف عن أسرار استعمال هذه المادة.

و لبيان منهج هذه الدراسة أضيف إلى أنها تتمثل المنهج التحليلي المعتمد على تحليل الآية القرآنية ، و استخراج الأسرار الجمالية لكل فن تحتوي عليه من فنون البلاغة .

و منهجي في الدراسة منهج لا يغلب عليه مجرد السرد ، و إنما يقف عند كل آية بمفردها في كل موضع من مواضع الدراسة لتجلية أسرارها الجمالية .

و من خلال اتباع ماسبق ستتجلى لي استعمالات صيغ مادة (أمر) في القرآن الكريم و تتبدى لي النكات و الأغراض البلاغية في هذا التنوع ، و سيتبين أن هذه الدراسة ليست دراسة جامدة بل هي دراسة جادة ترمي إلى صقل الفكر و تزكيته بالوقوف على بعض أسرار هذه الآيات كما أبين إن شاء الله تعالى .

و يبين منهجي في الدراسة في استنارتي بما ذكره علماء التفسير البلاغي من الآيات المتضمنة لمادة (أمر) فعلاً كان أو اسما أو مصدراً أو غير ذلك من أنواع المشتقات .

و لا أدعي أنني سأذكر كل ما في هذه الآيات من أسرار بلاغية و لطائف بديعية و لكنها محاولة الوقوف على بعض هذه الأسرار بالكشف عن بيان الإعجاز القرآني و بذكر بعض المسائل البلاغية المتصلة بالآيات سواء في المفردات أو في التركيب .

وقد قامت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول ذات مباحث ثم خاتمة ، فكانت كالتالي :

أولا : التمهيد ، و يتناول :

- المعنى اللغوي للمادة .
- قيمة السياق في تحديد الدلالة البلاغية .
- تنوع صيغها بين الدلالة على طلب الفعل و عدم الدلالة عليه .
- حصر مواضعها إجمالاً.

الفصل الأول : صيغ مادة (أمر) دالة على الطلب

المبحث الأول : صيغة الماضي :

- مجيئه مسنداً إلى الله تعالى .
- مجيئه مسنداً إلى الرسل .
- مجيئه مسنداً إلى غيرهم .
- مجيئه لما لم يسم فاعله .
- أحوال متعلقاته .

المبحث الثاني : صيغة المضارع :

- مجيئه مسنداً إلى الله تعالى .
- مجيئه مسنداً إلى الرسل عليهم السلام .
- مجيئه مسنداً إلى غيرهم .
- أحوال متعلقاته .

المبحث الثالث : صيغة الأمر (مُرْ و أُؤمُرْ) .

- مجيء المسند إليه مفرداً .
- مجيء المسند إليه جمعاً .
- أحوال متعلقاته .

المبحث الرابع : صيغ أخرى (قليلة) :

مثل : (أمارة و إمرا و أمرنا و يأتمرون ، و ائتمروا ...) .

الفصل الثاني :الموازنة بين صيغ مادة (أمر) الدالة على الطلب

المبحث الأول : من حيث الكثرة و القلة .

المبحث الثاني : من حيث الإسناد الحقيقي و المجازي .

المبحث الثالث : من حيث المتعلقات .

الفصل الثالث : صيغة (أَمْر) لغير الطلب

المبحث الأول : تنوع الدلالة .

المبحث الثاني : أسرار التنكير و التعريف .

المبحث الثالث : أسرار الإفراد و الجمع .

الفصل الرابع : الموازنة بين دلالات (الأمْر) لغير الطلب)

المبحث الأول : من حيث الكثرة و القلة .

المبحث الثاني : من حيث الإفراد و الجمع .

المبحث الثالث : من حيث التعريف و التنكير .

المبحث الرابع : من حيث الحقيقة و المجاز .

الخاتمة : و فيها أهم النتائج و التوصيات التي ستصل إليها الدراسة . بمشيئة الله سبحانه .

ثم الفهارس العامة (فهرس الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة ، و ثبت المصادر و المراجع ، و أخيرا فهرس الموضوعات) .

ولما اقتضته الخطة من تناول الشواهد في أكثر من موضع فقد التزمت بترقيم الشاهد مرة واحدة حتى لا يتكرر الشاهد بأرقام مختلفة وعند إعادة الاستشهاد به أضع رقمه السابق بين معقوفتين [ ] .

و قد كان اعتمادي الأول ـــ بعد الله سبحانه ـــ على ما كتبه علماء التفسير ذات المنحى البلاغي ، مثـــل : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، و التفـــسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي، و تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد العماري ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والـــسبع المثـــاني للآلوســـي ، و التحرير و التنويرللطاهر بن عاشور ، و غيرهم .

و كذلك رجعت إلى بعض كتب علماء الأصول على اعتبار ارتباط هذا الموضوع ببعض ما ذكـــره علماء الأصول من أحكام فقهية كالوجوب و الندب ، و قد اقتصرت على كتابين ، أحدهما قديم و هو (الكاشف عن المحصول في علم الأصول للأصفهاني) و الآخر في الوقت المعاصر، و هـــو (الجـــامع لمسائل أصول الفقه) للدكتور ـــ عبد الكريم النملة .

هذا و لقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء بحثي في هذا الموضوع و كان من أبرزها تناثر المـــادة العلمية في كثير من المصادر والمراجع ، كذلك كثرة الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر لمـــادة (أمر) ، إلا أنه من خلال التأمل في تلك الوجوه لحظت أنها مستفادة من سياق الآية ، لذلك اعتمدت في بيان معاني الصيغ على سياق الآية من خلال ماذكره علماؤنا المفسرون .

و لا يسعني في هذا المقام و بعد إنجاز هـــذا البحث إلا أن أتـــقدم بالشكر و الـــثناء لرب الأرض و السماء على أن وفقني للبحث في القرآن الكريم و أسأله العفو و الغفران عن زلات القلم و اللسان .

ثم أني أتقدم بوافر الشكر و خالص الدعاء لوالديّ حفظهما الله ، فقد كان لهما الفضل الأول ـــ بعد الله ـــ في الأخذ بيدي لشق طريق العلم و أسأله سبحانه أن يطيل في عمرهما على طاعته و أن يـــرزقني برهما و الإحسان إليهما ، كما أتقدم بالشكر الوافر والثناء العاطر إلى شقيقيّ تركي و زيد على مـــا بذلا من جهد كبير في تذليل الصعاب من أجل مواصلة دراستي العليا ، ثم إنـــه مـــن واجـــب الوفـــاء والاعتراف بالفضل أن أقدم جزيل الشكر وعظيم التقدير إلى المشرف على هـــذه الرســـالة الأســـتاذ الدكتور / محمود موسى حمدان الذي لم يأل جهداً في النصح والتوجيه حتى خرج البحث بهذه الصورة ، بارك الله في علمه ونفعنا به .

وإلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أوجه شكري وتقديري ، وأخص كلية اللغة العربية ممثلة في عميدها ورئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي و وكيله .

وأختم كلامي بحمد الله وشكره على التمام ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام ، ومن سـار على نهجه واتبع هديه إلى يوم القيام ، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

حصه بنت سعود الهزاني

١ / ٥/ ١٤٣٠هـ

محافظة الحريـق

تمهيد

- المعنى اللغوي للمادة .
- قيمة السياق في تحديد الدلالة البلاغية .
- تنوع صيغها بين الدلالة على طلب الفعل وعدم الدلالة عليه .
- حصر مواضعها إجمالاً .

المعنى اللغوي للمادة :

يقول أحمد بن فارس : "الهمزة والميم والراء أصول خمسة ، الأمر من الأمور ، والأمر ضد النهي ، والأمر النماء والبركة – بفتح الميم – والمَعْلَم ، والعجب" ([1]) ، وقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة" إنه لأمور بالمعروف نَهُوّ عن المنكر ، وأمرت فلاناً أمره أي أمرته بما ينبغي له من الخير" . ([2]) وجاء في لسان العرب :"الأمر معروف نقيض النهي ، أَمَره به وأمره ... وأمرته بكذا أمراً والجمع الأوامر ... والأمْرُ واحد الأمور ، يقال : أمر فلان مستقيم وأموره مستقيمة" ([3]) .

وجاء في مختار الصحاح : "يقال أَمْر فلان مستقيم وأموره مستقيمة ، وأَمَره بكذا والجمع الأوامر" ([4]) ، ومن معاني (أمر) الإمارة والولاية ، جاء في الأفعال للسرقسطي : " وأَمَرْتُ على القوم إِمَارةً أي ولاية" ([5]) ، ومن (الأمر) ائتمر على وزن (افتعل) مزيد بحرفين ، والائتمار بمعنى المشاورة :" والائتمار والاستئمار: المشاورة، وكذلك التآمر على وزن التفاعل" ([6]) .

إذن : خلاصة ما ذكره علماء اللغة لبيان معنى مادة (أمر) أن هذه المادة تفيد معان عدة ، وهي :

١- الأمر ضد النهي (أَمَرَ ، يأمر ، وأْمُر) وجمعه (أوامر) .

٢- الأمر بمعنى الشأن (أَمْر) وجمعه (أمور) .

٣- الأمر بمعنى الكثرة (أَمِرَ) [7] .

٤- الأمر بمعنى العلامة (أمارة) .

٥- الأمر بمعنى الولاية (إمارة) .

٦- الأمر بمعنى العجب (إمرا) .

٧- الأمر بمعنى المشاورة (ائتمر) .

---

[1] : مقاييس اللغة (أمر) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت: عبدالسلام محمد هارون ،ط١/ ١٤١١هـ دار الجيل بيروت .

[2]: أساس البلاغة ٢١ للإمام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط١ / ١٤١٢هـ ، دار المدني ، جدة

[3] : لسان العرب (أمر) للإمام العلامة ابن منظور ، اعتنى بها : أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ط ٣ ١٤١٩هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

[4] : مختار الصحاح ٢١ للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ١٩٨٩ مكتبة لبنان .

[5] : كتاب الأفعال ١ /١٠٠ لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي ، ت: د/ حسين محمد شرف ط٣ / ١٤١٣هـ مطابع مؤسسة دار الشعب ، القاهرة

[6] : لسان العرب (أمر)

[7] : جاء في لسان العرب : " أَمَرَ الله المهرة أي : كثّر ولدها ، وأَمِرَ القوم أي كثروا .... ويقال : أَمَرَهم الله فأَمِرُوا ، أي كثروا " لسان العرب (أمر)

وإلى المعنى الثاني تعود معظم الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر ، والتي تتحدد من خلال السياق الذي وردت فيه .

و الأمر أسلوب انشائي يراد به طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء ، وهو قول القائل لمن دونه (افعل) وللأمر صيغ مخصوصة ، وهي : فعل الأمر نحو (افعل) ، والمضارع المقترن باللام نحو (لينزل) والمصدر النائب عن فعل الأمر (نزال) واسم فعل الأمر (صه) ([1]) . وقد ذكر الدكتور محمد أبو موسى أن صيغه الأمر قد شغلت الدارسين في كثير من المجالات وخاصة الفقهاء والأصوليين لاتصال هذه الصيغة بالوجوب والندب ، وما يترتب على هذا من أحكام فقهية توجب الحذر في الدراسة والاستنتاج ([2]) .

لذلك اختلف العلماء في حقيقة الأمر وذهبوا فيه مذاهب شتى فكان منهم من يركز على القول بغض النظر عن القائل فيعرفون الأمر بقولهم : هو "القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به" ومنهم من يشترط الاستعلاء فيكون الأمر عندهم "طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء" ومنهم من جمع بين العلو والاستعلاء " فقالوا :"الأمر هو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه على سبيل الاستعلاء" . ([3])

قيمة السياق في تحديد الدلالة البلاغية :

السياق هو "الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص ووحدته اللغوية ، ومقياس تتصل بوساطته الجُمل فيما بينها وتترابط بحيث يؤدي مجموع ذلك إلى إيصال معنى معين أو فكرة محددة لقارئ النص" ([4]) .

والسياق عنصر مهم في تحديد معنى المفردة ، لأن معظم المفردات في المعاجم تدل على أكثر من معنى ، والذي يحدد المعنى المراد هو السياق الذي وردت فيه هذه المفردة ([5]) . فالسياق هو الصورة

---

[1] :ينظر : مفتاح العلوم ١٥٢ ،تأليف :أبي يعقوب يوسف أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، ط١ /١٣٥٦ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، والايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ٤٧ ، تأليف : الخطيب القزويني ط١ / ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، والتعريفات علي بن
محمدبن علي ١٤٢٣هـ دار الكتباب العربي ،بيروت .

[2] :ينظر : دلالات التراكيب دراسة بلاغية ٢٤٧ د: محمد أبو موسى ط٣ / ١٤٢٥هـ ، مكتبة وهبة ، مصر

[3] :ينظر : صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم تأليف :د/ محمود توفيق سعد ط١/ ١٤١٣هـ دار المدني ،جدة

[4] : www.islamweb.net_ القرآن الكريم _ التناسب بين الآيات والسور .

[5] : ينظر :الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم ٣٥ ،د/محمود موسى حمدان ط١ / ١٤١٨هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، و التأويل اللغوي في القرآن ١٠١ د: حسين حامد الصالح ط١ / ١٤٢٦ هـ .

الكلية التي تنتظم الصورة الجزئية ، ولا يفهم كل جزء إلا بحسب موقعه من الكل ، فمعظم الكلمات تقع مجاورة لكلمات أخرى ، ومعاني هذه الكلمات لا يمكن تحديدها إلا بملاحظة الكلمات الأخرى التي تقع مجاورة لها (١) . فالكلمة ترتبط من خلال السياق الذي ترد فيه بوشائج قوية بما قبلها وما بــــعدها من كلمات ، وهو يشمل كل ما يصاحب اللفظ من ألفاظ تســاعد على توضــيح المعــنى ، ســواء أتقدمت تلك الألفاظ على اللفظ أم تأخرت عنه (٢) .

والسياقات القرآنية متعـــددة ، فالسياق إما أن يكون سياقاً مكانياً ، ويقصد به علاقة السورة بما قبلها و مابعدها ، أو علاقة الآية بما قبلها أو ما بعدها ، أو يكون سياقاً زمانياً ويقصد به معرفة ما نـــزل من القرآن أولاً وما نزل آخراً ، أو يكون سياقاً تاريخياً ، وهو ما يعرف بـــ (أسباب النـــزول) أو سياقاً موضوعياً ، ويقصد به دراسة الآية أو الآيات بحسب الموضوع الذي تندرج تحته ، أو يكـــون ســـياقاً مقصدياً يقصد به النظر إلى مقاصد القرآن الكلية والرؤية القرآنية للموضوع المعالج ، وقد يكون ســـياقاً لغوياً ، ويقصد به قراءة النص وفهمه على ضوء علاقات ألفاظه بعضها ببعض ويكون في دراسة الألفاظ المشتركة التي لا يتحدد معناها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه (٣) .

وقد اهتم علماء الأمة بالسياق اهتماماً كبيراً وأولوه عناية فائقة من أجل تحديد دلالات مفـــردات القرآن الكريم ، فالسياق هو أهم القرائن التي تدل على المراد وإثبات المعنى دون غيره .

ومن المفسرين الذين اعتنوا بالسياق الزمخشري في تفسيره (الكشاف) صرّح بذلك الزركـــشي فقال : "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له ، وإن خالف أصل الوضع اللغوي ثبوت التجوز ولهذا ترى صاحب (الكشاف) يجعل الذي سيق له الكـــلام معتمـــداً حـــتى كـــأنه غــــير مـــطـــروح" (٤) .

وكذلك ابن عطية اهتم بالسياق في (المحرر الوجيز) فقد أشار في تقديمه لهذا التفسير إلى وجه من وجوه الاعجاز ، وهو النظم ، فقال : "إن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعـــد المعـــنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره" (٥) .

---

[1] : ينظر : علم الدلالة ٦٤ د: أحمد مختار عمر ط ٥ / ١٩٩٨ ، عالم الكتب .

[2] : ينظر : التأويل اللغوي ١٠٣

[3] : ينظر : www.islamweb.net الشبكة الاسلامية – القرآن الكريم .

[4] :البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٧ للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم ط٢ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

[5] : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٨ لأبي محمد بن عبدالحق عطية الأندلسي ، ط١ / ١٤٢٣هـــ ،دار ابن حزم ، بيروت

فمن الشواهد على اهتمام المفسرين بمراعاة السياق ماقاله الطبري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [سورة النحل :١] .

"وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو تهديد من أهل الكفر به وبرسوله وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك ، وذلك أنه عقب ذلك بقوله ﷺ : (عما يشركون) فدلّ بذلك على تقريعه المشركين ووعيده لهم" ([1]) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة غافر : ٧٨] .

جاء الأمر هنا بمعنى القيامة اعتماداً على سياق ما بعدها (قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) يقول الزمخشري : "وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات ، وأمر الله : القيامة" ([2]) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام :٨] فسَّر ابن عطية (الأمر) في هذه الآية بالموت اعتماداً على السياق ، يقول : "وقالت فرقة (لقضي الأمر) أي : لماتوا من هول رؤية الملك في صورته ، ويؤيد هذا التأويل ما بعده من قوله (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) فإن أهل التأويل مجمعون على أن ذلك لأنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته فالأولى في قوله (لقضي الأمر) أي : لماتوا من هول رؤيته" ([3]) .

وقوله تعالى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٩].

الأمر في هذه الآية بمعنى الحرب ، وهو المناسب للسياق ، يقول الآلوسي : "﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ أي في الحرب ، أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق ابن سيرين عن عبيده ، وهو المناسب للمقام ..." ([4]) .

---

[1] :جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٤ /٨٦ ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

[2] :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥/ ٣٦٢ للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ت:الشيخ عادل عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط١ / ١٤١٨ هـ مكتبة العبيكان ، الرياض .

[3] : المحرر الوجيز ٦٠٤

[4] : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني مج ٣ ٤ / ١٦٦ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد قطب محمود الآلوسي قرأه وصححه محمد حسين العرب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

وغير ذلك من الشواهد الكثيرة التي سأتناولها في مواضعها معتمدة – بإذن الله – على السياق الذي وردت فيه .

كما اهتم علماء البلاغة بالسياق اهتماماً بالغاً ، يظهر من خلال تعريفهم للبلاغة وللأخبار التي يسوقونها في كتبهم ، فهذا عبد القاهر الجرجاني ينقل لنا خبر الكندي قائلاً : "روي عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس([1]) وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً !! فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون (عبدالله قائم) ثم يقولون (إن عبدالله قائم) ثم يقولون (إن عبدالله لقائم) فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ! ،فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم (عبدالله قائم) إخبار عن قيامه ، وقولهم (إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل ، وقولهم (إن عبد الله لقائم) جواب إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، قال : فما أحار المتفلسف جواباً" ([2]) ، ثم يقول معلقاً على هذه الرواية : "واعلم أن ههنا دقائق لو أن الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع (إنَّ) ثم ألطف النظر وأكثر التدبر لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل" ([3]) وفي هذا دليلٌ واضحٌ على اختلاف الكلام تبعاً للسياق .

أمَّا السكاكي فيقول عن علم المعاني ما يدل على اهتمامه بالسياق : "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" . ([4])

كما قال القزويني في تعريفه لعلم المعاني : "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال" ([5]) والتأمل في تعريفات علماء البلاغة يلحظ اهتمامهم بالسياق وتركيزهم على سياق الموقف .

وكما اعتمد علماء التفسير والبلاغة على السياق في تعيين دلالات الألفاظ اعتمد عليه أيضاً علماء الوجوه والنظائر التي جمعت كتبهم للكلمة الواحدة دلالات متعددة اكتسبت من السياق الذي وردت فيه معنى معيناً ، ومن تلك الألفاظ مادة (أمر) التي ذكروا لها معاني متعددة تتضح من خلال السياق

---

[1] : أبو العباس , أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني ، ولد سنة مائتين ، ومات في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

[2] : دلائل الإعجاز ٣١٥ للإمام أبي بكر عبدالقاهر الجرجاني ، ت: محمود شاكر ط٥ / ١٤٢٤هـ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة

[3] : المرجع السابق .

[4] : مفتاح العلوم ٧٧

[5] : الإيضاح ١٥

الذي وردت فيه ، يقول الدكتور محمد المنجد "ما فعله أصحاب الوجوه والنظائر إنما هو تخصيص للفظ العام بما يوحي به السياق أو أخذ ببعض أقوال المفسرين" ([1]) ..

تنوع صيغ (أمر) بين الدلالة على طلب الفعل وعدم الدلالة عليه :

تنوع استعمال مادة (أمر) في الدلالة على طلب الفعل وعدم الدلالة عليه ، فالأمر إما أن يكون مفرد (الأوامر) ويكون دالاً على الطلب ، جاء في لسان العرب :" أمرته بكذا أمراً والجمع أوامر" ([2]) فالأمر هنا القول المخصوص المراد به الطلب ، و من الشواهد على ذلك قوله تعالى :﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ...﴾ الآية [سورة البقرة :٢٧] . جاء (الأمر) هنا دالاً على الطلب ، فهو يدل على علو القول وفوقيته وأنه واجب التنفيذ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ... ﴾ [سورة البقرة : ٦٧] جاء (الأمر) دالاً على الطلب ، فالأمر صادر منه – سبحانه – فهو على العلو والوجوب .

أو يكون مفرداً لـــ (الأمور) ولا يكون دالاً على الطلب ، وقد جاء (الأمر) على هذه الصيغة في القرآن الكريم أكثر من الصيغة السابقة ، وقد أشار إلى هاتين الصيغتين علماء اللغة ، يقول ابن منظور : "والأمر واحد الأمور ، يقال أمر فلان مستقيم وأموره مستقيمة" ([3]) ، يقول الرازي : "يقال أمر فلان مستقيم وأموره مستقيمة" ([4]) ، وهذا يعني مجيئها لغير الطلب ، ، والأمر هنا يراد به الشأن ، وإليه يرد معظم الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر لا إلى الصيغة الأولى (استدعاء الفعل) كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد المنجد حين قال :"والذي نخلص إليه أن (الأمر) له دلالتان في القرآن الكريم لا غير ، هما : الشأن واستدعاء الفعل ، وإلى الثاني يعود معظم الوجوه التي ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر" ([5]) ، وذلك لأن الأمر المراد به الطلب (استدعاء الفعل) يكون على الحقيقة لا المجاز كما ذهب إلى ذلك جمهور علماء الأصول ، يقول الرازي : "اتفقوا على أن لفظة (الأمر) حقيقة في القول

---

[1] : الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ٩٩ محمد نور الدين المنجد ط ١/ ١٤١٩ دار الفكر ، دمشق

[2] : لسان العرب ١ / ٢٠٤

[3] : المرجع السابق

[4] : مختار الصحاح ٢١

[5] : الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم ١٠٢

المخصوص ، واختلفوا في كونه حقيقة في غيره ، فزعم بعض الفقهاء أنه حقيقة في الفعل أيضاً والجمهور على أنه مجاز فيه" ([١]) .

وما كان على الحقيقة فإنه يدل على معنى واحد وهو الطلب ، أما ما كان على المجاز فإنه لا يدل على الطلب بل يفيد معاني متعددة تفهم من السياق الذي وردت فيه .

ومما جاء فيه (الأمر) مفرد (الأمور) قوله سبحانه : ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ...﴾ [سورة هود :٤٤] ، جاء (الأمر) للدلالة على غير الطلب ، فهو مفرد (أمور) ويراد به العذاب ([٢]) ، لأن السياق يدل على ذلك.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل :١] ، الأمر هنا مفرد (أمور) ويراد به القيامة عُبِّر عنها بلفظ (الأمر) مجازاً ، فالقيامة لا تقع إلا بسبب أمر الله ﷻ . وغير هذه الشواهد شواهد كثيرة سأذكرها في مواضعها بالشرح والتحليل .

وقد ذكر أصحاب الوجوه والنظائر تلك المعاني في كتبهم ، وضربوا لها الشواهد ، فقد ذكر الدامغاني لها ستة عشر وجهاً : الدين ، القول ، العذاب ، عيسى بن مريم ، القتل ببدر ، ، قتل بني قريظة وجلاء بني النضير ، فتح مكة ، القيامة ، القضاء ، الوحي ، الأمر بعينه ، الذنب ، النصر ، الفعل والشأن ، الغرق ، آمرنا أي كثّرنا .

وذكر الجوزي ثمانية عشر وجهاً للأمر: الدين ، القول ، العذاب ، قتل كفار مكة ، فتح مكة ، قتل بني قريظة وجلاء بني النضير ، القيامة ، القضاء ، الوحي ، النصر ، الذنب ، الشأن والحال ، الموت ، المشورة ، الحذر ، الغرق ، الخصب ، الأمر الذي هو استدعاء الفعل ، وذكر أن بعضهم زاد وجهاً تاسع عشر ، فقال : الأمر : الكثرة ، وذكر في كتابه المدهش خمسة عشر وجهاً فقط ، وذلك بطرح (الدين ، الوحي ، الموت) ([٣]) .

أما الشوكاني فقد ذكر في تفسيره (فتح القدير) أربعة عشر وجهاً للأمر ، يقول : "والأمر واحد الأمور ، وقد ورد في القرآن على أربعة عشر معنى : الأول الدين ، ومنه (حتى جاء الحق وظهر أمر الله) الثاني بمعنى (القول) ومنه (فإذا جاء أمرنا) الثالث العذاب ، ومنه (لما قضي الأمر) الرابع عيسى ، ومنه (فإذا قضى أمراً) أي : أوجد عيسى عليه السلام

---

[1] : المحصول في علم الأصول ، من (الكاشف عن المحصول في علم الأصول) ٤/٣ للأصفهاني ط ١ / ١٤١٩ هـ دار الكتب العلمية ، بيروت

[2] : ينظر : الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ٤٠ تأليف الشيخ أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني ، ت: عربي عبدالحميد علي ، ١٤٢٤ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

[3] : ينظر : المدهش ٢٢ لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي ، ت: حامد أحمد البسيوني ١٤٢٥هـ دار الحديث ، القاهرة .

الخامس القتل ، ومنه (فإذا جاء أمر الله) السادس فتح مكة ، ومنه (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) السابع قتل بني قريظة وإجلاء النضير ، ومنه (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) الثامن القيامة ، ومنه (أتـــى أمر الله) ، التاسع القضاء ، ومنه (يدبر الأمر) العاشر الوحي ومنه (يتنـــزل الأمر بينهن) الحادي عـــشر أمر الخلائق ومنه (ألا إلى الله تصير الأمور) الثاني عشر النصر ، ومنه (هل لنا من الأمر مـــن شـــيء) ، الثالث عشر الذنب ، ومنه (فذاقت وبال أمرها) الرابع عشر الشأن ، ومنه (وما أمر فرعـــون برشـــيد) هكذا أورد هذه المعاني بأطول من هذا بعض المفسرين وليس تحت ذلك كثير فائدة ، وإطلاقــــه على الأمـــور المختلفة لصدق اسم الأمر عليها" ([1]) .

وبالتأمل في هذه المعاني التي ذكرها المفسرون وأصحاب الوجوه والنظائر يلحظ أنها معتمدة علـــى السياق الذي وردت فيه مادة (أمر) ، وهذه المعاني الكثيرة تندرج تحت المعنى العام وهو (الـــشأن) لا إلى الأمر الذي هو (استدعاء الفعل) ، كما ذكر الدكتور محمد المنجد حين قال :"الأول : بمعنى الشأن ، ومنه قوله تعالى (ألا إلى الله تصير الأمور) [الشورى ٤٢/٥٣] ، الثاني : وهو استدعاء الفعل ، وإليه يرد كثير مما ذكر في وجوه اللفظ ، يقول الراغب : (أمرته : إذا كلفته أن يفعل شيئاً ، وهو لفظ عـــام للأفعال والأقوال كلها)وعلى هذا يكون ما فعله أصحاب الوجوه والنظائر إنما هو تخصيص للفظ العام بما يوحي به السياق ، أو أخذ ببعض أقوال المفسرين" ([2]) لأن الأمر بمعنى (استدعاء الفعل) هـــو الأمـــر الذي مفرده أوامر ، ويراد به طلب الفعل ، أمّا الشأن فإنه هو الأمر الذي مفرده أمور وهو المعنى العـــام الذي تندرج تحته المعاني الكثيرة التي ذُكرت . والله أعلم .

حصر مواضعها إجمالاً :

بالتأمل في مادة (أمر) في مواضعها ، وكثرة الآيات التي وردت فيهـــا ، ألحـــظ تنـــوع اســـتعمالها في تلك المواضع .

فقد وردت ماضياً (٣٤) في أربعـــة وثلاثـــين موضـــعاً مـــسندة إلى الله في اثـــني عـــشر موضـــعا ومسندة إلى الرسل في ثلاثة مواضع ومسندة إلى غيرهما مرتين وجاءت على صيغة ما لم يسم فاعلـــه في (١٧) سبعة عشر موضعاً .

وجاءت على صيغة المضارع في (٣٣) ثلاثة وثلاثين موضعاً ، جاءت مسندة إلى الله ﷻ في (١٠) عشرة مواضع .

وجاءت مسندة إلى الرسل – عليهم السلام – في (٥) خمسة مواضع.

[1] : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١/ ١٣٣ ، تأليف : محمد بن علي الشوكاني ، ١٤٠٣هـ ، دار الفكر ، لبنان .

[2] : الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم ٩٩

وجاءت على صيغة ما لم يسم فاعله في (٥) خمسة مواضع .

كما أنها لم ترد على بعض الصيغ إلا قليلاً ، فلم ترد على صيغة المبالغة إلا مرة واحدة ، وذلك مثل قوله تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء) ، أما المزيد (ائتمر) فقد ورد مرتين فقط وذلك في قوله تعالى (يأتمرون بك) بصيغة المضارع ، وقوله تعالى (وأتمروا بينكم بمعروف) بصيغة الأمر مرة واحدة فقط .

وقد جاء (الأمر) معرفة أكثر من مجيئة نكرة ، فقد وردت معرفة في (١٣٦) موضعاً أما النكرة لم ترد إلا في (٢٨) موضعاً .

كذلك من حيث الإفراد والجمع ، جاء المفرد أكثر من الجمع ، فقد ورد مفرداً في (١٥٣) موضعاً ، بينما الجمع لم يرد إلا في (١٣) ثلاثة عشر موضعاً فقط .

وكل هذه الاختلافات في استعمالات مادة (أمر) سأتناولها بالتفصيل في مواضعها بمشيئة الله تعالى.

****

الفصل الأول

صيغ مادة (أمر) دالة على الطلب

المبحث الأول : صيغة الماضي

- مجيئه مسنداً إلى الله تعالى
- مجيئه مسنداً إلى الرسل .
- مجيئه مسنداً إلى غيرهم .
- مجيئه لما لم يسم فاعله .
- أحوال متعلقاته .

المبحث الثاني : صيغة المضارع

- مجيئه مسنداً إلى الله تعالى .
- مجيئه مسنداً إلى الرسل عليهم السلام .
- مجيئه مسنداً إلى غيرهم .
- أحوال متعلقاته .

المبحث الثالث : صيغة الأمر (مر و أمر) .

- مجيء المسند إليه مفردا .
- مجيء المسند إليه جمعا .
- أحوال متعلقاته .

المبحث الرابع : صيغ أخرى (قليلة) .

- مثل : (إمارة ــ إمرا ــ أمرنا ــ يأتمرون ....)

المبحث الأول : صيغة الماضي :

وردت مادة (أمر) على صيغة الماضي (٣٤) أربعاً و ثلاثين مرة ، مسندة إلى الفاعل ، و قد تنوع المسند إليه ، فقد جاءت مسندة إلى الله ﷻ في اثني عشر موضعاً ، منها ما جاء مسنداً إلى الاسم الظاهر ، و منها ما جاء مسنداً إلى ضمير المتكلم ، و جاءت مسندة إلى الرسل في ثلاثة مواضع ، و جاءت مسندة إلى غيرهما مرتين فقط ، بينما جاءت على صيغة ما لم يسم فاعله في (١٧) سبعة عشر موضعاً ، وهذه الصيغة على تنوع الإسناد إليها تدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي ، فقد قالوا عن الفعل الماضي : " هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك " ([1]) .

مجيئه مسنداً إلى الله تعالى :

العلو من صفات الله الثابتة في الكتاب و السنة ، فله ﷻ علو الذات ، و هو أنه سبحانه فوق جميع خلقه ، و قد دل على ذلك الكتاب و السنة و الإجماع و العقل و الفطرة ، و له ﷻ علو الصفات ، فما من صفة كمال إلا و له ﷻ أعلاها و أكملها ([2]).

وأوامر الله ﷻ كلها على العلو ، لأنها صادرة من الأعلى إلى الأدنى،و قد تكون على الوجوب أو الإباحة، حسب السياق الذي وردت فيه ، جاء في كتاب الأفعال للسرقسطي : " أمر الله أمراً : فرض ، و أيضا : أباح " ([3]) .

و قد جاءت آيات شواهد إسناد الأمر إلى الله متضمنة الأمر بأشياء متعددة ، منها الأمر بامتثال كل ما أمر الله به ، و الأمر بالعبادة و القسط و غيرها من المأمورات التي سأعرضها من خلال تناول الآيات في هذا البحث ، من ذلك :

١ــ قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [سورةالبقرة ٢٧].

---

[1] : المفصل في علم اللغة ٢٤٣ ، تصنيف : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ت: د. فخر صالح قدارة ، ط ١ / ١٤٢٥ هــ ، دار عمار ،عمان

[2] : ينظر : رسائل في العقيدة ٦٥ ، الشيخ / محمد بن صالح العثيمين ، ط٣ ١٤٠٨ هــ ، دار عالم الكتب ، الرياض .

[3] : كتاب الأفعال للسرقسطي ١ / ١٠٠ .

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن المثل الذي ضربه الله سبحانه و تعالى ليضل به الكافرين و يهدي به المؤمنين الذين يعلمون أنه الحق من ربهم ([1]) .

و قد جاء الفعل ماضياً (أمر) لأنها جاءت في سياق تقرير أمر من الأمور المتعلقة بالجزاء و التشريع ، كما أشار إلى ذلك الدكتور بكري عبد الكريم في مواضع استعمال (فعل) دالاً على الماضي ([2]).

و استعمال الفعل (أمر) دون غيره من الأفعال مثل (حث) أو (حض) لأن (أمر) يدل على علو القول و فوقيته، فهو واجب التنفيذ و مخالفته معصية بخلاف الحض أو الحث ([3]).

و المأمور به شامل لكل ما أمر الله به و هذا قول الجمهور،و أما ما ذكر من وصل الأرحام،و تصديق جميع الأنبياء ، ووصل القول بالعمل جميعها جزئيات تندرج تحت العام ([4]) ، و الله أعلم .

أما الأفعال (ينقضون ، و يقطعون ، و يفسدون) فقد جاءت مضارعة ، للدلالة على الاستمرار التجددي ، بحيث إن الحدث صار لصيقاً بهم فتحول إلى عادة ([5]) ، ومجيء الفعل (أمر)بصيغة الماضي الدال على الوقوع والتحقق المستدعي الامتثال والإجابة للأمر مع مجيء هذه الأفعال المضارعة الدالة على الاستمرار التجددي من دقائق النظم القرآني .

و قد جاء في الآية وصل بين قوله :(الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) و (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) و (ويفسدون في الأرض) لأنها جميعا صفات ذم لهولاء الفاسقين .

و في الآية فصل لكمال الاتصال للتأكيد ، فقوله سبحانه :(أولئك هم الخاسرون) جملة خبرية مؤكدة خسران من اتصف بالصفات الذميمة السابقة ، ولذلك فصلها عما قبلها ، يقول الشيخ العثيمين :" من فوائد الآية أن هؤلاء الذين اعترضوا على الله فيما ضرب من الأمثال ، و نقضوا عهده ، و قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، و أفسدوا في الأرض هم الخاسرون و إن ظنوا أنهم يحسنون صنعاً "([6]).

و في قوله سبحانه: (أولئك هم الخاسرون) أسلوب قصر ، يقول الآلوسي : " و حصر — الخاسرين — عليهم باعتبار كما لهم في الخسران حيث أهملوا العقل عن النظر و لم يقتنصوا المعرفة

---

[1] : ينظر : تفسير المحرر الوجيز ٦٨ .

[2] : ينظر : الزمن في القرآن الكريم ٨٢ ، د. بكري عبدالكريم ، ط ٣ ٢٠٠١ دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة .

[3] : ينظر : الفعل في سورة البقرة ٣٥ ، د / فتح الله أحمد سليمان، ط ١ ١٤١٨هـ مكتبة الآداب .

[4] : ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١ /١٩١ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت: عبدالحميد هنداوي ط١ ١٤٢٥هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

[5] : ينظر : الفعل في سورة البقرة ٦٣.

[6] : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٠٥ ، تأليف فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين ط١ / ١٤٢٣هـ دار ابن الجوزي ، السعودية .

المفيدة للحياة الأبدية و المسرة السرمدية " (١) ، ويكون قصر صفة على موصوف بقصر صفة الخسران عليهم دون غيرهم .

و في قوله ﷻ: (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) استعارة مكنية ، حيث شبه العهد بالحبل ، وحذف المشبه به و أتى بلازم من لوازمه و هو النقض ، ووجه الشبه بين الحبل و العهد ثبات الوصلة بين المتعاهدين ، يقول الزمخشري : " النقض : الفسخ وفك التركيب ، فإن قلت : من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ، ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة : يارسول الله ، إن بيننا وبين القوم حبالاً ونحن قاطعوها ، فنخشى إن الله ﷻأعزك و أظهرك أن ترجع إلى قومك " ، وهذا من أسرار البلاغة و لطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه ، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه " (٢) .

٢- و قال تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢٢٢].

بعد الحديث عن حكم نكاح المشركات و إنكاح المشركين جاءت هذه الآية لتبين حكماً من أحكام النكاح و هو حال الأزواج مع زوجاتهم الحيّض ، و قد قيل إن هذه الآية نزلت حين سُئل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقد كان اليهود يعتزلون النساء الحيّض تماماً و يخرجونهن من بيوتهن ، وعكسهم النصارى كانوا لا يبالون بذلك مطلقاً ، فجاءت هذه الآية لتبين حال الأمة الوسط ، فأباحت للمسلمين صنع كل شيء إلا النكاح (٣) .

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً و مسنداً إلى الله ﷻ لأنه في سياق بيان تشريع قد بيّنه الله لهم وأمرهم به ، حيث نهى الله ﷻعن إتيان المرأة و هي حائض ، يقول الشيخ ابن عاشور : "قوله: (من حيث أمركم الله) قد علم السامعون منه أنه أمر من الله كان قد حصل فيما قبل "(٤) .

---

1 : روح المعاني مج١١ ١/ ٣٣٨.

2 : الكشاف ١/ ٢٤٦ .

3 : ينظر: تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ١/ ١٩٦ للإمام الجليل محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، ت: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار ط٥ ١٤٢٣هـ دار المعرفة ، بيروت ، وينظر : المحرر الوجيز ١٩٥ .

4 : التحرير والتنوير مج ١ ٢/ ٣٧٠.

و إسناد الأمر إلى الله ﷻلأن الأمر صادر منه سبحانه على جهة العلو و الإلزام . و التتره عما كانوا عليه ، يقول الشيخ ابن عاشور : " عطف على جملة (و لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) بمناسبة أن تحريم نكاح المشركات يؤذن بالتتره عن أحوال المشركين و كان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كـن حيّضا وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض فناسب تحديد ما يكثر وقوعه و هو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم ، و يتساءل المسلمون عن أحق المناهج في شأنها "([1]) .

و بالتأمل في سياق الآية يلحظ استعمال الأفعال المضارعة (يـسئلونك ، لا تقربـوهن ، يطهـرن ،تطهرن) لدلالة المضـارع على الاستـمرار و التـجدد، أما الماضي (أمركم) لأنه في سياق تشريع، و جاءت صيغة المبالغة (التوابين) على وزن (فعال)، و هذه الصيغة" من أقوى صيغ المبالغة للدلالـة على الشيء الذي يتكررفعله أوالشيء الملازم لصاحبه"([2]) .

و في قوله تعالى :(من حيث أمركم الله) كناية عن موضع الإتيان ، يقـول الزمخـشري : " مـن الكنايات اللطيفة ، و التعريضات المستحسنة ، و هذه و أشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها و يتأدبوا بها و يتكلفوا مثلها في محاوراتهم و مكاتباتهم"([3]) "وهذا شاهد على دقة اختيار القرآن لألفاظ في غاية التراهة والشرف"([4]) .

٣- و قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة : ١١٧]

جاءت هذه الآية في الحوار بين الله ﷻو عيسى ؈ ،و هذا الحوار يحمل التوبيخ للنصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً . ([5])

---

[1] : المرجع السابق مجـ١ ٢/ ٣٦٤.

[2] : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ٨٥ د: محمود عكاشة ط١ ١٤٢٦هـــ دار النشر للجامعات ، مصر.

[3] : الكشاف ١/ ٤٣٤.

[4] : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/ ٢٥٥، د : عبدالعظيم المطعني ط ١ /١٤١٣هـــ مكتبة وهبة ، مصر.

[5] : ينظر : المحرر الوجيز ٥٩٨.

و قد جاء الفعل (أمر) ماضياً لأنه إخبار من عيسى عليه السلام يوم القيامة بأمر كان في الدنيا و قد جاء الفعل مسنداً إلى الضمير العائد عليه سبحانه وتعالى لأنه صادر منه ، يقول الزمخشري "و أما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عز وجل " (١) و الأمر هنا حقيقي على جهة العلو و الوجوب ، فهو على العلو لأنه صادر منه سبحانه وتعالى، و على الوجوب لأن الأنبياء ــ عليهم السلام ــ واجب عليهم تبليغ ما أمرهم الله به . و قد جاء بين هذه الآية و ما قبلها و هي قوله تعالى : (و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله) فصل لكمال الاتصال لأن هذه الآية جاءت بياناً للقول الصادر منه عليه السلام فبين الآيتين كمال اتصال ، يقول أبو السعود : " وقوله تعالى:(ماقلت لهم إلا ما أمرتني به) استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه و آكده ؛حيث حكم بانتفاء صدور القول المذكور دخولاً أولياً ، أي ما أمرهم إلا بما أمرتني به وإنما قيل : ماقلت لهم ، نزولاً على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد في الاستفهام " (٢) .

كما جاء بين قوله :(أن اعبدوا الله ربي و ربكم) و قوله (إلا ما أمرتني به) فصل لكمال الاتصال ، لأن الجملة الثانية بيان للأولى .

و في قوله: (ما قلت إلا ما أمرتني به) أسلوب قصر ، حيث قصر مقولته على ما أمر به لا على خلافه ، "لأنه ليس المعنى إني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً و لكن المعنى إني لم أدع ما أمرتني به أن أقوله لهم و قلت خلافه"(٣) ؛ لأن المقام اشتمل على معنى أن عيسى لم يأمر الناس بما أمر به بل خالفه إلى غيره و هو عبادته هو و أمه ، فقصر مقولته على التوحيد و نفاها عن غيره و هو دعوى الألوهية ، و القصر لإثبات عكس ما ورد في الدعوى تخطئة و تكذيباً لما ادعته عليه النصارى فهو قصر موصوف (القول) على الأمر بالتوحيد .

٤- و قال تعالى في خطاب إبليس : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف آية ١٢].

الخطاب هنا موجه من الله عز وجل إلى إبليس عندما أمره الرحمن بالسجود لآدم فأبى و استكبر،و قد جاء الفعل (أمر) ماضياً لأنه جاء في سياق الماضي ، لأن ترك إبليس للسجود كان بعد الأمر به ، فالأمر

---

[1] : الكشاف ٢/ ٣١٦ ، يقصد الفعل الدال على الأمر والطلب لا الأمر قسيم الماضي والمضارع .

[2] : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ١٠١ لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ط ٤ / ١٤١٤هـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

[3] : دلائل الإعجاز ٣٣٧.

سابق للسجود ، و قد جاء مسنداً لله ــــ سبحانه ــــ لأنه صادر منه ، و هو على العلو و الوجــوب ، و قد استشهد علماء الأصول بهذه الآية في دلالة الأمر على الوجوب ؛لأنه لو لم يكن الأمر واجباً لما ذم إبليس على تركه ، و لما استحق التوبيخ على ذلك ، و كان لإبليس أن يقول: إنما تركت السجود لأنك ما أوجبته علي[1] .

و قد فصلت هذه الآية عما قبلها ، و هي قوله تعالى :(و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين)؛ لأنها جاءت استئنافاً مسوقاً للجواب عن سؤال مقدر ، كأنه قيل: فماذا قال الله تعالى حينئذ ؟! ([2]). فبين هذه الآية و ما قبلها شبه كمال اتصال.

و كذلك جاء بين قوله: (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) و قوله: (قال أنا خير منه) فصل لشبه كمال الاتصال ، فقد جاءت الثانية جواباً لسؤال نشأ عن حكاية التوبيخ في الأولى ([3]) .

أما قوله: (خلقتني من نار و خلقته من طين) فقد جاءت بياناً للخيرية في قوله (أنا خير منه)؛ و لذلك فصلها عما قبلها لكمال الاتصال .

و بالتأمل في الأفعال التي وردت في الآية يلحظ أنها أفعال ماضية (منعك ، أمرتك ، خلقتني ، خلقته) لأنها جاءت في سياق قصة وقعت في الماضي بالنسبة لوقت التوبيخ .

و في هذه الآية دلالة واضحة على أن مخالفة أمر الله ﷻ معصية يعاقب عليها في الدنيا و الآخرة ، ففي الدنيا عوقب إبليس بهبوطه من الجنة ، و في الآخرة سيعاقب بالنار و بئس المصير .

٥- و قال تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

هذه الآية جاءت لبيان جهالات المشركين و أفعالهم القبيحة التي كانوا عليها ، و كانوا يفعلونها و هم يحتجون بأمرين : تقليد آبائهم ، و أمر الله لهم بفعلها .

---

1 : ينظر : الكاشف عن المحصول في علم الأصول ٣/ ١٢٨ ، والجامع لمسائل أصول الفقه ٢٢٢ للدكتور : عبدالكريم النملة ط٦ / ١٤٢٤هـ ـــ مكتبة الرشد ، الرياض.

2: ينظر: تفسير أبي السعود ٤/ ٢١٦ .

3: ينظر: المرجع السابق .

و جاء الفعل (أمر) مرتين ، الأولى على صيغة الماضي (أمرنا)، و ذلك في سياق ادعائهم بأن الله قد أمر آباءهم بها ، و أمر آبائهم أمر لهم، و لما جاء الرد عليهم ورد بصيغة المضارع الدال على التجدد الاستمراري مسبوقا بـ(لا) النافية (لا يأمر) ؛وذلك لنفي ما أسند إليه تعالى من أمر بتلك الأفعال المنهي عنها ، نفياً على سبيل الدوام والاستمرار ، فالله سبحانه لا يأمر إلا بمكارم الأخلاق و محاسن الأفعال .

و قد جاءتا مسندتان إليه ﷻ ، و جاء المسند إليه مذكوراً لزيادة الإيضاح و التقرير " و لأن سياق النص حين يقصد الذكر يتوخى فوائد فنية و جمالية ودلالية و غيرها فيكون في الذكر تثبيت للمعنى و توطيد له في النفس "([1]) ، و لعل في ذلك ــ أيضاً ــ زيادة تشنيع عليهم.

و قد جاء التعبير بالأفعال الماضية (وجدنا ، أمرنا) في سياق الحديث عن الماضي ، و هو ما كان عليه آباؤهم ، أما الأفعال المضارعة (أتقولون ، ما لا تعلمون) الدالة على الاستمرارية في سياق الخطاب لهؤلاء المقلدين المستمرين على ما كان عليه آباؤهم ، و في ذلك تشنيع حالهم و استدلالهم .

٦- و قال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٩] .

بعد أن نفى سبحانه ما أسند إليه من أمر بتلك الأفعال المنهي عنها ، بين في هذه الآية ما أمر به ([2])

و قد جاء الفعل ماضياً (أمر) ، و ذلك لأنه لما كان حديثهم عن أن الله أمرهم بتلك الفواحش ، جاء الإخبار عن الله تعالى بأنه أمرهم بالقسط و عبادته و توحيده ﷻ ، فالتعبير بالفعل الماضي (أمر) لأنه في سياق تشريعات سابقة بعد نفي أمر الله لهم في سابق أيامهم بالفواحش .

و قد جاء بين هذه الآية و ما قبلها فصل لشبه كمال الاتصال ، فقد جاءت هذه الآية جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل : فبماذا أمر الله سبحانه ؟.

كما جاء بين قوله: (كما بدأكم تعودون) و ما قبلها فصل لكمال الاتصال ، لأنها جاءت مؤكدة على عدم جدوى عبادتهم غير الله ([3]) .

---

[1]: ينظر : علم المعاني بين بلاغة القدامى و أسلوبية المحدثين ٢٨٢ للدكتور طالب محمد إسماعيل الزوبعي ، ط١/١٩٩٧ ــ منشورات جامعة خار يونس ــ بنغازي .

[2] ينظر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ١٤ /٤٨ للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي ط٢ / ١٣٢٥هــ دار الكتب العلمية ، بيروت

[3] : ينظر : التحرير والتنوير مج٤ ٨ /٨٩

و في هذه الآية تشبيه و كناية ، التشبيه في قوله: (كما بدأكم تعودون)؛ حيث شبه عود خلقهم ببدئه بجامع القدرة ، و في ذلك رد على إنكارهم الإعادة ، يقول الزمخشري : "كما أنشأكم ابتداء يعيدكم ، احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق ، و المعنى: أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة" ([1]).

٧- و قال تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾ [يوسف:٤٠].

هذه الآية جاءت في قصة يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن بعد أن قصّا عليه رؤياهما و طلبا منه تعبيرها .

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً مسنداً إلى ضمير اسم الجلالة سبحانه وتعالى ، و لعل التعبير بالفعل الماضي هنا لأنه أشار في الآيات السابقة إلى ملة آبائه إبراهيم و إسحاق و يعقوب ، و كلها أديان ماضية قد أمر الله فيها بعبادته وحده ، و المأمور به هنا هو العبادة .

و قد جاء بين قوله سبحانه : (إن الحكم إلا لله) و قوله سبحانه: (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) فصل لشبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جاءت استئنافاً مبنياً على سؤال ناشئ من الأولى ، فكأنه قيل : فماذا حكم الله في هذا الشأن؟ فقيل : أمر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام بأن لا تعبدوا إلا الله حسبما يقتضيه العقل ([2]) و قد جاء الفعل (أمر) في أسلوب القصر عن طريق النفي و الاستثناء ، حيث قصر الأمر بالعبادة عليه وحده سبحانه فلا تتعداه إلى غيره ، فهو قصر صفة على موصوف .

٨ ــ وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ ﴾ [الرعد : ٢١] .

---

[1] : الكشاف ٢ / ٤٣٧

[2] : ينظر : تفسير أبي السعود ٤/ ٢٧٨ .

بعد الحديث عن المؤمنين الذين استجابوا لله و لرسوله ، و ما وعدهم الله سبحانه من البشارات التي تكون للمؤمن أخذ سبحانه في و صفهم ، ومن الصفات التي ذكرها فيهم هذه الآية ([1]) .

و قد جاء الفعل (أمر) ماضياً مسنداً إلى الله سبحانه ، لأنه في سياق التشريع ، و هو أمر حقيقي على العلو و الوجوب صادر من الله سبحانه ، و هذا مقابل قوله تعالى في سورة البقرة : (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) [البقرة : ٤٧] .

و بالتأمل في الأفعال التي وردت في هذه الآية نجد الأفعال المضارعة (يصلون ، ويوصل ، و يخشون ، ويخافون) لأنها في سياق مدح للمؤمنين ، و الفعل المضارع يدل على التجدد الاستمراري ([2])، و لعل هذا أبلغ في مدحهم ، أما الماضي (أمر) جاء في سياق التشريع .

٩- و قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد:٢٥].

بعد أن ذكر سبحانه صفات المؤمنين في الآية السابقة ، ذكر هنا صفات مضادة لها للكفار ، وقد جاء الفعل الماضي (أمر) مسنداً إلى الله تعالى ، مقابله في قوله تعالى: (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) [سورة البقرة : ٢٧].

و بالتأمل في هاتين الآيتين يلحظ اختلاف التذييل فيهما ، فمن خلال التأمل في سياق هاتين الآيتين ، يلحظ أن الآية التي وردت في سورة البقرة سبقت بمثل ضربه الله للفاسقين لكنهم أهملوا النظر فيه فخسروا في الدنيا والآخرة ؛ لذلك ذُيّلت بالخسران ، يقول البيضاوي :"(أولئك هم الخاسرون) الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص مايفيدهم في حياتهم الأبدية "([3]). أما هذه الآية فقد سبقت بالحديث عن الآخرة وعاقبة المؤمنين فيها (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ؛ لذلك ذُيلت هذه الآية بالحديث عن مآل الكفار في اليوم الآخر (لهم اللعنة ولهم سوء الدار)،فبين هذه الآية وما سبقها مقابلة بين حال الفريقين ، يقول البيضاوي :" (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار " ([4])

---

[1] : ينظر : المحرر الوجيز ١٠٣٧ .
[2] : ينظر : التحرير والتنوير مج ٦ ١٣/ ١٢٧ .
[3] تفسير البيضاوي ٢/ ١٦٣ .
[4] : المرجع السابق ٥/٤١٢ .

١٠ – وقال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾ [الإسراء:١٦] .

بعد أن ذكر الله ﷻ أن كل إنسان يحاسب عن نفسه لا عن غيره وأنه سبحانه لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة والإنذار جاءت هذه الآية لتفصيل الحكم المقدم [1] .

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً لفظاً مستقبلاً معنى لأنه جواب الشرط ، فجمهور النحاة يرون " أن الشرط والجواب لا بد أن يكونا للاستقبال ، فإن جاءا ماضيين أو جاء أحدهما ماضياً أول بالمستقبل " [2] والمسند إليه هو الله ﷻ ،لأن الخطاب صادر منه ، والمأمور به محذوف ، وعلى أساس تقديره تتعين حقيقة الأمر من مجازه ، فالبغوي يرى أن المقدر : الطاعة ، يقول : " أمرناهم بالطاعة فعصوا " [3] ، وعلى هذا يكون الأمر حقيقياً ، أما الزمخشري فإنه يقدر المحذوف بالفسق ، يقول : " أي أمرناهم بالفسق ففعلوا ، والأمر مجاز ، لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم : افسقوا ، وهذا لا يكون ، فبقي أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً ، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات ، فكأنهم مأمورون بذلك "[4]،والمجاز هنا إما أن يحمل على الاستعارة التمثيلية أو على التصريحية، يقول الآلوسي :" فيحمل على المجاز إما بطريق الاستعارة التمثيلية بأنه يشبه حالهم في تقلبهم في النعم مع عصيانهم وبطرهم بحال من أمر بذلك ، أو بطريق الاستعارة التصريحية التبعية بأنه يشبه إفاضة النعم المبطرة لهم وصبها عليهم بأمرهم بالفسق بجامع الحمل عليه والتسبب له " [5] ، وقد ضعف الرازي قول الزمخشري ورد عليه بأن الأمر هنا حقيقي لأن الفسق ينافي كونه مأموراً به فدل ذلك على أن المأمور به غير الفسق ، وقال : " وهذا الكلام في غاية الظهور فلا أدري لِمَ أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده " [6]، وهو بهذا القول يوافق البغوي في رأيه وهو الأرجح ـــ والله أعلم ـــ ؛لأن حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز .

1 : ينظر : المحرر الوجيز ١١٣٤

2 : النحو القرآني قواعد وشواهد ٦٤ ، د: جميل أحمد ظفر ط٢ / ١٤١٨ هـــ ، مكة المكرمة

3 : تفسير البغوي ٣/ ١٠٩

4 : الكشاف ٣ / ٥٠٠

5 : روح المعاني مج ٩ ١٥ / ٦٢

6 : التفسير الكبير ٢٠ / ١٤٠

وفي قوله (مترفيها) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، فقد أطلق الجزء (المترفين) والمراد الكل (أهل القرية) لأن الأمر عام ، إنما خص المترفين بالذكر لأن غيرهم تبع لهم ، يقول القرطبي : " والمترف : المنعم ، وخصوا بالأمر لأن غيرهم تبع لهم " (1) .

١١- قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التَّحريم:٦]

في هذه الآية الخطاب موجه للمؤمنين ، يأمرهم الله سبحانه بوقاية أنفسهم وأهليهم ناراً لا توقد من حطب بل من بشر وحجر .

وقد جاء الفعل (أمر) في هذه الآية مرتين ، الأولى على صيغة الماضي (أمرهم) وهو مسند إلى الله سبحانه ، والثانية على صيغة المضارع المبني لما لم يسم فاعله (يؤمرون) والمسند إليه واو الجماعة العائد على الملائكة ، ومجيء الصيغتين مجتمعتين في هذه الآية للثناء والمدح للملائكة ، فقوله (ما أمرهم) تدل على التزامهم بأوامر الله سبحانه في الماضي ، و المضارع (يفعلون ما يؤمرون) يدل على التجدد الاستمراري ، يقول الرازي: " (لا يعصون الله ما أمرهم) به في الماضي ، (و يفعلون ما يؤمرون) به في المستقبل " (2) وهذا أبلغ في الثناء والمدح للملائكة عليهم السلام .

يقول القرطبي : " (لا يعصون الله) أي : لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان ، (ويفعلون ما يؤمرون) أي في وقته ، فلا يؤخرونه ولا يقدمونه ، وقيل : أي لذتهم في امتثال أمر الله " (3) .

وقد جاء بين قوله: (لا يعصون الله ما أمرهم) و: (يفعلون ما يؤمرون) وصل لأنهما جملتان متصلتان في المعنى فبينهما مناسبة والتئام ، كما أنهما جملتان خبريتان ، لذلك وصل بينهما .

وجاء التعبير بالأفعال المضارعة (لا يعصون ، يفعلون ، يؤمرون) لاستحضار الصورة البديعة في امتثال ما يؤمرون به .

وفي قوله :(قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) قدم الأنفس على الأهل من باب تقديم الأولى والأهم ، وقوله سبحانه (الناس والحجارة) قدم الناس على الحجارة للزيادة في التحذير ، و تنكير النار في قوله: (ناراً) للتعظيم (4).

٢- الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٠٢

2: المحصول من (الكاشف عن المحصول في علم الأصول) ٣/١٦٤ .

3: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٣٢٢ .

4: ينظر : التحرير والتنوير مج١١ ٢٨/٣٦٥ .

١٢- و قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾ [عبس:٢٣] .

بعد أن ذكـــر ﷻ الدلائل الموجـــودة في الأنفس من خلقٍ وإمـــاتةٍ وإقـــبارٍ و إنشارٍ ، قـــــال : (كلا لما يقض ما أمره) وهـــــذا ردع للإنسان عن تكبره وكفره وإصراره على إنكار التوحيد [1].

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي ، وهو مسند إلى الله ﷻ يقول البغوي : " لم يفعل ما أمره به ربه و لم يؤد ما فرض عليه " [2] ، فالتعبير بالماضي كان عن أمر في الدنيا ، فالمعنى ـــ كما أشار البغوي سابقاً ـــ لم يفعل ما أمره به ربه في الدنيا .

وقد ذكر الزمخشري أن هذه الآية تشير إلى أن الإنسان لا يخلو من تقصير قط [3] ، وقد رد على ذلك الرازي [4] بأنه ليس المراد بالإنسان هنا جميع الناس ، بل الإنسان الكافر . وقول الرازي هو الأرجح ـــ والله أعلم ـــ لأن معظم المفسرين [5] أشاروا إلى ذلك .

ولما كان الفاعل في قوله (ما أمره) ضميراً عائداً إلى الله ﷻ تقديره (هو) لأن الأمر صادر منه ﷻ جاء الفاعل للأفعال السابقة ضميراً عائداً عليه ﷻ في قـــوله: (خلقه ، فقدره ، يسره ، أماته ، فأقبره ، أنشره)؛ لأنها جميعاً مسندة إليه سبحانه [6] .

مجيئه مسنداً إلى الرسل عليهم السلام :

١٣- قـــال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف:٦٨]

هذه الآية وردت في قصة يوسف عليه السلام عندما أمر أبناءه بالدخول من أبواب متفرقة خوفاً عليهم من العين .

1: ينظر : التفسير الكبير ٥٦/٣١ .
2: تفسير البغوي ٤٤٨/٤ .
3 :-ينظر : الكشاف ٣١٦/٦ .
4 : ينظر : التفسير الكبير ٥٦/٣١ .
5 : ينظر مثلا : تفسير مقاتل ٤٥٣/٣ لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ت: أحمد فريد ط١ / ١٤٢٤ هـــــ ـــــ دار الكتب العلميـــة ـــ بيروت , وتفسير البغوي ٤٤٨/٤ ، والمحرر والوجيز ١٩٤٩ .
6 :ينظر : التحرير والتنوير مج١٢ ١٢٨/٣٠ .

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي ، وهو مسند إلى لفظة (أبو) المراد به يعقوب عليه السلام لأن الأمر صادر منه ، والتعبير بلفظ الماضي لأنه وقع في وقت سابق لدخولهم ، فالأمر صادر من يعقوب عليه السلام لأبنائه قبل ذهابهم إلى مصر .

وقد جاء بين قوله :(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) [يوسف:٦٨] وما قبلها : (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) [يوسف:٦٧] وصل ، لأن الآية السابقة ذكرت وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه ، وفي هذه الآية ذكر امتثال الأبناء بهذه الوصية .

وقد فصل هذه الجملة (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) [يوسف:٦٨] عن قوله: (مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ)[يوسف:٦٨]؛ لأن الثانية جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، فكأن قائلاً يقول : هل أغنى عنهم ذلك شيئاً ؟! فكان الجواب : (مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) [يوسف:٦٨] فبين الجملتين شبه كمال اتصال . والاستثناء في قوله (إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا) (يوسف:٦٨) منقطع ، لأنه ليس هناك ما يستثنى من الغناء من الله إذا قضى وإذا أراد ، وإنما الذي حدث من يعقوب عليه السلام ليس إلا عطف الأبوة وحنوها وإظهار الشفقة والأخذ بالأسباب[1] .

وفي قوله :(مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) [يوسف:٦٨] ، إيجاز قصر ، فقد أغنت هذه الجملة عن جمل كثيرة ، وهي أنهم ارتحلوا ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم ، وحيث دخلوا من حيث أمرهم أبوهم سلموا مما كان يخافه عليهم ، وما كان دخولهم بهذه الطريقة مغنياً عنهم من الله من شيء لولا قدر الله [2].

١٤- وقـــال تعـــالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور:٥٣] .

قال القرطبي رحمه الله عن سبب نزول هذه الآية إن المنافقين أتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : "والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا ونسائنا وأموالنا لخرجنا ، ولو أمرتنا بالجهاد لجاهدنا" [3] .

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي مسنداً للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأن الأمر صادر منه صلى الله عليه وسلم للمنـــافقين ، وقد جاء التعبير بالفعل الماضي (أمر) على صيغة الماضي ، والماضي هنا في موضع المـــستقبل ، والتعـــبير

---

[1] : ينظر الكشاف ٣ / ٣٠٧ و أسلوب القصر في محكم النظم ٢٠٢ للدكتور هشام الديب ط١٤١٠/١ دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

[2] : ينظر التحرير والتنوير مج٦ ٢٤/١٣ .

[3] : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مج٦ ٣٧٢/٢ .

بالماضي (أمرهم) مجاز ، حيث شبه تيقن التحقق في المستقبل بشيء تحقق و وقع ، فالاستعارة تصريحية،والمعنى الحقيقي للأمر (تأمرهم) على صيغة المضارع ــ والله أعلم.

وقد فصلت جملة (لئن أمرتهم) عما قبلها لكمال الاتصال ، لأنها جاءت بياناً لجملة (أقسموا) ، فقوله (أقسموا) حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما تكن نكن معك ، لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا [١] .

وجاء بين قوله: (طاعة معروفة) و :(لا تقسموا) فصل لكمال الانقطاع ، لأن الأولى (طاعة معروفة) خبرية ، والثانية (لا تقسموا) إنشائية ، فالمعنى : لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية راقعة باللسان فقط [2] .

وتنكير (طاعة) " لأن المقصود به نوع الطاعة وليست طاعة معينة ، فهو من باب : تمرة خير من جرادة " [3] . وقد ختمت هذه الآية بجملة خبرية مؤكدة (إن الله خبير بما تعملون) ؛ لأن المنافقين لما أجهدوا أيمانهم في الكذب جاءت هذه الجملة لتؤكد علم الله ﷻ بأعمالهم الظاهرة والباطنة ، فهو سبحانه فاضحهم لا محالة ومجازيهم على نفاقهم ، فلا يحتاج ﷻ إلى قسم ولا توكيد [4] .

والتعبير بصغية تناهي الكمال في قوله (خبير) لإفادة أنه بالغ النهاية في الخبرة [5] .

وفي الآية استعارة في قوله (جهد أيمانهم)؛ فقد شبه الإيمان بالشخص الذي يجهد ، حذف المشبه به وأتى بما يدل عليه وهو (الجهد) فالاستعارة مكنية [6] .

١٥- وقول الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ ﴾ [العلق:١٢] .

جاء في تفسير مجاهد لقوله: (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) قال : يعني أبا جهل بن الحكم كان ينهى النبي ﷺ عن الصلاة [٧] . وجاء في صحيح البخاري :" حدثنا عبد الرزاق عن معمر ... قال ابن

---

[1] : ينظر تفسير أبي السعود ١٨٨/٦ والتحرير والتنوير مج٨ ٢٧٨/١٨ .

[2]: نظر : تفسير أبي السعود ١٨٨/٦ .

[3]: التحرير والتنوير مج٨ ٢٧٨/١٨ .

[4]: ينظر : الكشاف ٣١٦/٤ ، وتفسير أبي السعود ١٨٩/٦ ، وسورة النور دراسة وتحليل ٤٩٤ د. إسماعيل السامرائي ط١ /١٤٢٣ هـــ دار عمار ــ عمان .

[5] ينظر : سورة النور دراسة وتحليل ٤٩٤ .

[6] : ينظر : التحرير والتنوير مج٨ ٢٧٨/١٨ والجدول في إعراب القرآن مج٤ ١٨ / ١٧٧٨ .

[7] تفسير مجاهد ٧٧٢/٢ لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي ت : عبد الرحمن السورتي – دار المنشورات العلمية .

عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : لو فعله لأخذته الملائكة " [١] .

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي ، لأنه جاء في سياق الحديث عن قصة ماضية ، والأمر هنا مسند إلى الرسول ﷺ وذلك إذا كان الخطاب في قوله: (أرأيت) موجهاً إلى أبي جهل ، ويكون المعنى : " أرأيت يا كافر إن كانت صلاته هدى ، ودعاؤه إلى الله أمراً بالتقوى أتنهاه مع ذلك "[٢] ، أو يكون مسنداً إلى أبي جهل، والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ ، ويكون المعنى : يا محمد أرأيت إن كان هـــذا الكافر على الهدى واشتغل بأمر نفسه أما كان يليق به ذلك [٣] .

والاستفهام في قوله :(أرأيت) تعجيب للمخاطب ، وكررت للتأكيد [٤] ، والتنكير في (عبداً) إما للدلالة على كماله ﷺ في العبودية ، فيكون هذا أبلغ في ذم الأحمق الذي نهـــاه ، أو يكـــون الغـــرض التخويف لكل من ينهى عن الصلاة [٥] ، أو لتفخيم شأن النبي ﷺ[٦] .

وجاء بين قوله: (ينهى) و: (أمر) طباق لتشنيع حال الناهي إذا كان يعتقد أن نهيه للرسول ﷺ عن الصلاة أمر بالتقوى ، أو للدلالة على الفرق بين حال هذا الأحمق الكافر وحال رسولنا ﷺ .

مجيئه مسنداً إلى غير الرسل عليهم السلام :

١٦– قال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤]

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب التفسير ٨٨٧ رقم الحديث ٤٩٥٨ ط١ ١٤١٩هـــ مكتبة دار السلام – الرياض .

[2] التفسير الكبير ٢٢/٣٢ .

[3] ينظر المرجع السابق .

[4] ينظر تفسير البغوي ٥٠٨/٤ .

[5] : روي عن علي رضي الله عنه أنه رأى أقواماً يصلون قبل صلاة العيد ، فقال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك !! فقيـــل لـــه : ألا تنهاهم ؟! فقال : أخشى أن أدخل تحت قوله (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) ينظر التفسير الكبير ٢١/٣٢

[6] : ينظر التفسير الكبير ٢١/٣٢ وحاشية الشهاب ٥٢٩/١٩

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن قصة بني أبيرق [1] ، وما كان فيها من تدبير ونجوى ، ونفت الخير والفائدة من تلك النجوى [2] .

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً لأنه جاء في سياق قصة سابقة ، وكذلك لأن سياق الحديث عن نجواهم ونفي الخيرية عنها ، أما استعمال الأفعال المضارعة (يفعل، ونؤتيه) فجاء للدلالة على الاستمرار التجددي ، فإن من تكون نجواه في الخير ولا يصدر منه إلا ذلك فإن الله سبحانه وعده بالأجر العظيم .

وقد جاء الفعل (أمر) في أسلوب الاستثناء ، وقد ذكر بعض المفسرين [3] أنه قد يكون الاستثناء متصلٌ ، ويكون المعنى : لا خير في كثير من نجواهم إلا في نجوى من أمر بصدقة ، وقد يكون الاستثناء منقطعاً ، ويكون المعنى : لكن من أمر بصدقة ففي نجواه خير ، ويرى الشيخ ابن عاشور بأن الاستثناء هنا متصلاً ولا داعي إلى جعله منقطعاً ، يقول : " وهذه الثلاثة لو لم تذكر لدخلت في القليل من نجواهم الثابت له الخير ، فلما ذكرت بطريق الاستثناء علمنا أن نظم الكلام جرى على أسلوب بديع ، فأخرج من كثير نجواهم بطريق الاستثناء ، فبقي ما عدا ذلك من نجواهم وهو الكثير موصوفاً بأنه لا خير فيه ، وبذلك يتضح أن الاستثناء متصل ، وأنه لا داعي إلى جعله منقطعاً " [4] .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها فصل ، لأنها جاءت مؤكدة لما سبق ، فالآيات السابقة تتحدث عن قصة بني أبيرق ، وما كان فيها من تدبير ومناجاة لا خير فيها ، وهذه الآية أكدت أن أكثر نجواهم لا خير فيه ، واستثنت من ذلك القليل الثابت له الخير ، فبين الآيتين كما اتصال .

ثم وصل قوله: (ومن يفعل ذلك) مع ما قبلها لاتفاقهما خبراً في اللفظ والمعنى ، فهذه الأعمال الثلاثة وإن كانت في غاية الشرف فإنها لا تنفع الإنسان إلا إذا كانت خالصة لوجه الله [5] .

وفي قوله: (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) قدم بعض الأعمال على بعض، وذلك للعناية والأهمية ، وقد بين الآلوسي محل العناية بقوله : "وقدم الصدقة على الإصلاح ، لما أن الأمر بها أشق ، لما فيه من تكليف بذلك المحبوب ، والنفس تنفر عمن يكلفها ذلك ، ولا كذلك الأمر بالإصلاح "[6] .

[1] : استودع يهودي درعه عند طعمة بن أبيرق فجحده إياها وخانه فيها ، وطرحها في دار أبي مليك الأنصاري ، وأراد أن يتهمه بسرقتها لما افتضح أمره ، ثم إن قومه (بني أبيرق) أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلموه أن يذب عن طعمة ، ويرفع الدعوة عنه ودفعوا هم عنه ، ومنهم من يعلم أنه سرق ، فكانت هذه معصية من مؤمنهم وخلق مقصود من منافقهم ، فعصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك . ينظر المحرر الوجيز ٤٧٩

[2] : ينظر التحرير والتنوير مج ٢ م/١٩٩

[3] : ينظر مثلاً : تفسير البغوي ٤٧٩/١ وحاشية الشهاب ٣٤٩/٣

[4]: ينظر التحرير والتنوير مج٢ ٥/٢٠٠

[5] : ينظر التفسير الكبير ٣٤/١١

[6]: ينظر روح المعاني ٢١٢/٤

وفي قوله :(إلا من أمر بصدقة) قصر ، حيث قصر خيرية النجوى على الأمر بالصدقة أو المعروف وليس في المقام اعتقاد للمخاطب فالقصر على سبيل التحقيق (١) ، وهو قصر صفة على موصوف .

وقد يكون في الآية كناية في قوله: (ومن يفعل) كناية عن الأمر ، وعدل عن (ومن يأمر) إلى (ومن يفعل) لشمول الفعل إذ هو كنى به عن جميع الأشياء ، كما إذا قيل : حلفت على زيد وأكرمته ، ولعل الغرض من العدول هنا حتى يطابق التذييل المذيل (٢) ، والدلالة على عظم أجر من يفعل تلك الأعمال . والله سبحانه أعلم .

١٧- وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١] .

جاءت هذه الآية في سياق الآيات التي نزلت في المؤمنين الذين آذاهم المشركون وظلموهم فأذن الله لهم بقتالهم .

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً لفظاً مستقبلاً في المعنى ، لأنه في جواب الشرط ،وجاء في سياق الوعد للمؤمنين ، ولأنه عطف على جواب الشرط (أقاموا)، وجميع أدوات الشرط تجعل زمن الماضي مستقبلاً خالصاً (٣) .

وقد ذكر النسفي أن هذه الآيات إخبار عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم الله في الأرض وبسط لهم في الدنيا ، وكيف يقومون بأمر الدين ... (٤)

وقد جاء (الأمر) مسنداً إلى واو الجماعة العائد على المؤمنين والأمر هنا للإرشاد والتوجيه، ويذهب البعض إلى أنه على حقيقته على سبيل الاستعلاء ، فقد ذكر الشيخ العثيمين في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] أن الأمر على الاستعلاء لأن الآمر بالخير أعلى مرتبة من المأمور (٥) .

وقد جاءت جملة (وأمروا بالمعروف) معطوفة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة متعلقة بالأفراد وهي واجبة على الجميع ، وكل مأخوذ بإقامتها ، وقد عطف على هذه الجملة قوله (ونهوا عن المنكر)، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوانين الإسلام ،ولا يقوم بها إلا طائفة

1: أسلوب القصر في محكم النظم ٢٥
2: ينظر : حاشية الشهاب ٣٤٩/٣ .
3: ينظر : الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ١٦٩ د فتحي الدجني ط١ /١٤٠٤هـ ــ مكتبة الفلاح – الكويت و الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته ١٧/١ للدكتور عبد الحميد مصطفى السيد ط١ / ١٤٢٤ هـ .
4: ينظر تفسير النسفي ٤٤٤/٢ .
5: ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧/١

خاصة من الأمة ، إذ ليس كل فرد قادراً عليها ،ولهذا جاءت في غاية الترتيب ، وجميع هذه الجمل الأربع متصلة ببعضها لتناسبها في المعنى ؛ فهي كلها صفات ثناء .

وعطف قوله :(ولله عاقبة الأمور) على قوله :(ولينصرن الله من ينصره) أو: (إن الله لقوي عزيز) لأنها جمل خبرية متفقة في المعنى ، فقوله سبحانه :(ولله عاقبة الأمور) أي : " مرجعها إلى حكمه وتقديره ، وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه ، وإعلاء كلمتهم " ([1]) ، ويقول الشيخ ابن عاشـــور : " عطف على جملة (ولينصرن الله من ينصره) أو على جملة (إن الله لقوي عزيز) والمآل واحد ، وهو تحقيق وقوع النصر ، لأن الذي وعد به لايمنعه من تحقيق وعده مانع ، وفيه تأنيس للمهاجرين لئلا يستبطئوا النصر " ([2]).

ومن خلال التأمل في الأفعال الواردة في هذه الآية يلحظ أنها جميعاً أفعال ماضية مسندة إلى واو الجماعة العائد على المؤمنين ، ولعل هذا فيه إشارة إلى وعد من الله سبحانه لجميع الأمة المتصفين بهذه الصفات ، جاء في تفسير النسفي : " هو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم الله في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين .... [3] .

والتعبير بالماضي (أمروا) ويراد به الاستقبال ، مجاز لغوي ، حيث شبه تحقق وقوع هذه الأفعال في المستقبل بشيء تحقق و وقع ، على سبيل الاستعارة التصريحية والغرض منها تيقن الوقوع.

وفي الآية مقابلة بين قوله: (وأمروا بالمعروف) و: (نهوا عن المنكر) فالنهي عن المنكر آيل إلى الأمر بالمعروف ، وكذلك الأمر بالمعروف آيل إلى النهي عن المنكر ، وإنما جمعت الآية بينهما لأنه بضدها تتميز الأشياء ، يقول الشيخ بن عاشور :" وإنما جمعت الآية بينهما باعتبار أول ما تتوجه إليه نفوس الناس عن مشاهدة الأعمال ، ولتكون معروفة دليلاً على إنكار المنكر وبالعكس ؛ إذ بضدها تتمايز الأشياء ... [4] .

---

[1] : الكشاف ٤/ ٢٠٠ .

[2] : التحرير والتنوير مج٧ ١٧ / ٢٨٢ .

[3]: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٢/ ٤٤٤ تأليف أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، ت: يوسف علي بديوي ، د/ محي الدين ديب مستو ١٤٢٦ هــ .

[4]: التحرير والتنوير مج٧ ٢٨٠/١٧ .

مجيئه لما لم يسم فاعله :

١٨_ قـــال الله تعـــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء:٦٠] .

نزلت هذه الآية في المنافقين الذين يريدون التحاكم إلى أهل الطغيان لايريدون التحاكم إلى الرسول ﷺ وجاء الخطاب فيها موجهاً له ﷺ.[1]

وقد جاء الفعل (أمر) مبنياً لما لم يسم فاعله ، لأنه معلوم لدى المخاطب ، فالآمر هو الله سبحانه وهو أمر حقيقي ، لأن طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ أمر حتمي الوجوب ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

وقد ذكر الرازي أن هذه الآية فيها دلالة على أن من لم يرد شيئاً من أوامر الله ورسوله ﷺ وأراد حكم غيره فهو منافق ، يقول : "ذكر في هذه الآية أن المنافقين والذين في قلوبهم مرض لا يطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه وإنما يريدون حكم غيره "([2]) .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها فصل للاستئناف للتعجب من حال هؤلاء المنافقين ([3]) .

ثم فصل بين قوله :(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وقوله: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) لأن الثانية جاءت جواباً لسؤال نشأ من الأولى ، فكأنه قيل : ماذا يريدون ؟ فقيل :يريدون ... ([4]) ، فبين الجملتين شبه كمال اتصال .

وذكر بعض المفسرين [5] أن الطاغوت هنا يراد به كعب بن الأشرف ،سمي طاغوتاً على المجاز، فقد شبه من اختار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ بحال من تحاكم إلى الشيطان والجامع ابتغاء الحق والهدى من غير أهله ، فالاستعارة تمثيلية ، يقول الزمخشري : " أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله

---

[1] : ينظر المحرر الوجيز ٤٥٠

[2] : التفسير الكبير ١٠ / ١٢٣

[3] : ينظر : التحرير والتنوير مج٢ ٥/ ١٠٢

[4] ينظر تفسير أبي السعود ٢/١٩٤

[5] : ينظر مثلاً : تفسير البغوي ٤٤٦/١ والكشاف ٩٧/٣ وتفسير البيضاوي ٣/ ٢٩٤

ﷺ على التحاكم إلى الله تحاكماً إلى الشيطان [1] ، أو يكون المجاز مرسلاً علاقتــه الــسببية ، حيث سمي كعباً بالطاغوت لأنه سبب في الضلال ، يقول الشهاب " وقيل إنه مجاز مرســل بالتسمية باسم السبب الحامل عليه " ([2]).

ومن خلال الــتأمل في الآية يلحظ المزاوجة بين الأفعال الماضية والمضارعة ، وأن الأفعال الماضية المسندة لله ــ تعالى ــ جاءت مبنية لما لم يسم فاعله ، لأن الفاعل معلوم و لا يصح إسناده إلا له سبحانه ، فقوله : (أنزل إليك وأنزل من قبلك ، أمروا) بني لما لم يسم فاعله للعلم بالفاعل لأنها لا تحدث إلا منه سبحانه ، أما الأفعال المضارعــة : (يزعمون ، يريدون ، ويتحاكموا ، ويكفروا ، ويريد ، ويضلهم) فإنها ــ والله أعلم ــ تفيد تجدد هذه الأفعال من المنافقين.

١٩ ــ وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ ﴾الأنعام:١٤

جاءت هذه الآية خطاباً للرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وذلك حينما دُعي إلى دين آبائه ، فقال الله تعالى : قل أغير الله أتخذ وليا.... الآية (٣)

وقد جاء الفعل (أمرت) ماضياً لأنه في سياق تشريع ، فالإسلام قد أُمر به وثبت ، وجاء الفعــل على صيغة ما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب ، وهو الله سبحانه وتعالى ، فمثل هــذه الأوامر لا تصدر إلا منه سبحانه[4] . والمأمور به هو أن يكون أول من يسلم من هذه الأمة ، لأن الــنبي ﷺ سابق أمته في الدين (٥) .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها (وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم) فصل ، لأنها جاءت جواباً لكلامهم ، فبينهما شبه كمال اتصال ، ثم فصل قوله : (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) لنفس السبب السابق ، فمثار الاستئنافين واحد ، لكن الغرض منهما مختلف ، لأن الأول يحــوم

---

1 : الكشاف ٢/ ٩٧

2 : حاشية الشهاب ٣ / ٢٩٤

3: ينظر المحرر الوجيز ٦٠٦ .

4: ينظر التحرير والتنوير مج٣ ٧/ ١٥٩ .

5 : ينظر تفسير البغوي ٢/٨٨ .

حول الاستدلال بدلالة العقل على إبطال الشرك ، وهذا استدلال بدلالة الوحي الذي فيه الأمر باتباع دين الإسلام ، وما بني عليه الإسلام من صرف الوجه إلى الله([1]) .

وفي قوله : (قل أغير الله أتخذ ولياً) الاستفهام هنا للإنكار " أي لا أتخذ ولياً غير الله أتولاه وأعبده "(٢) ، ولذلك دخلت همزة الاستفهام على الاسم لا الفعل ؛ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي (٣) .

يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني :" وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنه لا يكون لو أُخر ، فقيل : (قل أأتخذ غير الله ولياً) و (أتدعون غير الله) وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك : (أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً ؟ و أيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ، و أيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك ؟ ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل : أأتخذ غير الله ولياً ، وذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط ، ولا يزيد على ذلك" (٤).

وبين قوله (السموات والأرض ، يُطعم ولا يُطعَم) طباق ، والغرض منه – والله أعلم – زيادة الإنكار عليهم باتخاذ غير من اتصف بهذه الصفات ولياً .

٢٠ــ وقال تعالى : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١ ﴾ [الأنعام : ٧١]

الخطاب هنا موجه للرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وهو عام لجميع أمته ، وفيه رد على عبدة الأصنام، وقيل إنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق عندما كان يدعو أباه إلى الكفر، وتوجيه الأمر لرسول الله ﷺ مع أنها نزلت في أبي بكرالصديق للصحبة التي كانت بينه وبين الرسول ﷺ وتنويهاً بشأن الصديق ([5]).

---

[1] : ينظر : التحرير والتنوير مج ٣ ٧ /١٥٩ .

[2] : زاد المسير في علم التفسير ٤٢٧ تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط١ / ١٤٢٣هـ دار ابن حزم – بيروت .

[3] : ينظر الكشاف ٣٢٩/٢ والتفسير الكبير ١٣٩/١٢ وتفسير البحر المحيط ٩٠/٤ لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ط٢ /١٤٠٣ هـ دار الفكر بيروت .

[4] : دلائل الإعجاز ١٢٢ .

[5] : ينظر : الكشاف ٢ / ٣٦٢ وتفسير أبي السعود ٣/ ١٤٩ وحاشية الشهاب ٤/ ٧١

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي لأنه جاء في سياق تشريع فهو أمر تقرر وثبت الأمر بـــه أول الدعوة ، وبُني الفعل لما لم يسم فاعله ، لأن الآمر معلوم لدى المخاطب لا ينصرف الــذهن إلا إليــه ـــ سبحانه ـــ .

وقد جاء في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصل ، فالثانية معطوفــة على الأولى لأنها داخلة تحت القول ، فكأنه قيل : قل هذا القول ، وقل : أمرنا لنسلم لرب العــالمين ، وهذا رد على الكفار الذين زعموا أنهم سيحملون خطايا أصحابهم إذا اتبعوهم ، فذكر نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم : إن طريق الله الذي بينه لنا وأمرنا بلزوم شرعه هو الهدى والاســتقامة ، وأمرنــا ســبحانه بالخضوع له ، والعبودية له سبحانه دون ما سواه ، وجاء التعبير بالربوبية للتأكيد على وجوب الامتثال وتعليل الأمر وأحقيته [1] .

وقد فصلت هذه الآية عما قبلها لأنها مؤكدة لها ، فبين هذه الآية وما قبلها كما اتصال ، يقول الرازي: " واعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام ، وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك (قل إني نهيت أن أعبد الذي تدعون من دون الله) "[2] .

ومن خلال التأمل في الآية يلحظ تكرار كلمة (الهدى) أربع مرات ، لأن الحديث هنا عن الإســلام وهداية الله له ، والتأكيد على اختصاص الهدى بهداه ، " فقوله :(هو الهدى) وحده ، فالحصر مستفاد من تعريف الطرفين أو ضمير الفصل " [3] .

وفي الآية تشبيه تمثيلي ، يعتمد على معنى قوله (استهوته) ، فإذا كانت الكلمة مشتقة مــن هَــوَى في الأرض وهو النزول من مكان عالٍ [4] فإنه تشبيه لحال من خلص من الشرك ثم عاد إليه بحال إنــسان سقط من مكان علي إلى الوهدة العميقة المظلمة ، ووجه الشبه الاضطراب والضعف يقول الــرازي : "ولا شك أن حال هذا الإنسان عند هويه من المكان العالي إلى الوهدة العميقة المظلمة يكون في غايــة الاضطراب والضعف والدهشة" [5].

أما إذا كانت الكلمة مأخوذة من مهمه الأرض وهي الفلاة [6] فيكون تشبيه حال المرتد عن الإســلام العائد إلى الشرك بحال الإنسان الذي استهوته الأرض في المهامة فأضلوه فهو حائر بائر بعدما كان على

---

1 : ينظر : الكشاف ٢/ ٣٦٣ وتفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ٧/ ٢٣٨

2 : التفسير الكبير ٢٥/١٣

3 : ينظر : حاشية الشهاب ١٢٩/٤

4 : يقال : هوى السهم هُويا سقط من علو إلى سفل لسان العرب ١٦٦/١٥ (هوة) .

5 : التفسير الكبير ٢٥/١٣

6 : المهمة : المفازة البعيدة ، والجمع مهامه – لسان العرب ٢١٢/١٣ (مهمه)

الجادة ، ووجه الشبه الضياع والحيرة ، يقول البغوي :" هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى ، كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق ، يقول أصحابه من أهل الرفقة هلم إلى الطريق ويدعوه الغول ، فيبقى حيران لا يدري أين يذهب ، فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة , وإن أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى "(١) .

وقوله :(نرد على أعقابنا) كناية عن الذهاب من غير رؤية موضع القدم ، وهو ذهاب بلا علم بخلاف الذهاب مع الإقبال ، فالأصل في الإنسان هو الجهل لقوله تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) [سورة النحل :٧٨] ، فإذا ترقى الإنسان وتكامل حصل له العلم ، وإذا رجع عن هذا العلم حصل له الجهل مرة أخرى ، فكأنه رجع لأول مرة ، ولهذا السبب يقال : فلان رد على عقبيه (٢) .

وفي الآية طباق بين قوله :(مالا ينفعنا) وبين :(ولا يضرنا) فالنفع ضد الضر ، ولعل في هذا الطباق تقبيح لما يدعو إليه هؤلاء ؛ " لأن أدنى مراتب المعبودية القدرة" (٣) ، وهم يدعون إلى عبادة ما لا يقدر على نفع ولا ضرر والله أعلم .

٢١ــ وقال الله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] .

الخطاب في هاتين الآيتين موجه للرسول ﷺ، يقول ابن عطية عن هاتين الآيتين وما قبلهما : " هذا أمر من الله عز وجل لنبيه ــ عليه الصلاة والسلام ــ بالإعلان بشريعته ونبذ ما سواهما من أضاليلهم ، ووصف الشريعة بما هي عليه من الحسن والفضل والاستقامة " (٤) .

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي لأنه جاء في سياق تشريع ، فالأمر بالإسلام والتوحيد قد ثبت وأُقر ، وهنا الأمر بإعلانه ، وجاء مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الآمر معلوم لدى المخاطب ، وهو الله جل في علاه ، فلا ينصرف الذهن إلا إليه ، والأمر مسنداً إلى الله سبحانه إسناداً حقيقياً ثم أسند لنائب

---

1 : ينظر : تفسير البغوي ١٠٦/٢ ، وينظر كذلك :تفسير أبي السعود ١٤٩/٣ ، وحاشية الشهاب ٤ / ١٢٨

2 : ينظر: التفسير الكبير ٢٥/١٣ ، وحاشية الشهاب ١٢٨/٤

3 : تفسير أبي السعود ١٤٩/٣

4: المحرر الوجيز ٦٨٠.

الفاعل ، وهو تاء المتكلم ، والمأمور هو رسول الله ﷺ والمأمور به (التوحيد) يقول الزمخشري " وبذلك : من الإخلاص [1] " ، ويقول الرازي : " أي : وبهذا التوحيد أمرت " [2].

وقد عطفت جملة (وبذلك أمرت) وأنا أول المسلمين على جملة (إن صلاتي) فهذا مما أمر به أن يقوله ﷺ [3] .

يقول الرازي :" وحاصل الكلام أنه تعالى أمر رسوله أن يبين أن صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله وتقديره وقضائه وحكمه ، ثم نص على أن لا شريك له في الخلق والتقدير ، ثم يقول : (وبذلك أمرت) أي : وبهذا التوحيد أمرت " [4] .

وقد عطفت جملة (وبذلك أمرت) على قوله (إن صلاتي) لأنها مما أمر بأن يقوله ، يقول الشيخ ابن عاشور : " وجملة (وبذلك أمرت) عطف على جملة (إن صلاتي) ..إلخ ، فهذا مماأمر بأن يقوله" ([5]) .

والتقديم للجار والمجرور (وبذلك) على (أمرت) تفيد الحصر ، فالمعنى : بذلك القول والإخلاص أمرت لا بشيء غيره [6] .

٢٢ـ وقال الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١]

في هذه الآية وصف الله ﷻ اليهود والنصارى بضرب آخر من الشرك ، وهو اتخاذ الأحبار والرهبان والمسيح أرباباً من دونه ﷻ.

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً لأنه في سياق الحديث عن شريعة سماوية سبق فيها الأمر بعبادة الله وحده ، لكن أصحابها ضلوا فاتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دونه ﷻ، وجاء الأمر مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب ، فهو أمر صادر منه ﷻ على العلو والوجوب ، فعبادته سبحانه واجبة على الثقلين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

---

1 : الكشاف ٢/٤١٩ .

2: التفسير الكبير ١١/١٤ .

3: ينظر : التحرير والتنوير مج٤ ٨/٢٠٤ .

4 : التفسير الكبير ١١/١٤ .

5 : التحرير والتنوير مج٤ ٨/ ٢٠٤ .

6 : ينظر روح المعاني مج٥ ٨/ ١٠٤ .

وقد جاء الفعل (أمر) في أسلوب قصر (وما أمروا إلا ليعبدوا) حيث إنه لما كان في عقيدة اليهود والنصارى خلط واشتباه صحح الله اعتقادهم بأسلوب قصر القلب بأن العبادة لله وحده ، وهذا ما أمروا به و لم يؤمروا بعبادة سواه فما بالهم بدلوا وغيروا وأشركوا بالله ما لم يترل به سلطاناً [1] .

وقد وصلت جملة (وما أمروا إلا ليعبدوا إلاهاً واحداً) بما قبلها لالتقائهما في المناسبة ، فالأولى ذكر فيها أن اليهود والنصارى اتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً فأطاعوا أوامرهم ، وهذا ذكر أنهم ما أمروا في كتابيهم إلا بعبادة الله وحده ، وإطاعة أوامره ، يقول ابن عاشور : " وجملة (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا) في موضع الحال من ضمير (اتخذوا أحبارهم) وهي محط زيادة التشنيع عليهم وإنكار صنيعهم بأنهم لا عذر لهم فيما زعموا لأن وصايا كتب الملتين طافحة بالتحذير من عبادة المخلوقات ومن إشراكها في خصائص الإلهية " [2] .

وفصلت عما بعدها (لا إله إلا هو) لأن هذه الجملة مقررة ومؤكدة لصفة الألوهية ، فبين الجملتين كمال اتصال ـــ والله أعلم ـــ .

وجملة (سبحانه عما يشركون) فصلت عما قبلها لأنها جملة اعتراضية قصد بها التتريه والتبرؤ مما افتروا به على الله ، يقول ابن عاشور : " وجملة (سبحانه عما يشركون) مستأنفة لقصد التتريه والتبرئ مما افتروا على الله تعالى" [3] .وتقديم الأحبار على الرهبان ، لأن الأحبار علماء اليهود ، والرهبان علماء النصارى ، ولأن الآية تقدم فيها ذكر اليهود على النصارى في قوله (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) .

٢٣ــ وقال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس:٧٢] .

وردت هذه الآية في قصة نوح عليه السلام حيث مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم ويذكرهم ، ومع ذلك أصروا على الكفر ، وثقل عليه أمرهم .

وقد جاء الفعل (أمر) ماضياً لأنه في سياق تشريع ، فأمره بالإسلام كان قد ثبت له قبل دعوته لهم . وجاء مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب ، وهو الله عز وجل ، يقول الشيخ ابن عاشور : " وبني فعل (وأمرت) للمجهول في اللفظ للعلم به ، إذ إن المعلوم من سياق الكلام أن

---

[1] : ينظر – أسلوب القصر ١٩٦ .

[2] : التحرير والتنوير مجـ١٠/١٧٠ .

[3] : المرجع السابق مجـ١٠/١٧١ .

الذي أمره هو الله تعالى " [1] . والمأمور به الإسلام ، وجملة (وأمرت أن أكون من المسلمين) معطوفة على ما قبلها ، فبعد أن نفى طلب أجر منهم على دعوتهم ذكر هنا أن هذا مقتضى الإسلام [2] ، يقول الطاهر بن عاشور : " وجملة (إن أجري إلا على الله) معطوفة على جملة الجواب ، والتقدير : فإن توليتم فأمرت أن أكون من المسلمين ، أي أمرني الله أن أتبع الدين الحق ولو كنت وحدي " [3] .

وفي الآية قصر حقيقي في قوله (إن أجري إلا على الله) ؛ حيث قصر الأجر على الله وحده ، وفيها نفي طلبه للأجر على دعوته منهم أو من غيرهم [4] ، يقول الشيخ ابن عاشور :" وجملة (إن أجري إلا على الله) تعميم لنفي طلبه أجراً على دعوتهم سواء منهم أم من غيرهم ، فالقصر حقيقي ، وبه يحصل تأكيد جملة (فما سألتكم من أجر) مع زيادة التعميم " [5] ، والنفي فيه موجهٌ إلى كل ماعدا المقصور عليه في الحقيقة ، فهو حقيقي ، وهو قصر موصوف على صفة .

٢٤ ــ وقال الله تعالى :﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يونس:١٠٤] .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ وهو عام ، أي : قل يا محمد لجميع الناس ، فبعد أن ذكر سبحانه دلائل وحدانيته ، وذكّر المشركين بالأقوام السابقة ، وما حل بهم من عذاب وجه الخطاب لرسوله الكريم وأمره بأن يخاطب جميع الناس ويظهر دينه لهم كي تزول الشكوك والشبهات . [6]

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي لأنه جاء في سياق تشريع ، فأمره بالإيمان كان قد تقرر وثبت له قبل خطابه للناس ، وجاء الفعل مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الآمر هو الله – سبحانه – والأمر هنا على العلو لأنه من الله ﷻ والوجوب لأن الإيمان واجب على الجميع ، يقول الشهاب : " فقوله (أمرت) بمعنى وجب علي " [7] .

---

[1] التحرير والتنوير مج ٥ ٢٤١/١١ .
[2] ينظر – الكشاف ١٦٢/٣ والتحرير والتنوير مج٥ ١١/ ٢٤١ .
[3] : التحرير والتنوير مج ٥ ١١ / ٢٤١ .
[4] ينظر التحرير والتنوير مج ٥ ٢٤١/١١ .
[5] : المرجع السابق .
[6] : ينظر المحرر الوجيز ٩٢٨ والتفسير الكبير ١٣٧/١٧ .
[7] : حاشية الشهاب ١١٠/٥ ، وينظر روح المعاني مج ٧ ٢٨٩/١ .

وعطفت جملة (وأمرت أن أكون من المؤمنين) على جملة (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) لاتصالهما في المعنى فبعد أن نفى عبادة غير الله ، لأن العبادة غاية التعظيم لا تليق إلا بالله ﷻ والإيمان من أعمال القلوب والعبادة من أعمال الجوارح ، وهذا يدل على أنه ما لم يصر الظاهر مزيناً بالأعمال الصالحة فإنه لا يحصل في القلب نور بالإيمان والمعرفة [1] .

وقد فصلت هذه الآية عما قبلها لاختلافهما خبراً وإنشاءً ، فقول الله تعالى : (ثم ننجي الذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين) جمل خبرية ، وقوله سبحانه: (قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني ...) جمل إنشائية ، وهي أمر للرسول الكريم ﷺ ، والإنشاء لا يعطف على الخبر ، فبين الجملتين كمال انقطاع، أو يكون بين الجملتين كمال اتصال ، فهذه الآية مؤكدة لمعنى ما قبلها ، فقد أشار الشيخ ابن عاشور إلى أن هذه الآية متصلة المعنى بما قبلها ، يقول : " هذه الجملة متصلة المعنى بجملة (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) إذ المقصود من النظر المأمور به هناك النظر للاستدلال على إثبات الوحدانية [2] .

وفي قوله :(وأمرت أن أكون من المؤمنين) استعمل الإيمان ، أما الآية السابقة في قصة نوح قال تعالى: (وأمرت أن أكون من المسلمين) استعمل الإسلام ، ولا شك في أن للتعبير بهذين الاسمين في هذين الموضعين ، أسرار وأغراض لا يؤديها أحدهما في مكان الآخر ، فالإيمان يطلق على إظهار الخضوع والقبول للشريعة مع الاعتقاد والتصديق بالقلب ، ولا يكون الإيمان إلا باجتماع أمور ثلاثة (تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح) ، أما الإسلام فهو إظهار الخضوع والانقياد ، وعلى هذا يكون الإيمان أعلى مرتبة من الإسلام [3] .

ولما كان سياق الآية هنا الحديث عن العبادة والإيمان ، وجاء قبلها الحديث عن الإيمان ، فقال : (ولولا قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس) سورة يونس ٩٨) ، وقال : [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] [سورة يونس:٩٩]

---

[1] : ينظر – التفسير الكبير ١٧/ ١٣٨ والتحرير والتنوير مج٥ ٣٠٢/١١ .

[2] : التحرير والتنوير مج٥ ٣٠٠/١١ .

[3] : ينظر لسان العرب (أمن) و (سلم) ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن (أمن) و (سلم) للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب ا لأصفهاني ، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين ١٤٢٥ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت . وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ٢/ ٦٣٣ للإمام الحافظ العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ت : سعيد الفلاح ط١ ١٤٠٣ هـ دار الغرب الإسلامي – بيروت .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [يونس:١٠٠] وقال : ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١] ، وبعد هذا قال : (وأمرت أن أكون من المؤمنين) ، وتناسب هذا كله بيّن ([1]) .

أما الآية السابقة (وأمرت أن أكون من المسلمين) فجاء التعبير بالإسلام لأن الأصل في الإسلام وقوعه على الاستسلام والتزام الأعمال الظاهرة ، والسياق هنا الحديث عن قصة نوح عليه السلام و الاستسلام لله والخضوع والانقياد له .

وفي قوله (أعبد) و (لا أعبد) طباق سلب ، فقد نفى عن نفسه عبادة الأصنام وأثبت عبادته للواحد الديان .

٢٥ـ وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ١١٢ [هود: ١١٢] .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ وذلك بعد أن شرح سبحانه وتعالى الوعد والوعيد ، وهذه الآية كلمات جامعة لكل ما يتعلق بالعقائد والأعمال [2] .

وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي لأنه في سياق تشريع ، فقد أُمر رسول الله ﷺ بالاستقامة والتوحيد في وقت سابق ، يقول الشهاب : " وقوله (كما أمرت) يقتضي سبق أمره عليه الصلاة والسلام بوحي آخر " [3] وجاءت الصيغة مبنية لما لم يسم فاعله لأن الآمر معلوم عند المخاطب ، وهو الله عز وجل، فقد أُسندت إليه الصيغة ، يقول ابن عطية : " (أمـرت) مخاطبة تعظيم "[4] .

والمراد بـ (استقم) الدوام على الاستقامة ، فالخطاب هنا للإلهاب والتهييج لأنه معلوم من حاله ﷺ أنه حاصل على الاستقامة ومعصوم من خلافها [5] .

وقد جاء في هذه الآية تشبيه ، حيث شبه الاستقامة المأمور بها بما أمر به ، ووجه الشبه : الخير في كلاهما ، وهذا من تشبيه المجمل بالمفصل ، فالمأمور به (الاستقامة) جزء مما أمر به ﷺ وما أمر به الرسول ﷺ كلي ، ولذلك صح التشبيه [1] .

---

[1] : ينظر : ملاك التأويل ٦٣٣/٢ .

[2] : ينظر التفسير الكبير ١٨ /٥٦ .

[3] : حاشية الشهاب ٢٤٣/٥ .

[4] : المحرر الوجيز ٩٧٣

[5] : ينظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٩٣/٣ للإمام يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي ت : الدكتور عبد الحميد هنداوي ط/١ ١٤٢٣هـ المكتبة العصرية – بيروت

٢٦ـ وقال الله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد:٣٦].

بعد الحديث في الآيات السابقة عن صفات المؤمنين وأحوالهم ، وصفات الكافرين وأحوالهم ذكر في هذه الآية حال أهل الكتاب ، واختلف في المقصود بالكتاب هل هو القرآن أم التوراة أم الإنجيل .

وقد جاء (أمر) ماضياً لأنه في سياق الحديث عن العبادة ، وهي ثابتة ومقررة في وقت سابق لكلامه ، وجاء مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لا ينصرف الذهن إلا إليه .

وقد جاء الفعل (أمر) في أسلوب القصر ، فقد قصر الأمر على عبادة الله وحده ، ,وعدم الإشراك به ، فالأمر موصوف وعبادة الله صفة ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة.

وقد جاء بين قوله : (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه) وقوله (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) فصل ، لاختلافهما خبراً وإنشاءً ، فبين الجملتين كمال انقطاع .

وعطف على هذا الأمر قوله: (ولا أشرك به) لاشتراكها في الحكم الإعرابي مع أعبد ، واتصالهما في المعنى ، فكونه مأموراً بعبادة الله وحده ، فهذا يدل على أنه منهي عن الشرك ، وجملة (إليه أدعو وإليه مآب) بيان لجملة (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أي : أن أعبده وأدعو الناس إلى ذلك [٢]، فبين الجملتين كمال اتصال ، ولهذا فصلهما ، وتقديم الجار والمجرور في هذه الجملة يفيد الاختصاص ، أي إليه لا إلى غيره أدعو .

٢٧ ـ وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل:٩١] [١]

بعد الحديث عن القيامة وأحوال الناس فيها ، وتقديم الدلائل على وحدانية الله سبحانه وتعالى جاء الأمر للرسول الكريم ﷺ بقوله: (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) .

وقد جاء الفعل (أمر) في هذه الآية مرتين على صيغة الماضي لأنه جاء في سياق الحديث عن التشريع ، والأمر بالعبادة والإسلام قد ثبت وتقرر في وقت سابق ، ومجيئهما مبنيان لما لم يسم فاعله لأن

1: ينظر :التحرير والتنوير مجـ٥ ١٢/ ١٧٦ وروح المعاني مجـ٧ ١٢/ ٢٢٩

2: ينظر التحرير والتنوير مجـ٦ ١٥٨/١٣

الآمر هو الله ، فهو معلوم لدى المخاطب لا ينصرف الذهن إلا إليه . وتكرار (أمرت) للإشارة إلى الاختلاف بين الأمرين ، فالأول خاص للرسول ﷺ، وقد عصم من عبادة الأصنام ، والثاني يتعلق بالرسالة ، ودعوة الخلق إلى التوحيد [1] . ولذلك جاءت الأولى في أسلوب القصر بإنما ، فقد قصر ﷺ الأمر على عبادة الله وحده ، فهو قصر موصوف على صفة ، يقول الزمخشري : " أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة " [2] ، ويقول الدكتور هشام الديب : " قصر المأمور به في دينه وملته على عبادة رب هذه البلدة الواحد الأحد الفرد الصمد ولا يشرك به أحداً ولا شيئاً مما أشركته قريش في عبادتها ، والقصر حقيقي في الآية ، وفيه إبطال لمعبوداتهم وتعريض بعدم ملكيتها لشيء في ملكوت السماوات والأرض" . [3]

وفي قوله :(وله كل شيء) احتراس ، لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها [4] . والتعبير بالأفعال المضارعة في قوله (أن أعبد – أن أكون – أن أتلو) للدلالة على الاستمرار فهي أفعال خالدة إلى يوم القيامة [5] .

وكذلك التعبير بالفعل الماضي المبني لما لم يسم فاعله ، فهو دال على الاستمرار والخلود ، لأن جميع الأديان السماوية تأمر بعبادة الله وحده ــ والله أعلم ــ .

٢٨_وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ ﴾ [الزُّمر:١١-١٢]

قال مقاتل : " إن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ ما يحملك على الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك عبد المطلب وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة ، فتأخذ به . فأنزل الله تبارك وتعالى (قل) يا محمد (إني أمرت أن أعبد الله)" [6] .

وقد جاء الفعل (أمر) هنا مرتين على صيغة الماضي لأنه في سياق تشريع ، ومجيئه مرتين لأن الخطاب فيه موجه من الرسول ﷺ إلى كفار قريش يشير فيه إلى أنه أمر بأمرين عظيمين ، الأول يشاركه فيه غيره وهو إخلاص العبادة لله وحده ، والثاني يخصه ﷺ وهو أنه مأمور بأن يكون أول المسلمين ، يقول الشيخ

1 : ينظر: التحرير والتنوير مج٨ ٥٧/٢٠
2 : الكشاف ٤/ ٤٧٨
3 : أسلوب القصر ٢٧٦
4 : ينظر التحرير والتنوير مج ٨ ٢٠ /٥٧
5 : ينظر حاشية الشهاب ٢٧٢/٧
6 : تفسير مقاتل ١٢٩/٣

ابن عاشور :"وعطف (وأمرت) الثاني على (أمرت) الأول للتنويه بهذا الأمر الثاني ، ولأنه غاير الأمر الأول بضميمة قيد التعليل ، فصار ذكر الأمر الأول لبيان المأمور ، وذكر الأمر الثاني لبيان المأمور لأجله ليشير إلى أنه أمر بأمرين عظيمين ، أحدهما يشاركه فيه غيره وهو أن يعبد الله مخلصاً له الدين ، والثاني يختص به وهو أن يعبده كذلك ليكون بعبادته أول المسلمين" (١) ،

وجاء الفعل (أمر) مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الآمر معلوم لدى المخاطب ، وهو الله جل في علاه . وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها فصل قد يكون لشبه كمال الاتصال ، لأن الحديث في الآيات السابقة عن المؤمنين ، فكأن أحداً يسأل : وماذا عن الكفار ؟ يقول الشيخ بن عاشور : " بعد أن أمر الله رسوله ﷺ بخاطب المسلمين بقوله (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا) أمر رسوله ﷺ بعد ذلك أن يقول قولاً يتعين أنه مقول لغير المسلمين" (٢) .

٢٩ـ وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر:٦٦] .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ ، وقد جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي لأنه في سياق تشريع ، وجاء مبنياً لما لم يسم فاعله لأنه صادر من الله ـــ سبحانه ـــ .

وقد عطف (وأمرت) على (نهيت) وقدم النهي على الأمر ، لأنه لما سبقت هذه الآية بذكر الحجج والأدلة على وحدانية الله ﷻ بيّن وجه النهي عن عبادة الأوثان ، يقول الرازي : " ولما بين صفات الجلال والعظمة قال :(قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) فأورد ذلك على المشركين بألين قول ليصرفهم عن عبادة الأوثان ، وبين أن وجه النهي في ذلك ما جاءه من البينات "(٣) .

والمنهي عنه عبادة الأوثان ، والمأمور به إخلاص العبادة لله ﷻ لذلك فإن بين(نهيت) و (وأمرت) طباق ، والآمر والناهي هو الله ، وفي هذا دعوة إلى تحكيم العقل ، وهو أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

---

1 : التحرير والتنوير مج ٩ ٢٣ /٣٥٨

2: المرجع السابق مج٩ ٣٥٧/٢٣

3 : التفسير الكبير ٧٤/٢٧ .

٣٠ــ وقال الله تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشُّورى: ١٥] .

وهذه الآية خطاب للرسول الكريم ﷺ بعد أن بين سبحانه أن الأمم السابقة ما تفرقوا إلا بعد ما جاءهم العلم ، وفي هذا حث لأمة محمد ﷺ على التمسك بكتابهم .

وجاء الفعل (أمر) ماضياً لأنه في سياق التشريع ، وجاء مرتين ، الأولى أمراً بالاستقامة والثاني أمراً بالعدل ، يقول الرازي : " فادع إلى الاتفاق واستقم عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله " [1] ، وعن الأمر الثاني يقول مقاتل : "(وأمرت لأعدل بينكم) بين أهل الكتاب في القول ، يقول : أعدل بما آتاني الله في كتابه ، والعدل أنه دعاهم إلى دينه" [2] ، وقد بين أبو السعود سر تقديم الأولى على الثانية ، بقوله : " (وأمرت لأعدل بينكم) في تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام ، وقيل معناه لأسوي بيني وبينكم ، ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " [3] ، إذن المأمور به الأول هو الاستقامة والإخلاص ، ثم جاء المأمور به الثاني ، وهو العدل والمساواة في تبليغ هذه الدعوة ، والأول أولى بالتقديم فبدونه لن تتم دعوة الخير ــ والله أعلم ــ .

والخطاب في هذه الآية للإلهاب والتهييج لأن المعلوم من حاله ﷺ أنه حاصل على هذه الأمور كلها من عبادة الله والاستقامة على الدعاء إليه [4] .

٣١ــ وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البيِّنة: ٥] .

في هذه الآية إبطال زعم المشركين الذين ادعوا أنهم لا يتركون ما هم عليه ، ولا يتبعون الإسلام إلا إذا جاءهم البينة [5] .

وجاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي لأنه في سياق الحديث عن تشريع وعبادة قد ثبت في وقت سابق فهذه الصيغة تدل على أنهم ما أمروا في الإسلام إلا بمثل ما أمروا في كتبهم ، فالتوراة والإنجيل

---

1 : التفسير الكبير ٢٧/ ١٣٦ .

2 : تفسير مقاتل ٣/١٧٥ .

3 : تفسير أبي السعود ٨/٢٧ .

4 : ينظر الطراز ٣/٩٣ .

5 : ينظر : التحرير والتنوير مج١٢ ٣/٤٧٩ .

أكدت على تجنب عبادة الأصنام ، وأمرت بالصلاة والزكاة ، وجاء الإسلام ليؤكد على هذه الأصول التي أمر بها في جميع الأديان .

وفي قوله : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله ...) أسلوب قصر ، حيث قصر الأمر على العبادة قصراً حقيقياً ، يقول الدكتور هشام الديب : " قصر ما أمروا به على عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به والإسلام إليه، وذلك كله مخالف لما آل إليه حالهم من الشرك والخلاف والضلال ، والقصر في الآية حقيقي " (١) فالأمر موصوف ، وعبادة الله صفة فيكون من قصر الموصوف على الصفة .

وقد جاءت هذه الأمور في غاية الترتيب ، يقول الرازي : " فائدة الترتيب أن الحكيم تعالى أمر رسوله أن يدعوهم إلى أسهل شيء ، وهو القول والاعتقاد ، فقال :(مخلصين) ثم لما أجابوه زاده ، فسألهم الصلاة التي بعد أدائها تبقى النفس سالمة كما كانت ، ثم لما أجابوه وأراد منهم الصدقة وعلم أنها تشق عليهم قال : (لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول)(٢)، ثم لما ذكر الكل قال : (وذلك دين القيمة) "(٣) ، وفي قوله (ذلك) معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد مترلته في الشرف (٤) .

أحوال متعلقاته :

١- شواهد ذكر متعلقات الفعل الماضي (أمر) :

[١] وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ [البقرة : ٢٧] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (به) مذكوراً ، وذلك للإشارة إلى أن قطع ما أمر الله بوصله معصية ، وهو أبلغ من قطع ما أمر الله به نفسه ، يعني : " الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل ، لأنهم قالوا : (نؤمن ببعض ونكفر ببعض) وقال المؤمنون : (لا نفرق بين أحد من رسله) وقيل : أراد به الأرحام" (٥) .

1: أسلوب القصر ٢٢٢ .

2: سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ١/ ٥٧١ ، رقم الحديث ١٧٩٢ ، دار الكتب العلمية ،بيروت .

3 التفسير الكبير ٣٢/٤٦ .

4 ينظر : تفسير أبي السعود ٩/٨٥ .

5 : تفسير البغوي ١/٥٩ .

وذكر الفاعل (الله) وإسناد الأمر إليه فيه تعظيم لأمر الله وبيان أهمية ما أمر به . ولعظم شأن المذكور الذي هو صلات كثيرة ؛ صلة الرحم والقربى والصلات الإنسانية الكبرى ، وقبل هذه صلة العقيدة والأخوة الإيمانية حيث لا تقوم صلة ولا وشيجة إلا معها .والجار والمجرور يتعلق بالفعل (أمر)، وإذا قطع ما أمر الله به أن يوصل تفككت العرى ، وانحلت الروابط ، ووقع الفساد في الأرض وعمت الفوضى (١) .

[٣] وقول الله تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة : ١١٧].

جاء المتعلق الجار والمجرور (به) مذكوراً ، والهاء تعود على القول المأمور به وهو العبادة ، وفي ذلك رد على النصارى الذين ادعوا خلاف ما أمرهم به عيسى عليه السلام فقوله :(أن اعبدوا الله ربي وربكم) عطف بيان للضمير في (به) (٢) ، وكذلك ذكر الفاعل وهو الضمير المتصل (التاء) العائد على لفظ الجلالة ، وذكر المفعول به وهو الضمير المتصل (الياء) في (أمرتني) فيه زيادة لتقرير الكلام وبسطه ، فعيسى عليه السلام مأمور من الله تعالى (المسند إليه) فهو عليه السلام مثلهم ، فكيف يتخذونه إلهاً ؟ ، وفي ذلك توبيخ للنصارى وتقريع لهم .

[١٩] وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾الأنعام:١٤

ذكر المتعلق الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم (أن أكون أول من أسلم) إعلان بأسلوب الاستنكار أمام كل المداهنين والمشركين الذين يمدون يداً للأذى والخصومة ويداً أخرى للإغراء والمصالحة .

قال سيد قطب : " وفي وجه هذه المحاولة المزدوجة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقذف بهذا الاستنكار العنيف وبهذا الحسم الصريح وبهذا التقرير الذي لا يدع مجالاً للتلميع " (٣) ، فالمصدر المؤول (أن أكون)

---

1 : ينظر في ظلال القرآن ٥٢/١ ج١ سيد قطب ط١١ / ١٤٠٥هـ دار الشروق ، بيروت .

2 : تفسير البيضاوي ٥٨٦/٣ .

3 : المرجع السابق ١٠٥٤/٢ ج٧ .

الذي تعلق بـ(أمرت) قذف في قلوب هؤلاء المشركين الرعب والخوف في الوقت الذي أعلن فيه تصويره لجديّة الأمر الذي أوحى الله به لنبيه الكريم وكلفه به .

[٢١] وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بذا) مذكوراً مقدماً الكلام لإفادة القصر ، أي قصر الأمر على ذلك وهو التوحيد وإقامة الصلاة والنسك من قصر الموصوف على الصفة ، لأن هذه الآية أمر من الله تعالى للرسول ﷺ بإعلان شريعته ونبذ ما سواها من الأضاليل ، جاء في حاشية محي الدين زاده : " (وبذلك) القول أو الإخلاص .. أمرت وأنا أول المسلمين " [١] .

وبداية الآية تشير إلى أن كل ما يصدر من رسول الله ﷺ من حركات وسكنات تتوجه إلى الله وتسبح بحمده " في إسلام كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يُعبّدها لله ،ولا يحتجز دونه شيئا في الضمير ولا في الواقع "[٢] ، فالمتعلق (بذا) أي : كل خالجة تعتري القلب ، وكل حركة تصدر عن الجسم في صلاة ، أو اعتكاف ، أو محيا ، أو ممات .. إنه تجرد كامل لله جل وعلا (وبذلك أمرت) في سمعي وطاعتي حال كوني أول المسلمين ، فهذه الحال تتقصى اليقين والثقة والصلة الهادية لله رب العالمين في الحياة والممات وما وراءها .

[٤] وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف : ١٢] .

ذكر المفعول وهو الضمير المتصل العائد على إبليس وهو (الكاف) في قوله (أمرتك) ، وفي ذكر المتعلق المفعول إشارة إلى أن أمر الله لإبليس كان على الوجوب ، يقول الزمخشري : " و (إذ أمرتك) لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتماً لابد منه" ([٣]) ، وفيه إظهار لكفر إبليس وعناده ، وتحذير من عداوته .

---

[١] : تفسير البيضاوي ٤ / ٢٣٨ .
[٢] : في ظلال القرآن ١٢٤١/٣ ج ٧
[٣] : الكشاف ٢ / ٤٢٦ .

وفيه متعلق محذوف وهو (بالسجود) ، أي أمرتك بالسجود فحذف لوضوح العلم به من الكلام وهو أن تسجد ، أي : أن تسجد إذ أمرتك بالسجود .

[٦] وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٩].

"جاء المتعلق الجار والمجرور (بالقسط) مذكوراً " بياناً للمأمور به إثر نفي ما أسند أمره إليه تعالى من الأمور المنهي عنها" [1]، فهو عند ابن عباس رضي الله عنه : لا إله إلا الله ، وعند الضحاك هو التوحيد ، وعند مجاهد والسدي : العدل [2] .

وقد أسند الفعل إلى الاسم الصريح (ربي) وفي ذلك تعظيم لأمر الله .

[٧] وقال الله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف:٤٠] .

ذكر المفعول به (ألا تعبدوا) وقد جاء بصيغة مصدرية ، مؤولة في (أن لا تعبدوا) ، وقصر العبادة عليه وحده جل في علاه لأهمية المعبود ، وأسند الأمر إليه تعالى (هو) .

قال بن عاشور : " وجملة (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) انتقال من أدلة انفراد الله تعالى بالإلهية إلى التعليم بامتثال أمره ونهيه ، لأن ذلك نتيجة إثبات الإلهية والوحدانية ، فهي بيان لجملة (إن الحكم إلا لله) "[3] .

[١٣] وقال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف:٦٨] .

---

1 : روح المعاني مجه ٨/ ١٥٨ .

2 : ينظر تفسير البغوي ١/ ١٥٦ .

3 : التحرير والتنوير مج ٥ ٢٧٧/١٢ .

صرح بذكر المسند إليه (أبوهم) لبيان حرص أبيهم الشديد عليهم ، وأنه يعلم من الله ما لا يعلمون ، جاء في حاشية محي الدين زاده : " قال الإمام : إن الإنسان مأمور بأن يراعي الأسباب المعتبرة في هذا العالم ، ومأمور أيضاً بأن يجزم بأنه لا يصل إليه إلا ما قدره الله تعالى ، وأن الحذر لا ينجي من القدر ، فالإنسان مأمور بأن يحذر ويتفطن للأشياء المهلكة .. ولا يدخل في الوجود إلا ما أراده الله ، فينبغي للإنسان أن يجمع بين رعاية الأسباب المعتبرة في هذا العالم وبين ألا يعتمد عليها ، ولا يراعيها إلا لمحض التعبد ، بل يربط قلبه بمشيئة الله تعالى ، وأن يقطع رجاءه عن كل شيء سواه "[1] .

وجاء المفعول (هم) مذكوراً وهو الضمير العائد على إخوة يوسف عليه السلام وذلك "لتربية الفائدة وتكثيرها"[2] ، ولو لم يكن الأمر مهماً لهم لكان السياق على غير ذلك ، فتقديم المفعول (هم) يشير إلى الحاجة التي في نفسه ، ويبدو أنها مشاعر الخوف عليهم ، وذلك أن " العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون "[3] ، قال سيد قطب رحمه الله : " والجو يوحي بأنه كان يخشى شيئاً عليهم ، ويرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاء لهذا الشيء مع تسليمه بأنه لا يغني عنهم من الله من شيء فالحكم كله إليه ، والاعتماد كله عليه ، إنما هو خاطر شعر به ، وحاجة في نفسه قضاها بالوصية وهو على علم بأن إرادة الله نافذة ، فقد علمه الله هذا فتعلم "[4] .

[٩] وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ﴾ [الرعد : ٢٥] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (به) مذكوراً ، وذلك للإشارة إلى أن قطع ما أمر الله بوصله معصية ، وهو أبلغ من قطع ما أمر الله به نفسه ، وذكر الفاعل (الله) وإسناد الأمر إليه فيه تعظيم لأمر الله ، وقد حذف مفعول (أمر) وتقديره (هم) يقول الشيخ عبد القاهر عن مواضع ترك المفعول : " فنوع منه ، أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص ، قد علم مكانه ، إما بجري ذكر أو دليل حال ، إلا

---

[1] : حاشية محي الدين زاده ٥/٥٧ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي على تفسير القاضي ، ضبطه وصححه : محمد عبدالقادر شاهين ط١/ ١٤١٩هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[2] : علم المعاني ١ / ١٩٦ دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ط١ ١٤١٩هـ دار المعالم الثقافية – الاحساء

[3] : التفسير الكبير ١٨/ ١٤٠ .

[4] : في ظلال القرآن ٢٠١٨/٤ ج ١٣ .

أنك تنسيه نفسك وتخفيه ، وتوهم أنك لم تذكر الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديـــه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول" [1] ، ولعل في ذلك إشارة إلى تعظيم أمر الله ـــ والله أعلم ـــ .

[٢٦] وقال الله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد:٣٦]

جاء في حاشية محي الدين زاده في قول الله تعالى : (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) جواب للمنكرين أي : إني أمرت فيما أنزل إلي أن أعبد الله وأُوحّده وقُرِيء (ولا أشــرك) بـــالرفع علـــى الاستئناف .

و الأمر الذي أمر به الرسول الكريم ﷺ هو عبادة الله (أن أعبد الله) . قال سيد قطب : "(فله وحده العبادة وعليه وحده الدعوة ، وله وحده المآب ، وقد أُمر الرسولﷺ أن يعلن منهجه في مواجهة مـــن ينكر بعض الكتاب ، وهو استمساكه الكامل بكامل الكتاب الذي أنزل إليه من ربه سواء فرح به أهل الكتاب كله ، أم أنكر فريق منهم بعضه " [2] ويتساءل المرء عن سر التركيز على فحوى الأمر (أن أعبد) فيبدو له بعد تجلية الموقف أنه الهدف الأول والأخير في الحياة ، وصدق الله حيث يـــقول (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) مصدر صريح يبين ماهية الأمر ومايتعلق به . والمتلقي لهذا الأمر هو الرسول الكريم ﷺ والمقصود بالخطاب هم الناس الآخرون الذين وضح لهم الهدف وتبين لهم السبيل .

[١٠] قـــال الله تعـــالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦].

ذكر المفعول به (مترفيها) ؛ لأن الترف الذي يتمتع به هؤلاء يغري الأتباع بالمعصية أيضاً ، فـــالنفس الإنسانية تتبع المترف، حتى لو كان المتبوع على خطأ إذا كان الإغراء شديداً ، وذكر المفعول مترفيهـــا إظهار لحقيقة هذا النوع من الناس ، وفي ذلك بسط الكلام وزيادة تقريره ، يقول ســـيد قطـــب : " فـــ(المترفون) في كل أمة هم : طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ، ويجدون الراحة ، فينعمون بالدعة والراحة والسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأسن ، وترتع في الفسق والمجانة ، وتـــستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات وتلغ في الأعراض والحرمات ، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم

[1] دلائل الإعجاز ١٥٥ .

[2] : المرجع السابق ٤/ ٢٠٦٤ ج١٣.

عاثوا في الأرض فساداً ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها ، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها ، ومن ثم تتحلل الأمة ، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها "[1] وقد حذف المتعلق بالفعل (أمر) الجار والمجرور ، وتقديره (أمرنا مترفيها بالخير) لأن سياق الآية يدل عليه فالفسق ينافي كونه مأموراً به فدل ذلك على أن المأمور به هو ضده ، ذلك على أن المأمور به غير الفسق " [2] .

.[١٧] وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١] .

جاء المتعلق بالأمر الجار والمجرور (بالمعروف) مذكوراُ ، وقد حذف المفعول المتعلق بالفعل ، وتقديره (وأمروا الناس بالمعروف) ، وذلك للتعميم مع الاختصار ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون لعامة المسلمين ، يقول سيد قطب رحمه الله : "وكلمة : (أمروا) هكذا بلفظ (واو) الجماعة التي أسندت إليه ، يدل على أن جسد هذه الأمة سليم وقوي ، ولأن أعضاء هذه الجماعة أدوا حق الله وانتصروا على شحّ أنفسهم وتطهروا من الحرص ، وغلبوا وساوس الشيطان ونزغاته ، وسدّوا خلة الجماعة وتكافلوا فيما بينهم حتى لا يبقى فقير أو محتاج ، وسمو بأنفسهم عن الخلاف والتفرق وحققوا بما أمروا صفة الجسم الحي كما قال الرسول ﷺ : (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) [3] "[4] .

[٢٩] وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر:٦٦] .

منذ البداية يتضح لنا ما تعلق بهذا الأمر ، وهو المصدر (أن أسلم) فالأمر الذي جاء من السماء هو إسلام الوجه لله رب العالمين ، والأمر إعلان كلمة الحق التي أمر الله بها .

وطي الفاعل وبناء الفعل للمجهول يوحي بأهمية الأمر وعظمته ومسؤولية المأمور في إسلام الوجه لله رب العالمين ، قال سيد قطب : " أمام هذه الآيات والهبات وما تلاها من تعقيبات ، وفي أشد اللحظات

---

[1] : في ظلال القرآن ١٥/ ٢٢١٧ ج٤ .

[2] : ينظر التفسير الكبير ١٤٠/٣٠ .

[3] : صحيح البخاري ، (باب رحمة الناس والبهائم) ١٠٥١ ، رقم الحديث ٦٠١١

[4] : في ظلال القرآن ٤/ ٣٤٢٧ ج٧.

امتلاء بحقيقة الوحدانية وحقيقة الألوهية وحقيقة الربوبية يجيء التلقين لرسول الله ﷺ ليعلن للقوم أنه منهي عن عبادة ما يدعون من دون الله مأمور بالإسلام لله رب العالمين " [١] .

[١١] وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التَّحريم:٦] .

ذكر المفعول به (هم) العائد على الملائكة، وفي ذكره ثناء على الملائكة ومدح لهم ، فهم لا يخالفون الله ﷻ في أوامره ولا يتثاقلون في أدائها .

وفي هذه الآية حذف الجار والمجرور وتقديره (لا يعصون الله ما أمرهم به) لأنه معلوم موضعه وتقديره وهذا ثناء على الملائكة في التزامهم بأوامر الله وقبولها [٢]

[١٥] وقال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ ﴾ [العلق : ١٢] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالتقوى) ، وقد تعدى الفعل بحرف الجر ، ومن الجدير بالذكر أن الأمر بالتقوى متعلق بإصلاح الغير ، ولأنه ﷺ كان في صلاته آمراً بالتقوى ، وكل من رآه في صلاته رق قلبه [٣] .

قال سيد قطب : "ثم يمضي المقطع الثالث في السورة القصيرة صورة من صور الطغيان صورة مستنكرة يعجب منها ، ويقطع وقوعها في أسلوب قرآن فريد (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ؟ أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ؟ أرأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى) ، فالتشنيع والتعجب واضح في طريقة التعبير التي تتعذر مجاراتها في لغة الكتابة ، ولا تؤدى إلا في أسلوب الخطاب الحي الذي يعبر باللمسات المتقطعة في خفة وسرعة " [٤] .

---

[1] : في ظلال القرآن ٣٠٩٥/٥ ج٢٤ .
[2] : ينظر : تفسير أبي السعود ٨ / ٢٦٨ .
[3] ينظر التفسير الكبير ٢٢/٣٢ .
[4] : في ظلال القرآن ٣٩٤٢/٦ ج٣٠ .

٢ـ شواهد حذف متعلقات الفعل الماضي (أمر) :

[١٦] قال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤] .

حذف المفعول ، وتقديره (الناس) والحذف هنا للعلم به ، فالأمر لا يكون لغير الناس ، وقوله (أو إصلاح بين الناس) تأكيداً أو حثاً ، و لأن هذه الصفات أعمال خير يجب أن تكون في المسلمين عامة، وإن كان سبب النزول خاصاً، ، وقد أسند الفعل إلى المسند إليه الضمير المستتر (هو) وجاء المتعلق الجار والمجرور (بصدقة) مذكوراً ، وقد عطف عليه المعروف والإصلاح بين الناس للإشارة إلى أن هذه الأمور الثلاثة هي مجامع الخيرات " [1] .

[٢٥] وقال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] .

حذف المتعلقات بـ(أمرت) لدلالة المبني لما لم يسم فاعله عليها ، وقد حذف الفاعل وأقيم نائب الفاعل مقامه ، قال ابن عاشور :"(كما أمرت) ووجه الأمر إلى النبي ﷺ تنويهاً بشأنه يبنى عليه قوله (كما أمرت) فيشير على أنه المتلقي إلى الأوامر الشرعية ابتداءً .. وقد جمع قوله (فاستقم كما أمرت) أصول الصلاح الديني وفروعه "[2] ، وبعد أن تقرر ما تقرر في الآيات السابقة لهذه الآية ، والتي يتبين فيها أنه ثمة تأكيداً يُلقى في النفس الإنسانية أن سنة الله ماضية في خلقه وفي دينه وفي وعده وفي وعيده فلماذا لا يستقيم المؤمنون كما أمروا ؟ ولماذا لا يدينون بطاعتهم لله ؟ يأتي الخطاب لرسول الله ﷺ ومن تاب معه على صيغة الأمر (فاستقم كما أمرت) . قال سيد قطب : " أحس عليه الصلاة والسلام برهبته وقوته حتى روي عنه أنه قال مشيراً إليه (شيبتني هود...) فالاستقامة : الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف ، وهو في حاجة إلى اليقظة الدائمة والتدبير الدائم والتحري الدائم لحدود الطريق ، وضبط الانفعالات البشرية التي تميّل الاتجاه قليلاً وكثيراً ، ومن ثم فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة ، وإنه لمّا يستحق الانتباه أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة لم يكن نهياً عن القصور والتقصير إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة ، وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج ،

---

[1] : ينظر التفسير الكبير ١١ /٣٣

[2] : التحرير والتنوير مج ٥ ١٢/ ١٧٦ .

قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر ، والله يريد دينه كما أنزله ، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو " ([1]) .

و[٢٣]:و قوله: ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس : ٧٢]، و[١٩] ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ [الأنعام:١٤].

حذف الجار للتوسع في المعنى ، و" يحتمل تقدير اللام وتقدير الباء ، فهو يحتمل أن يكون المراد (وأمرت لأن أكون) كما في قول الله تعالى : (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) [الزمر: ١٢] ويحتمل أن يكون المراد (وأمرت بأن أكون) كما في قوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ)[طه:١٣٢] وكلا المعنيين مراد وحذف الحرف للتوسع في المعنى "[2].

[١٤] وقال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور:٥٣] .

أسند الفعل إلى (التاء) العائدة إلى الرسول ﷺ " وحذف متعلق (أمرتهم) لدلالة قوله (ليخرجن)"([3])، وذكر المفعول به (هم) الذي يعود على المنافقين الذين كانوا يقسمون لرسول الله ﷺ " لئن أمرهم بالخروج إلى القتال ليخرجن ، والله يعلم إنهم لكاذبون، فهو يرد عليه متهكماً ساخراً من إيمانهم (قل لا تقسموا طاعة معروفة) لا تحلفوا فإن طاعتكم معروف أمرها ، مفروغ منها لا تحتاج إلى حلف أو توكيد ، كما تقول لمن تعلم عليه الكذب وهو مشهور به : لا تحلف لي على صدقك ، فهو مؤكد ثابت لا يحتاج إلى دليل "[4] .

[١٢] وقال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾ [عبس:٢٣] .

حذف الجار والمجرور وتقديره (ما أمره به) ، ولعل ذلك لأن السياق يتحدث عن النعم التي سخرها الله للإنسان من أجل عبادته ، ومع ذلك لم يؤد العبادة حقها . يقول الزمخشري : " (كلا) ردع

---

[1] : في ظلال القرآن ٤/ ١٩٣١ ج١٢ .
[2] : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٠٧ د فاضل السامرائي .
[3] : التحرير والتنوير مج ٨ ١٨ / ٢٧٨ .
[4] : المرجع السابق مج ٨ ٢٧٨/١٨ .

للإنسان عما هو عليه (لّما يقض) لم يقض بعد ، مع تطاول الزمـــان وامتداده من لـــدن آدم إلى هـــذه الغاية "[1] .

وما أمر الله به الإنسان هو شيء قليل مقارنة بما أعطاه من نعم لم يؤد واجبها، فـــ " لم يذكر أصله ونشأته حق الذكرى ، و لم يشكر خالقه وهاديه وكافله حق الشكر و لم يقض هذه الرحلة على الأرض في الاستعداد ليوم الحساب والجزاء "[2] .

٣_ شواهد التقديم والتأخير لمتعلقات الفعل الماضي (أمر) :

[٢] قال الله تعـــالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٢] .

(كُمْ) ضمير مفعول به ، وقد تقدم على الفاعل لفظ الجلالة (الله) ، وسبب التقديم كون المقـــام للضمير لسبق مرجعه ولايكون إلا متصلاً بالفعل لعدم داع لانفصاله ، ولذلك جاء المفعول (الكـــاف) مذكوراً ، لأن الخطاب في هذه الآية موجه للمسلمين ، وذلكم عندما سُئل رسول الله ﷺ عن مباشـــرة النساء عند الحيض ، فما أمر به المسلمون جاء مخالفاً لما كان عليه اليهود والنصارى ، فالإسلام لا إفراط فيه ولا تفريط . قال ابن عاشور : " (من حيث أمركم الله) قد علم السامعون أنه أمر من الله كان قد حصل فيما قبل .. والمراد بأمر الله أمره الذي به أباح التمتع بالنساء "[3] .

وفي حكم يتعلق بالنهي عن مباشرة النساء في المحيض تتوالى التعليقات في هذا الأمر ، فترفع أمر المباشرة وأمر العلاقات بين الجنسين عن أن تكون شهوة جسد تقضى في لحظة إلى أن تكون وظيفة إنسانية ذات أهداف أعلى من أهداف الإنسان الذاتية ، فهي تتعلق بإرادة الخالق في تطهير خلقه بعبادته وتقـــواه " ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله " ، ولن يكون إلا ما أمر الله به .

[٢١] وقـــال الله تعـــالى : :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ -١٦٣] .

---

1 : الكشاف ٦/ ٣١٦ .

2 : في ظلال القرآن ٣٨٣٢/٦ ج ٣٠ .

3 : التحرير والتنوير مج١ ٢/ ٣٧٠

جاء المتعلق الجار والمجرور (بذا) مذكوراً ومقدماً على الفعل ، وفي تقديمه إفادة القصر، فالآية أمـــر الرسول ﷺ بإعلان شريعته ونبذ ماسواها من الأضاليل ، يقول أبو السعود : " أي بذلك الاخلاص (أمرت) لا بشيء غيره [١].

****

[1]: تفسير أبي السعود ٣ / ٣٠٧

المبحث الثاني : صيغة المضارع :

الفعل المضارع هو ما يدل على حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده ، وله أربع حالات ، وهي : أن يصلح للحال والاستقبال ، أن يتعين زمنه للحال ، أو للاستقبال ، أو أن ينصرف زمنه للمضي ، ولا تتعين حالة منها إلا بشرط ألا تعارضها قرينة تعينها لحالة أخرى [1] .

وقد جاءت مادة (أمر) على صيغة المضارع (٣٩) تسعاً وثلاثين مرة ، تنوع فيها المسند إليه ، فقد جاءت مسندة إلى الله ﷻ في (١٠) عشرة مواضع ([2])، منها (٥) مبنية لما لم يسم فاعله ،كما أنها جاءت مسندة إلى الرسل في (٥) خمسة مواضع ، وجاءت مسندة إلى غير الرسل في مواضع كثيرة تصل إلى (٢٤) أربعة وعشرين موضعاً ، وسأشير إلى دلالاتها في مواضعها .

١- مجيئه مسنداً إلى الله تعالى:

٣٢- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٦٧] .

الحديث في هذه الآية عن قصة من قصص اليهود [3] ، ذكرت هنا لتذكير اليهود بما كان عليه أسلافهم من التعنت والاستكبار وعدم الامتثال لأوامر الله سبحانه .

وجاء الإخبار بالأمر على صيغة المضارع (يأمركم) لأنه جاء في سياق الحديث عن اليهود ، وأوامر الله لليهود كثيرة ، ومع ذلك فهم أهل عناد واستكبار ، ولعل في ذلك تعريضاً وتشنيعاً عليهم في عدم امتثال أوامره سبحانه ، يقول أبو السعود : " توبيخ آخر لإخلاف بني إسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن أسلافهم ، أي واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لأجدادكم ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]" ([4]) .

[1] : ينظر : الأفعال في القرآن الكريم ١/ ٢٥ والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٠٣

[2] :ورد اثنان منها في المبحث السابق ، لأنها جاءت مع صيغة الماضي ، الأولى مبنية للمعلوم ، والثانية مبنية لما لم يسم فاعله ، وهما ، قوله تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) [الأعراف : ٢٨] ، وقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [التحريم : ٦]

[3] : تتلخص القصة في قتيل لم يهتدوا إلى قاتله ، فلجؤوا إلى نبي الله موسى ـــ عليه السلام ـــ فأخبرهم أن الله يأمرهم بذبح بقرة وضرب القتيل بجزء منها يحيا ويخبرهم بالقاتل ، لكن اليهود أهل عناد واستكبار فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم

[4] : تفسير أبي السعود ١/ ١١٠

وقد أسند موسى الأمر إلى الله ﷻ و لم يسنده إلى نفسه ﷵ فلم يقل (إني آمركم)، ليكون ذلك أعظم وقعاً في نفوسهم وأدعى إلى قبوله وامتثاله)[١]، ولأن الآمر في الحقيقة هو الله وليس موسى ﷵ فجاء الإسناد على حقيقته .

وقد جاء بين قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) وقوله : (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ) فصل لشبه كمال الاتصال ، فقوله (قالوا أتتخذنا هزوا)جواب لسؤال نشأ عن قوله (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) ، "وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، و لم يدروا ما الحكمة فيه " ([٢]) ، ويقول أبو السعود :" (قالوا) استئناف وقع جواباً عما ينساق إليه الكلام ، كأنه قيل : فماذا صنعوا هل سارعوا إلى الامتثال أو لا ، فقيل: (قالوا أتتخذنا هزوا) " [٣].

ومجيء الفعل المضارع (أتتخذنا) مسبوقاً بهمزة الاستفهام الإنكاري لاستبعاد ما قاله ، والمعنى : أتسخر بنا فإن جوابك لا يطابق سؤالنا ولا يليق [٤] ، ويقول الشهاب : " ولا يخفى أنه يشعر بالاستخفاف فلا يتوهم أنه يأباه انقيادهم له فإنه بعد العلم بأنه جد وعزيمه " [٥] ، ولعل في ذلك تشنيعاً لهم في عدم امتثالهم أوامر الله سبحانه .

٣٣- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨ ﴾ [النساء:٥٨] .

ذكر العلماء أن هذه الآية نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة ، في عثمان بن طلحة ، قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة يوم فتح مكة ، فدخل الكعبة وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح ، وقال : خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله لا يترعها منكم إلا ظالم ([٦]) . وقد جاء الفعل (يأمركم) على صيغة المضارع الدال على الاستمرار التجددي ، فالأمر بالأمانة لا ينتهي عند زمن معين بل هو متجدد إلى قيام الساعة ، فالخطاب هنا عام يشمل جميع الأمة ، يقول البيضاوي " (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ) خطاب

[1]: ينظر تفسير القرآن العظيم ٢٢٥/١
[2]: تفسير البغوي ٨٠/١
[3]: تفسير أبي السعود ١١٠/١
[4]: ينظر : التفسير الكبير ١٠٨/٣وروح المعاني مج١ ٤٥١/١
[5]: حاشية الشهاب ٢٨١/٢
[6]: ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٦٠ للسيوطي ، ت: فواز أحمد زمرلي ط١ / ١٤٢٤هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، والعجاب في بيان الأسباب ٨٩١/٢ لشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، ت: عبدالحكيم محمد الأنيس ط١ /١٤١٨هـ دار ابن الجوزي ، السعودية

يعم المكلفين والأمانات وإن نزلت يوم الفتح في عثمان "([1]) ، والخطاب إذ وجه للنبي ﷺ تدخل معه أمته في الخطاب ولايخرج أحد إلا بدليل ، وكذلك إذا وجه الخطاب للأمة فإن النبي ﷺ يدخل معهم ولايخرج إلا بدليل ([2]) ، يقول الدكتور محمود توفيق : " فدلالة قوله (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ) على طلب إيجاد ما أخبر أنه يأمر به أدل من دلالة صيغة الأمر على ذلك الطلب، كأن يقال : أدوا الأمانات إلى أهلها واحكموا بين الناس بالعدل ، فليست الآية هنا إلى مجرد الخبر بل إلى الأمر الملزم إلزاماً لا يحتمل وجهاً آخر من الوجوه التي تحتلها صيغة الأمر من الندب والإرشاد وغير ذلك .. "([3]) .

وقد وصل بين قوله: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) وبين (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ) لأهما متصلتان في المعنى ، فالحكم بالعدل أمانة ، يقول الرسول ﷺ: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ..)([4]) ومن خلال التأمل في أسلوب الآية نجد أن أسلوبها خبري مؤكد ، فقد بدأت الآية بـ (إن)وهي : " تربط الجملة الثانية بالأولى ، وبسببها يحصل التأليف بينهما ، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً ، ولو أسقطتها ظهر التنافر بينهما وبطلت الملاءمة([5]) " .

وكذلك ذكر المسند إليه (الله) وتكريره ، فلم يقل (إنه يأمركم ، إنه يعظكم ، إنه كان سميعاً بصيراً) ، وفي ذلك ــ والله أعلم ــ تعظيم لشأن الأمانة ، وتأكيد على وجوب امتثال أوامر الله ، وأن مخالفتها معصية ، يقول العلوي عن الإظهار في موضع الإضمار : " إن الإفصاح بالإظهار في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة ، وهو تعظيم حال الأمر المظهر والعناية بحقه ، ومثاله قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) [العنكبوت:١٩] ثم قال بعد ذلك : (ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) [العنكبوت:٢٠]، فانظر إلى إظهاره اسمه جل جلاله في قوله (ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) وكان قياس الإعراب (ثم ينشئ النشأة الآخرة) لأنه قد تقدم ما يفسر هذا الضمير ، وهو قوله (كيف يبدئ الله) ، والفائدة في ذلك هي المبالغة في الأمر المظهر وإظهار الفخامة فيه " ([6]).

٣٤- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

---

[1]: تفسير البيضاوي ٣ / ٢٩٠

[2]: ينظر : الجامع لمسائل أصول الفقه ٢٣٢

[3] : صور الأمر والنهي في الذكر الحكيم ٨٠.

[4] : صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ١٢٢٩ ، رقم الحديث ٧١٣٨

[5] : الطراز ١١٧/٢

[6] : الطراز ٧٩/٢

جاء في تفسير البيضاوي : " قال ابن مسعود ﷺهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ، وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون ﷺ ، ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين "(١) . وقد جاء الفعل (يأمركم) وكذلك (ينهى) و (يعظكم) على صيغة المضارع لإفادة الاستمرار التجددي ، فهي أفعال خالدة لا ترتبط بزمن معين ، مطلقة من الناحية الزمانية ، يقول أبو السعود : " وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والاستمرار "(٢) ، وإيثار الفعل (يأمر) و (ينهى) دون غيرهما من الأفعال يحقق معاني بلاغية أعمق ، يقول الشيخ ابن عاشور : " وذكر (يأمر) و(ينهى) دون أن يقال : اعدلوا واجتنبوا الفحشاء للتشويق ، ونظيره ما في الحديث : (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ...)[3] الحديث "(٤) ، ولعل في ذلك دعوة لامتثال أوامر الله والتحذير من مخالفتها .

وقد جاء الفعل (يأمركم) مسنداً إلى ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على لفظ الجلالة (الله) المصرح به قبل الفعل ، للدلالة على العزة والشرف وأهمية المأمور به .

وقد بدأت هذه الآية بـ (إن) المؤكدة ، فقال سبحانه : (إن الله يأمركم) وذلك لربطها بما قبلها، يقول الشيخ عبدالقاهر عن (إن): "و في (إنّ) هذه شيء آخر ، يوجب الحاجة إليها ، وهو أنها تتولى ربط الجملة بما قبلها "[5] ، فالآية السابقة تقول : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل:٨٩]، وهي تبين عدالة الله ﷻ بأن أرسل الرسل بلسان قومهم حتى تتمكن تلك الأقوام من فهم الرسالة وامتثالها ، يقول بن عطية : " وقوله (من أنفسهم) بحسب أن بعثة الرسل كذلك هي في الدنيا ، وذلك أن الرسول الذي من نفس الأمة في اللسان والسيرة وفهم الأغراض والإشارات متمكن له إفهامهم والرد على معاندهم ، ولا يتمكن ذلك من غير مَنْ هو من الأمة ، فلذلك لم يبعث الله نبياً قط من الأمة المبعوث إليهم "(٦) . أمّا هذه الآية فهي أمر من الله ﷻ للناس بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربى ، ومن هنا يتضح أن بين الآيتين ارتباط في المعنى مستفاد من (إن) التي قال عنها الشيخ الجرجاني : " وذلك أنه هل شيء أبين في الفائدة ، وأدل أن ليس سواءً دخولها وأن لا تدخل أنك ترى الجملة إذا

---

[1]: تفسير البيضاوي ٦٣٩/٥

[2] : تفسير أبي السعود ١٣٦/٥

[3] : صحيح مسلم بشرح النووي ، مج٦ ١٢ / ١٠ ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

[4] : التحرير والتنوير مج٦ ٢٥٤/١٤

[5] : دلائل الإعجاز ٣١٩

[6] : المحرر الوجيز ١١١١

هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً وكأن أحدهما قد سبك في الآخر ؟ " [1] .

وفي هذه الآية تقابل بديع ، حيث قابلت ثلاثة أشياء مخالفة بثلاثة أشياء مخالفة لها في اللفظ والمعنى ، يقول العلوي : " فانظر إلى ما تضمنته هذه الآية من المقابلات الحالية ، والمتضادات المتكافئة ، فالأمر قد اشتمل على ثلاث مقابلات ، والنهي قد اشتمل على عكسها وضدها ثم إن الأمر نفسه يقتضي النهي كما ترى "[2] .

مجيئه مسنداً إلى الرسل عليهم السلام :

٣٥- قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠].

سياق هذه الآية تكذيب الذين يدعون أن الأنبياء يأمروهم بعبادهم من دون الله ﷻ فقد كان النصارى يعظمون الأنبياء ويجعلوهم أرباباً ، وكانت قريش تقول إن الملائكة بنات الله ﷻ عما يقولون علواً كبيراً [3] .

وقد جاء الفعل (يأمركم) في هذه الآية مرتين ، الأولى مسبوقة بـ (لا) الزائدة لتأكيد النفي (لا يأمركم) والثانية مسبوقة بهمزة الاستفهام الإنكاري ، وقد جاء التعبير بصيغة المضارع لأنها تدل على الاستمرار والتجدد ، والعبادة أمر مستمر إلى قيام الساعة لا تنتهي عند وقت محدد ، يقول القرطبي : " فحرم الله تعالى على الأنبياء أن يتخذوا الناس عباداً يتألهون لهم ولكن ألزم الخلق حرمتهم " [4] ، وجاء في تفسير أبي السعود : " و(لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى: (ما كان لبشر) أي : ما كان لبشر أن يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ... وأما ما قيل من أنها غير

---

[1] : دلائل الإعجاز ٣١٦
[2] : الطراز للعلوي ٣/١٩٨ وينظر المقابلة في القرآن الكريم ١٥٩ للدكتور بن عيسى باطاهر ط١/١٤٢٠هـ دار عمان .
[3] : ينظر : تفسير البغوي ١/٢٢١ والجامع لأحكام القرآن ١/٣٦٥ .
[4] : الجامع لأحكام القرآن ١/٣٦٥

مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً بل ينهى عنه .. "[1] . أما قوله: (أيأمركم) فجاءت مسبوقة بالاستفهام الإنكاري ؛ لأنه لا يخطر ببال أن يصدر ذلك القول من الأنبياء ، يقول البغوي : " قالوا له على طريق التعجب والإنكار ، يعني لا يقوله هذا " [٢] .

والمسند إليه يكون على حسب قراءة الآية ، فالآية فيها قراءتان ، فمن قرأها بالنصب (ولا يأمرَكم) تكون عطفاً على (أن يقول)[٣] أو على (أن نؤتيه)[٤] ويكون المسند إليه (البشر) المقصود به إما عيسى وإما عزير [٥] ، ومن قرأها بالرفع (ولا يأمرُكم) بقطع الكلام عما قبله ، فالمسند إليه أما أن يكون الله ﷻ ويكون المعنى (ولا يأمركم الله) أو يكون المسند إليه محمداً ﷺ ، ويكون المعنى (ولا يأمركم البشر الذي أوتي هذه النعم وهو محمد ﷺ[٦] .

يقول الباقولي : "من رفع الراء وقف على ما قبله وهو (تدرسون) ، ومن نصب فقال (ولا يأمرَكم) عطف على قوله : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) ، فليس له أن يقف من أول الآية من قوله : (ما كان لبشر) إلى قوله : (أرباباً) [٧] . وعلى القراءتين لا يخرج المسند إليه من ثلاثة : الله ﷻ أو محمد ﷺأو الأنبياء عليهم السلام .

يقول الرازي : " قال الزجاج : ولا يأمركم الله ، وقال ابن جريج : لا يأمركم محمد ، وقيل : ولا يأمركم الأنبياء بأن تتخذوا الملائكة أرباباً كما فعلته قريش " [٨] .

وقد جاء بين قوله :(وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) وما قبلها وصل لتأكيد النفي ، فقد ذكر بعض المفسرين أن (لا) هنا مزيدة لتأكيد النفي ، وأن هذه الجملة مع ما قبلها في حكم جملة واحدة ، وأن (لا) لا تدل على نفي جديد بل لتأكيد النفي[٩] . وقد جاء بين قوله تعالى: (وَلَا

---

1 : تفسير أبي السعود ٢ / ٥٣

2 : تفسير البغوي ٣٢١/١

3 : ينظر : تفسير البغوي ٣٢١/١ ، والكشاف ٥٤٧/١، والتفسير الكبير ٩٦/٨

4 : ذهب إلى هذا ابن عطية ، فهو يرى أن عطفها على (أن يقول) ليس له معنى ، ينظر : المحرر الوجيز ٣٢٢ ، وقد تبعه في ذلك القرطبي ، ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١

5 : ينظر: تفسير البغوي ٣٢١/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٥/١

6 : ينظر: المحرر الوجيز ٣٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/١

7 : كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات ٣٤٠/١ لنور الدين أبي الحسن علي بن الحسن الباقولي ، ت: عبدالقادر السعدي ١٤٢١هـ ، دار عمار ، عمان .

8 : التفسير الكبير ٩٦/٨

9 : ينظر مثلاً: تفسير أبي السعود ٥٣/٢، والتحرير والتنوير مج٢ ٢٩٦/٣

يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) وبين : (أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) فصل لكمال الانقطاع ، لأن الأولى خبرية والثانية إنشائية .

وقد جاء في الآية مقابلة بين الكفر والإسلام في قوله : (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) ، ولعل في ذلك توبيخاً لهم وتشنيعاً لقولهم ، لأن الأنبياء اصطفاهم الله للأمر بعبادته وحده لا شريك له ، فكيف يأمرون بالكفر !! .

وفي قوله: (أيأمركم) التفات من الغيبة في قوله: (ثم يقول للناس) إلى الخطاب (أيأمركم) لأن المخاطب واحد وهو الناس [1] .

٣٦- وقال تعالى في بيان شأن الذين يتقون ويؤتون الزكاة : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

بعد الحديث عن قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام في الميقات جاءت هذه الآية لتبين التكاليف والأعمال الشاقة التي فرضت عليهم ، فأزالها محمد ﷺ بدينه السمح ، وفيها تسلية لأهل الكتاب الذين آمنوا واتبعوا الرسول ، وقد جاء الفعل (يأمر) على صيغة المضارع الدال على الديمومة والاستمرار ، وكذلك الأفعال (ينهاهم ويحل ويحرم) فهي أفعال لا تقف عند حد زمن معين بل هي تستمر إلى يوم القيامة .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها فصل لكمال الاتصال ، فهذه الآية جاءت بدلاً من الأولى ، فقوله: (الذين يتبعون الرسول الأمي) بدل من (الذين يتقون) " حتى يخرج اليهود والنصارى من الاشتراك في قوله (الذين يتقون) " [2] .

---

[1] : ينظر التحرير والتنوير مج ٢ ٣/ ٢٩٦

[2] : ذكر ابن عطية في تفسير قوله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء) طمع إبليس واليهود والنصارى في رحمة الله ، فلما قال (سأكتبها للذين يتقون) يئس منا إبليس وبقيت اليهود والنصارى ، وقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) أخرجت اليهود والنصارى الذي يظهر في قوله (فسأكتبها للذين يتقون) ينظر : المحرر الوجيز ٧٤٩.

كما جاء بين قوله : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وبين قوله : (يأمرهم بالمعروف) فصل لكمال الاتصال لأنها بيان لصفاته المكتوبة في التوراة والإنجيل ، وهي (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) [1] .

وقد جاء بين قوله: (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) وصل لأنها جمل مترابطة في المعنى .

وفي قوله: (الرسول النبي الأمي) تقديم وتأخير ، حيث قدم الرسالة على النبوة ، فالرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره ، وهي تضاف إلى الله لأنه المرسل بها ، ولهذا قال (برسالتي) ولم يقل بنبوتي ، أما النبوة فقد تكون من غير تحميل نبأ ، ويغلب عليها الإضافة إلى النبي ، فيقال : نبوة نبي [2] . وتقديم الرسالة على النبوة هنا إما للاهتمام وعلو شأن الرسالة بإضافتها إلى الله ﷻ [3] يقول البيضاوي : "وإنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله تعالى ، ونبياً بالإضافة إلى العباد ﴿الأمي﴾الذي يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته " [4] . "أو قدم وصف الرسول لأنه الوصف الأخص الأهم ، ولأن في تقديمه زيادة تسجيل لتحريف أهل الكتاب ، حيث حذفوا هذا الوصف ليصير كلام التوراة صادقاً بمن أتى بعد موسى من أنبياء بني إسرائيل ، ولأن محمداً ﷺ اشتهر بوصف النبي الأمي ، فصار هذا المركب كاللقب له ، فلذلك لا يغير عن شهرته ، وكذلك هو حيثما ورد ذكره في القرآن " [5].

وقد اشتملت الآية على استعارات بليغة تبين الحال التي كانت عليها اليهود ، وهذه الاستعارات جزء من النص تؤكد المعنى الذي سبقت له ، ففي قوله : (ويضع عنهم إصرهم) استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال بني إسرائيل وقد فرضت عليهم الأعمال الثقال والتكاليف الشاقة في فرائضهم وأحكامهم وأزيلت عنهم بدين محمد ﷺ السمح بحال من حُمّل أثقالاً كثيرة فأزيلت عن ظهره [6] ، والجامع بين المشبه والمشبه به هو الزوال والتخلص من تلك القيود والأثقال .

1 : ينظر : التحرير والتنوير مج٢ ٢٩٦/٣ .

2: ينظر : الفروق في اللغة ٢٨٤ لأبي هلال العسكري ت: لجنة إحياء التراث العربي في دار االآفاق الجديدة ط ٥ ١٤٠٢هـ دار الآفاق الجديدة بيروت

3: ينظر : المحرر الوجيز ٧٥٠ وروح المعاني مج٦ ٩/ ١١٦ .

4 : تفسير البيضاوي ٣٨٢/٤ .

5: التحرير والتنوير مج٤ ١٢٩/٩ .

6 : ينظر : التحرير والتنوير مج٤ ١٢٩/٩ وروح المعاني مج٦ ١١٦/٩وتأويل مشكل القرآن ٩٦ تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري علق عليه إبراهيم شمس الدين ط١ /١٤٢٣هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

وكذلك قوله تعالى : (والأغلال التي كانت عليهم) شبه حال من حُرر من الذل والإهانة بحال الأسير المقيد بأغلال أطلق من أسره (١) بجامع التحرر من الذل ، يقول بن عاشور : " ومناسبة استعارة الأغلال للذلة أوضح ، لأن الأغلال من شعار الإذلال في الأسر والقود ونحوهما .." (٢) .

وفي قوله (واتبعوا النور الذي أنزل معه) استعارة تمثيلية ــ أيضاً ــ فقد شبه حال من يهتدي بالقرآن ويتبعه بحال الساري في الليل إذا رأى نوراً يلوح له اتبعه ، ووجه الشبه : النجاة من المخاوف وأضرار السير (٣) .

وقوله (النور) استعارة تصريحية ، فقد شبه القرآن بالنور بجامع الوضوح، ويكنى بذلك عن الشرع الحكيم ، يقول ابن عطية : "وقوله (النور) كناية عن جملة الشرع " (٤) .

وفي قوله : (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مقابلة؛ فالأمر بالمعروف يقابله النهي عن المنكر ، وتحليل الطيبات يقابله تحريم الخبائث ، وهذه هي أكثر الأمور ارتباطاً بحياة الناس العملية ، وأقواها التصاقاً بشؤونهم الدينية والدنيوية ، فالتضاد والتقابل في مجال الحلال والحرام هو الذي يكوّن عناصر الحياة ، وذلك للابتلاء ولتمييز الخبيث من الطيب ليكون الجزاء (٥) .

٣٧- وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم:٥٥] .

هذه الآية تتحدث عن صفات إسماعيل عليه السلام وقد ذكرت أول صفة له في الآية السابقة ، حيث قال : (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) [مريم:٥٤]، وقد جاء الفعل (يأمر)على صيغة المضارع ، ولعل التعبير بالمضارع لاستحضار الصورة التي كان عليها إسماعيل عليه السلام ، جاء في الإكسير : " إذا كان بعض الأحوال الخبرية مشتملة على نوع تميز وخصوصية لاستغراب أو أهمية ، فيُعدل فيها إلى المضارع المستعمل للحال ، إيهاماً للسامع حضورها حال الإخبار

---

[1]: ينظر التحرير والتنوير مج٤ ١٣٠/٩ وروح المعاني مج٦ ١١٧/٩
[2]: التحرير والتنوير مج٤ ١٣٧/٩
[3]: ينظر التحرير والتنوير مج٤ ١٣٠/٩ ، وروح المعاني مج٦ ١١٧/٩
[4]: المحرر الوجيز ٧٥١
[5]: ينظر المقابلة في القرآن الكريم ١٠٨

ومشاهدها " [١] ، وجاءت مسندة إلى إسماعيل ، و لم يذكر المسند إليه لأنه سبقت الإشارة إليه ، فقد ذكر السكاكي أن من مواضع طي المسند إليه " إذا سبقت الإشارة إليه فهو حاضر في الذهن معروف القصد إليه " [٢] .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها وصل لأنها جمل خبرية ومتصلة في المعنى ، فالآيتان قد ذكرتا في معرض الخصال الحميدة له عليه السلام ، وكذلك وصل بين جمل هذه الآية لاتصالهما في المعنى ـــ أيضاً ـــ يقول السعدي : " (وكان عند ربه مرضياً) وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه " [٣] .

وقد كرر (كان) لتأكيد أن هذه الصفات غريزة فيه ـــ والله أعلم ـــ يقول الزركشي عن (كان) : " وحيث أخبر بها عن صفات الآدميين فالمراد التنبيه على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة في نفسه ، نحو (وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا) [الإسراء:١١] "[٤] . وقوله : (بالصلاة والزكاة)قدم الصلاة على الزكاة ؛ لأنها عمود الدين ، ولأنه قد قيل إنه كان يأمر أهله بالصلاة ليلاً وبالزكاة نهاراً ، وقيل إن المقصود بالزكاة الصدقات لا الزكاة المفروضة ، إلا أن اقترانها بالصلاة يشير إلى أنها الزكاة المفروضة [٥] . وبين هاتين المفردتين مراعاة النظير ، فهي ألفاظ مؤتلفة من حقل واحد ، إذ إنها أساس الشرائع السماوية الغراء ، والله سبحانه أعلم .

٣٨ ـــ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٠].

الحديث في هذه الآية عن المشركين الذين إذا أمروا بالسجود للرحمن زادهم هذا الأمر نفوراً واستكبروا عن عبادته ، واستنكفوا عن ذلك [٦] .

1: الإكسير في علم التفسير ١٨٠ للفقيه العالم الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الصرصري البغدادي ، ت الدكتور عبد القادر حسين مكتبة الآداب القاهرة .

2: مفتاح العلوم للسكاكي ٨٤ .

3: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٣٩ تأليف الشيخ أبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ١٤٢٧هـ ـــ المكتبة العصرية بيروت .

4: البرهان في علوم القرآن ٤/١٢٤ .

5: ينظر : التفسير الكبير ٢١/١٩٨ .

6: ينظر : تيسير الكريم الرحمن ٥٢٧ .

وقد جاء الفعل (تأمر) على صيغة المضارع الدال على الديمومة والاستمرار ، لأنه لما كان السياق حديثاً عن أوامر رسول الله ﷺ للمشركين بالسجود لله ، وأن هذا الأمر مستمر متجدد منه ﷺ جاءت هذه الصيغة لتناسب هذا السياق .

و بين هذه الآية وما قبلها وصل لأن الحديث عن كفار مكة ، ووصل قوله: (وزادهم نفوراً) ؛ لأنها متصلة بما قبلها، يقول الشوكاني : " زادهم الأمر بالسجود نفوراً عن الدين وبعداً عنه " [1] .

وقد أسندت زيادة النفور إلى القول إسناداً مجازياً لأنه سبب تلك الزيادة ، فهم كانوا أصحاب نفور من السجود لله ، فلما أمروا بالسجود زادهم بعداً عن الإيمان [2] .

"والخبر هنا كناية في التعجب من عنادهم وبهتانهم وليس المقصود إفادة الإخبار عنهم بذلك لأنه أمر معلوم من شأنهم" [3] .

مجيئه مسنداً إلى غير الرسل :

٣٩ــقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤].

الخطاب في هذه الآية موجه لطائفة خاصة من اليهود بعد أن كان موجهاً لهم جميعاً في الآيات السابقة [4]. وقد جاء الفعل (أتأمرون) على صيغة المضارع دون الماضي لأن المضارع يدل على الاستمرارالتجددي ، ولما كان دأبهم أمر الناس بالبر وعدم التزامهم به جاء الفعل مسبوقاً بهمزة الاستفهام لتفيد الإنكار التوبيخي [5] ، وتدل همزة الإنكار على أن ما بعدها واقع لكنه قبيح وما كان ينبغي أن يكون ، وفاعله ملوم عليه [6] .

والإنكار هنا ليس موجهاً للأمر بالبر إنما وجّه لعدم التزام الآمر به ، ولذلك عطف على هذه الجملة قوله : (وتنسون أنفسكم) ، فالتعجب ناشئ عن الحالتين معاً وهما : الأمر بالبر وعدم الامتثال به .

---

1 : فتح القدير ٨٤/٤

2 : ينظر : حاشية الشهاب ١٥١/٧ ، والتحرير والتنوير مج٨ ٦١/١٩

3: التحرير والتنوير مج٨ ٦١/١٩

4 : الخطاب في الآيات موجه لهم جميعاً حيث قال :(يا بني إسرائيل) فقد كان يسكن في المدينة ثلاث قبائل من اليهود وهم : بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وبنو النضير ، كانوا يسكنون المدينة ترقباً للنبي ﷺ ليؤمنوا به، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ،ينظر : تفسير أبي السعود ٩٧/١ وتفسير القرآن العظيم ١٣٣/١

5 : ينظر : فيض المنان في لطائف القرآن ٩٤

6: ينظر البلاغة العربية (علم المعاني) ٦٦ د. وليد قصاب ط١ /١٤١٩هـــ دار القلم ـــ دبي

وقد جاء بين قوله : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) وبين (وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ) وصل ، للتبكيت وزيادة التقبيح ، إذ كيف يصدر منهم هذا وهم يتلون التوراة ، فهذا مخالف للفطرة التي فطر الناس عليها ، فالعالم إذا خالف صار أشد لوماً من الجاهل (١) .

وختمت هذه الآية بقوله: (أفلا تعقلون)، وفيها استفهام وتوبيخ عظيم لهم ، واستعمل هنا (العقل) لأنه آلة التمييز ، فلو كانت لهم عقول فعلاً لصدهم عن قبح ما يصنعون ، فنزلوا هنا منزلة من انتفى عقله ، وهنا استعارة تمثيلية ، حيث شبه حالهم في أمرهم للناس بالبر وعدم امتثالهم به بحال من لا عقل له ، يقول الزمخشري : " (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم بمعنى : أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه ، وكأنهم في ذلك مسلوبو العقول ، لأن العقول تأباه وتدفعه " (٢) . ويقول ابن عاشور :" ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لا يعقلون أن يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال التفكر في صلاحهم مع مصاحبة شيئين يذكر أنه قارب أن يكون منفياً عنه التعقل " (٣) .

"وفي الآية استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال من يقدم على فعل غير منطقي وهو إسداء النصح والإرشاد الدال على الخير والمعروف وينسى نفسه بحال اليهود في كونهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم بجامع المشابهة بين الموقفين وهو عدم المعقولية في الأمر الذي أنبأ به ختام الآية (أفلا تعقلون) ثم حذف المشبه الذي يمثل الحالة الجديدة واستعير التركيب القرآني (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) الدال على حال المشبه به (اليهود) على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي تظل حالية في هذا النوع من الاستعارة مفهومة من السياق " (٤).

وهذه الآية وإن كان الخطاب فيها موجهاً لبني إسرائيل إلا إنه عام حيث المعنى لكل آمر لا يلتزم بما يأمر به . (٥) جاء في صحيح البخاري : " قال رسول الله ﷺ : " يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : يا فلان ما شأنك ؟! أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه " (٦) .

1: ينظر حاشية الشهاب ٢٤١/٢ وروح المعاني مج١ ٢٩١/١وتفسير االقرآن العظيم ١٥٨/١

2: الكشاف ٢٦٠/١

3: التحرير والتنوير مح١ ٤٧٧/١

4: البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفينة ١٩٣ د. محمد القاسم ــ ط١ /١٤٢٦هـ ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ

5: ينظر روح المعاني مج١ ٣٩٣/١

6: أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق) باب ١٠ : صفة النار وأنها مخلوقة ــ الحديث رقم ٣٢٦٧ ص٥٤٤

٤٠-وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة:٩٣].

هذه الآية فيها تقريع لليهود ــ أيضاً ــ الذين يدعون أنهم لن يؤمنوا إلا بما جاء به موسى عليه السلام [1] وهم لم يؤمنوا به و لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ، فهم لو آمنوا بموسى لآمنوا بمحمد عليهما الصلاة والسلام ، فالخطاب موجه لهم ، وفيه توبيخ لهم بعمل أسلافهم .

وقد جاء الفعل (يأمركم) على صيغة المضارع الذي يدل على الاستمرار التجددي ، ولعل في ذلك تشنيعاً على اليهود بما كان عليه أسلافهم ، فصفات الذم متأصلة ومتجددة فيهم .

وفي إسناد الأمر إلى الإيمان مجاز لغوي ، فالإيمان لا يصدر منه أمر أو نهي ، وإنما شبه الإيمان بشخص يأمر وينهى ، بجامع صدور الأمر والنهي ، فهي استعارة مكنية ، الغرض منها التهكم بهم ، يقول الزمخشري : " وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم " [2] ، وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها ، وهي قوله تعالى :(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) [البقرة:٩٢] وصل ، لأنها توبيخ وتكذيب في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بذكر جناياتهم الناطقة بكذبهم [3] . ووصل بين (وإذ أخذنا ميثاقكم) و(ورفعنا فوقكم الطور) لأنها جمل خبرية متصلة في المعنى ، فهي تذكير لهم بجناياتهم الناطقة بكذبهم .

و جاء بين قوله :(خذوا ما آتيناكم بقوة) و(قالوا سمعنا وعصينا) فصل ؛ لأن الثانية "استئناف مبني على سؤال سائل ،كأنه قيل : فماذا قالوا ؟ فقيل : (قالوا سمعنا وعصينا)" [4] .

وفي قوله: (أشربوا) استعارة مكنية ، حيث شبه تغلغل حب العجل في قلوبهم بتداخل الثوب بالصبغ [5] . ووجه الشبه الاتصال ، وقد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للمبالغة ، يقول الأصفهاني : " ولو قيل حب العجل لم تكن هذه مبالغة ، فإن في ذكر العجل تنبيهاً أن لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم لا تنمحي " [6] .

---

[1]: ينظر : تفسير أبي السعود ١٣١/١ والتحرير والتنوير مج١ ٦٠٩/١

[2]: الكشاف ٢٩٧/١

[3]: ينظر : تفسير أبي السعود ١٣١/١

[4]: ينظر : المرجع السابق ١٣١/١

[5]: ينظر : تفسير البغوي ٩٤/١ و الكشاف ٢٩٧/١

[6]: المفردات ٢٨٩

وفي قوله: (واسمعوا) مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن المقصود بالسمع هنا القبول والاستجابة لا الإصغاء ، فأطلق السبب وأراد المسبب عنه وهو القبول والطاعة . [(١)]

٤١- وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة:١٦٩].

الخطاب في هذه الآية موجه لعامة الناس ، وفيه تحذير من اتباع خطوات الشيطان الذي يأمرهم باتباع أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، فقال (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ...) .

وقد جاء الفعل (يأمر) على صيغة المضارع الدالة على أن هذا الفعل ملازم للشيطان ومتجدد منه إلى قيام الساعة ، يقول الله ﷻ حكاية عن إبليس : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [الحجر:٣٩-٤٠].

والأمر هنا ليس على حقيقته ، بل هو مجاز عن الوسوسة ، لأن الشيطان لا يأمر إذ لا تُسمع منه صيغ أمر ، بل هي وساوس يلقيها في النفس [(٢)] . فالمجاز هنا لغوي ، حيث شبه تلك الوساوس بالأوامر بجامع الامتثال والاستجابة ، وهي استعارة تصريحية ، يقول الزمخشري : " فإن قلت : شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر ، كما تقول : أمرتني نفسي بكذا ، وتحته رمز إلى أنكم بمترلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ، ولذلك قال : (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ) [النساء:١١٩] " [(٣)] .

وقد جاء الأمر في أسلوب القصر بـ (إنما) للدلالة على أن الشيطان لا يأمر بالخير أبداً ، إنما أوامره مقصورة في الشرور والآثام ، يقول الرازي : " دلت الآية على أن الشيطان لا يأمر إلا بالقبائح لأنه تعالى ذكره بكلمة (إنما) وهي للحصر " [(٤)] ، فهنا قصر أمر الشيطان على السوء والفحشاء ، وهو من قصر الموصوف على الصفة .

---

[1] : ينظر : تفسير البغوي ٩٤/١

[2] : ينظر : الكشاف ٣٥٥/١ والتحرير والتنوير مج ١٠٤/٢

[3] : الكشاف ٣٥٥/١

[4]: التفسير الكبير ٣/٥

ومن خلال التأمل في الآية الكريمة يلحظ أن أسلوبها خبري ، جاءت فيه الأفعال المضارعة (يأمركم ، تقولوا ، تعلمون) لأن الآية في سياق الحديث عن وساوس الشيطان وهي وساوس مستمرة متجددة ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة :

٤٢ـ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٨] .

جاءت هذه الآية في سياق حث المؤمنين على الإنفاق من الطيبات ، وفيها بيان لعداوة الشيطان ـــ أيضاً ـــ بتخويفه الفقر للمنفقين .

وقد جاء (يأمركم) مضارعاً ، لإفادة الاستمرار التجددي ، والأمر هنا مجاز عن الوسوسة ، لأن الشيطان لا تسمع منه صيغة أمر ، وقد جاء المسند إليه مذكوراً ومقدماً " ؛ لأن تقديمه مؤذن بذم الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم ... ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوية الحكم وتحقيقه " [1] . ويقول السكاكي عن مواضع تقديم المسند إليه " وإما لأن يتقوى استناد الخبر إليه على الظاهر ... وإما لأن اسم المسند إليه يصلح للتفاؤل فتقدمه إلى السامع لتسره أو تسؤه " [2] .

وقد جاء بين قوله : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وصل ، لأنها جمل خبرية متصلة في المعنى ، وبينهما جهة جامعة ، أمَّا قوله تعالى : (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) فعطفت على ما سبق لبيان الفرق والمغايرة بين الوعدين ، وفي ذلك تحذير من اتباع خطوات الشيطان ، يقول الشيخ السعدي : " فليختر العبد أي الأمرين أليق به " [3] .

ومن خلال التأمل في الأفعال التي وردت في هذه الآية يلحظ أنها أفعال مضارعة للدلالة على الاستمرار التجددي ، فأوامر الشيطان ووعوده الكاذبة لا تنتهي عند وقت معين ، بل هي مستمرة إلى قيام الساعة ، وقد صرَّح إبليس بهذه العداوة الظاهرة البينة ، ويقابل وعد الشيطان وعد الله سبحانه المستمر الدائم إلى أن تطلع الشمس من مغربها .

---

1 : التحرير والتنوير مج٢ ٣/٥٩

2 : مفتاح العلوم ٩٣

3: تيسير الكريم الرحمن ٨٩

وفي الآية مجاز في قوله: (يأمركم)، فالأمر مجاز لغوي عن الوسوسة ، حيث شبه الوساوس وما يلقيه الشيطان في النفوس بالأوامر ، بجامع الامتثال ، فالاستعارة تصريحية ، يقول ابن عاشور : " وإطلاق الأمر على وسوسة الشيطان وتأثير قوته في النفوس مجاز لأن الأمر في الحقيقة من أقسام الكلام " [1] .

وفي الآية مقابلة بين وعد الشيطان ووعد الله ﷻ يقول الزركشي : " فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء ثم قوبل بشيء واحد وهو الوعد ، فأوهم الإخلال بالثاني وليس كذلك ، وإنما لما كان الفضل مقابلاً للفقر والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء ؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة والمغفرة تقابل العقوبة، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر " [2] . ويوضح الرازي الفرق بين الوعدين في هذه المقابلة بذكر هذه اللطيفة : " وهي أن الشيطان يعدك الفقر في غد دنياك ، والرحمن يعدك المغفرة في غد عقباك ، ووعد الرحمن في غد العقبى أولى بالقبول " [3] .

٤٣ــوقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ [آل عمران:٢١].

هذه الآية موجهة لليهود في زمن النبي ﷺ ,فيها تشنيع أفعالهم وتوبيخ لهم ، وإن كان القتل صادراً من أسلافهم إلا أنهم رضوا به واستمرت هذه الصفة الذميمة فيهم ، فقد هَمّوا بقتل النبي ﷺ وأصحابه لكن الله عصمهم .

وقد جاء الفعل (يأمر) على صيغة المضارع مسندة إلى واو الجمع العائدة إلى خيار الناس الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ومجيئه على صيغة المضارع يدل على الاستمرار التجددي لهذه الصفة في هؤلاء الصالحين ، وفيها استحضار للصورة التي كانوا عليها ، وكذلك الأفعال (يكفرون ويقتلون) دالة على الاستمرارية ، فهذه الصفات متأصلة في نفوس اليهود الدنيئة من أسلافهم إلى وقت الرسول ﷺ ، وما صدر منهم من فعل شنيع إلى وقتنا الحاضر، وما يصدر منهم من قتل الصالحين الآمرين بالقسط ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

وفي قوله: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) استعارة تهكمية ، فقد شبه سماعهم لخبر العذاب الأليم بالبشرى على سبيل الاستهزاء والتهكم بهم ، فهي استعارة تصريحية ، وتسمى استعارة ضدية لتنزيل التضاد منزلة التناسب، يقول الفيروزأبادي عن البشرى : " و هي الخبر السار ، ويقال لها البشرى أيضاً ... وبشرته :

---

[1]: التحرير والتنوير مج٢ ٣/ ٦٠
[2]: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٦٣
[3]: التفسير الكبير ٧/ ٥٦

أخبرته بسار بسط بشرة وجهه ، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر "[1] ، وقد أشار ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن إلى هذا النوع من الاستعارة بقوله : " ومن المقلـــوب أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل ... والاستهزاء ... واستشهد على ذلك بقوله سبحانه (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ)[الدُخان:٤٩] ، فبعض الناس يذهب به هذا المذهب ، أي : أنت الذليل المهان "[2] ، والغرض من هذه الاستعارة " الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به" [3] .

٤٤ – قال تعالى :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

بعد أن بيّن ﷻ نعمته على المؤمنين بأن هداهم للإسلام ونقلهم من العداوة إلى الأخوة وألّف بين قلوبهم ، أمرهم في هذه الآية بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال : (وَلْـتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ....) .

وقد جاء الفعل (يأمرون) على صيغة المضارع ، وكذلك (يدعون ، وينهون) ؛ لأن المـضارع يدل على الاستمرار التجددي ، فالله تعالى يأمرهم بأن يكونوا مستمرين في الدعوة إلى الخـير والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستمر في أمة محمـد ﷺ إلى قيام الساعة ، وهذه الصفات هي التي تميزهم من غيرهم ، " فقد يوظف تكرار المضارع للتعبير عن الأفعال التي أصبحت عادة ودأباً للموصوف بها " [4] .

والأمر هنا على جهة الاستعلاء ، يقول الشيخ العثيمين : " وكلمة (يأمرون) تـدل علـى أنهـم يتكلمون مع الناس على جهة الاستعلاء لا العلو ، يعني على وجه أنني آمر ، والآمر بالخير أعلى مرتبة من المأمور " [5] .

وفي قوله تعالى : (يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالَمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) إطناب بذكر الخـاص بعد العام ، فالخير عام يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي ذلك تنبيه على فـضل الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر [6] . يقول الطوفي : " فالأمر بالمعروف نوع خاص من الخير " [1] .

1: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٢٠٠ تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، المكتبة العلمية ، بيروت

2: تأويل مشكل القرآن ١١٨

3: التفسير الكبير ٢/١١٧

4 : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ٢١٧

5 : تفسير القرآن العظيم ١/٧

6 : ينظر : الكشاف ١/٦٠٤

وقد جاء بين جمل هذه الآية وصل في قوله : (يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) للاتفاق في الخيرية ، والالتئام في المعنى ، فهي صفات مدح هؤلاء الذين التزموا بها .

وفي قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) تقدم المسند إليه على المسند للاختصاص ، يقول أبو السعود : "(هم المفلحون) أي هم الأخصاء بكمال الفلاح ، و(هم) ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ،ويؤكد النسبة ، ويقيد المسند بالمسند إليه ، أو مبتدأ خبره المفلحون ، والجملة خبر لأولئك.." (٢) .

وقد ذكر الدكتور أحمد بدوي أن التوكيد يقوى في ضمير الفصل حتى يدل على القصر والاختصاص (٣) .

وفي الآية مقابلة بين قوله :(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) و(يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) ، فهاتان الجملتان تقابل إحداهما الأخرى ، فالأمر بالمعروف يقابله النهي عن المنكر ، وفي هذه المقابلة إبراز للقيم المعنوية التي يريد القرآن توصيلها للناس ، حيث جاءت في سياق الحديث عن المؤمنين المفلحين . (٤)

وأختم الحديث عن هذه الآية بما قاله الأستاذ أحمد الوزير : " الآية الكريمة قطعية بلا ريب ، ومعناها متفق عليه بين الأمة الإسلامية ، وهو وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو واجب عظيم ، وركن من أركان الدين التي لا يقوم ولا يثبت إلا به ، بل هو روح الدين ، لذلك اتفق العلماء على وجوبه ، وإن اختلفوا في بعض شروطه " (٥) .

٤٥- وقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] ١

هذه الآية خطاب للمؤمنين ــ أيضاً ــ تبين حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ، وقد سيقت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الحق والدعوة إلى الخير (٦) .

وقد جاء الفعل (تأمرون) مضارعاً ليدل على تجدد هذه الصفات في هذه الأمة ، يقول أبو السعود : " وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار " (١) ، وقد أسند الفعل إلى واو الجماعة لأن الخطاب عام

---

1 : الإكسير ٢٨٠

2: تفسير أبي السعود ٦٧/٢

3 : ينظر : من بلاغة القرآن ١١٨ د. أحمد بدوي طبعة ٢٠٠٥ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ مصر ، وينظر البرهان ٤٠٩/٢

4 : ينظر : المقابلة في القرآن الكريم ٢٢٨ د. بن عيسى باطاهر

5: المصفى في أصول الفقه ١٧٩ ، أحمد الوزير ٢٠٠٢ دار الفكر ــ دمشق

6 : ينظر :تفسير أبي السعود ١٧٠/٢ ، وفتح القدير ٣٧١/١

وإن كان موجهاً لأصحاب رسول الله ﷺ يقول الرازي : " قوله (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) ظاهر الخطاب فيه مع أصحاب النبي ﷺ ولكنه عام في كل الأمة ، ونظيره قوله :(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) [البقرة:١٨٣] فإن كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ، ولكنه عام في حق الكل، كذا ههنا " [٢] .

وقد جاء بين قوله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وبين قوله :(تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ....) فصل لكمال الاتصال ، فقوله: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) بيان للخيرية التي اتصفت بها هذه الأمة .

ثم وصل بين قوله: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) لأنها جمل خبرية متناسبة في المعنى ، فكلها صفات مدح لأمة محمد ﷺ .

و فصل بين هذه الجملة : (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وبين التي تليها :(مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) ؛ وذلك لأنها جواب لسؤال من الأولى ، يقول الشوكاني : " ولما جاء به فيكون هذا التفصيل على هذا الكلام مستأنفاً جواباً عن سؤال مقدر ، كأنه قيل هل منهم من آمن فاستحق ما وعده الله " [٣] .

وفي الآية تقديم وتأخير ، فقد قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان وذلك لأن الخطاب موجه لقوم مؤمنين ، فتقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للتأكيد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذلك لأن الإيمان قدر مشترك بين الأمم ، وإنما جاءت خيرية هذه الأمة من خلال تمسكها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٤] ، يقول الشهاب : " ولو قيل قدم الأمر بالمعروف وأخاه اهتماماً وليرتبط الإيمان بما بعده صح " [٥] .

ومن خلال التأمل في الآية يلحظ أن أسلوبها خبري ، تنوعت الأفعال فيه ما بين ماضٍ ومضارعٍ (أخرجت ، تأمرون ، تنهون ، تؤمنون ، آمن ، كان) ، فالأفعال الماضية جاءت أثناء الحديث عن أمور انتهت ، والأفعال المضارعة أفعال متجددة ، وهي سبب خيرية هذه الأمة .

وفي الآية مقابلة بين قوله: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) لإبراز القيم المعنوية بين الناس وبيان المبدأ الذي يميز هذه الأمة من باقي الأمم .

---

1 : تفسير أبي السعود ١٧٠/٢

2 : التفسير الكبير ١٥٥/٨

3 : فتح القدير ٣٧١/١

4 : التفسير الكبير ١٥٥/٨

5 : حاشية الشهاب ١٠٧/٣

كما جاء بين (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) مراعاة النظير لأنها صفات متناسبة ومتوافقة مع بعض ، فهي كلها صفات خير .

٤٦- وقال تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٤] .

فبعد أن بيَّن الله ﷻ أفضلية هذه الأمة على الأمم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإيمانهم بالله ، وأن أهل الكتاب لو آمنوا إيماناً حقيقياً لكان خيراً لهم ، ذكر ﷻ أنهم لم يستطيعوا إلحاق الضرر بالمسلمين إلا بالكلام وأنهم جبناء ، وحالهم ذليلة بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء ، وهذا الحديث عامٌ عن أهل الكتاب ، بينت الآيات حال طائفة خاصة منهم ، فهم ليسوا سواء ، إذ إن منهم طائفة عادلة مؤمنة ، فقال : (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ...) وقد جاء الفعل (يأمرون) على صيغة المضارع ، وكذلك الأفعال : (يؤمنون ، وينهون، ويسارعون) للدلالة على الاستمرار التجددي في سياق مدح المؤمنين الذين آمنوا من أهل الكتاب وبيان حال هؤلاء الصفوة من أهل الكتاب ، يقول الطوفي عن الالتفات من الماضي إلى المضارع : " فموضعه إذا كان بعض أحوال القضية الخبرية مشتملاً على نوع تميز وخصوصية لاستغراب أو أهمية ، فيعدل فيها إلى المضارع المستعمل للحال ، إيهاماً للسامع حضورها حال الإخبار ومشاهدته ليكون أبلغ في تحققها له " (١) .

وقد قدم هنا الإيمان بالله واليوم الآخر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عكس الآية السابقة التي قدم فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك لأن السياق مختلف ، فالآيات السابقة جاءت في سياق خطاب المؤمنين ، وإيمانهم ثابت محقق من قبل ، ولأن الغرض بيان خيرية هذه الأمة على الأمم السابقة بهذه الصفات ، وهي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (٢) ، أما هذه الآية فقد قدم الإيمان بالله واليوم الآخر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنها جاءت في سياق الحديث عن طائفة من أهل الكتاب، " وأهل الكتاب كانوا يدّعون الإيمان بالله واليوم الآخر لكن لما كان ذلك مع قولهم (عزير ابن الله) وكفرهم ببعض الكتب ، ووصفهم اليوم الآخر بخلاف ما نطقت به الشريعة " (٣) قدم الإيمان بالله ، والله أعلم .

وقد وصل بين هذه الجمل لأنها خبرية وبينها جهة جامعة في المعنى فهي كلها صفات مدح وثناء .

---

1 : الإكسير ١٨٠

2 : ينظر : التحرير والتنوير مج ٢ ٥٦/٤

3: ينظر روح المعاني مج٣ ٥٤/٤

وفي قوله :(وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) جاء المسند إليه اسم إشارة للبعيد دلالة على بعد مكانتهم. وفي قوله : (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) مجاز لغوي ، إما أن يكون استعارة تصريحية ، حيث شبه الاستكثار والاعتناء بفعل الخيرات بالسير السريع بجامع بلوغ المطلوب ، أو تكون استعارة مكنية حيث شبه الخيرات بطريق يسير فيه السائرون وهؤلاء مزية السرعة في قطعه ، وإثبات الظرفية (في) لها استعارة تخييلية ، أو تكون الاستعارة تمثيلية ، حيث شبه حالهم في المبادرة والحرص على فعل الخيرات بحال السائر الراغب وبلوغ قصده يسرع في سيره([1]).

وفي الآية مقابلة بين (الأمر بالمعروف) و (النهي عن المنكر) وكذلك مراعاة النظير لأنها من حقل واحد ، يقول ابن الأثير عن المؤاخاة بين المعاني : "أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه لا مع الأجنبي ، مثاله أن تذكر وصفاً من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به ، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحاً في الصناعة وإن كان جائزاً" (٢) .

٤٧- وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء:٣٧] .

جاءت هذه الآية بعد الأمر بعبادة الله ﷻ والإحسان إلى الوالدين والأقارب والجيران ، وقيل إنها نزلت في اليهود الذين كتموا صفات النبي ﷺ وهم يجدونها عندهم في التوراة والإنجيل ، وقيل إنها نزلت في جماعة من اليهود كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر (٣) .

وقد جاء الفعل (يأمرون) على صيغة المضارع وكذلك (يبخلون) و (يكتمون) لأن سياق الآية الحديث عن اليهود ، واليهود قد عرف عنهم الاتصاف بالصفات الدنيئة واستمرت تلك الصفات في أخلاقهم إلى وقتنا الحاضر (قاتلهم الله أنى يؤفكون) . أيضاً لأن الخطاب عن اليهود في عصر النبوة ، فلو عبر بالماضي لتوهم السامع أن الحديث عن قوم مضوا فيخرج يهود عصر التنزيل عن دائرة الذم (٤) .

[1] : ينظر : التحرير والتنوير مج ٤/ ٥٦
[2] : المثل السائر ١٨٢/٣ ابن الأثير ت : د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ط ١٤٠٤/٢ دار الرفاعي . الرياض .
[3]: ينظر : تفسير الطبري ٨٥/٥ وتفسير البغوي ٤٢٦/١ .
[4]: ينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم ٩٦ د. صالح بن حسين العايد ط ١٤٢٥/٣ دار كنوز اشبيليا .

وقد عبر بالماضي (أعتدنا) وذلك للدلالة على معنى الوعيد والتهديد ــ والله أعلم ــ؛ فالماضي قد يرد بزمنه الحقيقي ليدل على أحداث ماضية ، والمراد منها الاتعاظ لما تفيده من الدلالة على معاني الوعيد والتهديد ، ومن ذلك قوله تعالى : (فأخذهم الله بذنوبهم) [غافر : ٢١] [(١)] .

وقد "ذكر من الأحوال المذمومة ثلاثا ، أولها: كون الإنسان بخيلا ، وهو المراد بقوله : (الذين يبخلون) ، وثانيها : كونهم آمرين لغيرهم بالبخل ــ وهذا هو النهاية في حب البخل ــ وهو المراد بقوله (ويأمرون الناس بالبخل) وثالثها قوله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) فيوهون الفقر مع الغنى ، والإعسار مع اليسار" [(٢)]

٤٨ ــ وقال تعالى حكاية عن غواية الشيطان لعباد الرحمن : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٩].

بعد الحديث عن الكفار وعبادتهم لأصنام لا تنفعهم ولا تضرهم ما يعبدون بعبادتها إلا (شيطاناً مريداً) لأنه هو الذي أمرهم بذلك ، بين ﷻ هنا شدة عداوته للإنسان ، فقال : (لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا , ولأضلنهم و لأمنينهم ....) الآية .

وقد جاء الفعل (لآمرهم) مرتين على صيغة المضارع ، وكذلك الأفعال (ولأضلنهم ، و لأمنينهم ، فليبتكن ، فليغيرن ، يتخذ) لأن المضارع يدل على الاستمرار التجددي، فهذه الأفعال صادرة من الشيطان منذ أن طرد من الجنة إلى يوم القيامة ، فهي مستمرة ومتجددة .

وقد جاء الفعل مسنداً إلى الضمير العائد على الشيطان على مقتضى الظاهر ، فقد سبقت الإشارة إليه في الآيات السابقة لهذه الآية .

والأمر ليس على حقيقته بل هو مجاز لغوي عن الوسوسة ، فقد شبه تلك الوساوس بالأوامر في امتثال البعض لها، فهي استعارة تصريحية ، يقول الرازي :"عمدة أمر الشيطان إنما هو بإلقاء الأماني في القلب"[(٣)] .

---

[1]: ينظر : الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية ١٧٣ الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي ط ١٤٢٨/١ دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان .

[2]: التفسير الكبير ٩٨/١٠ .

[3]: المرجع السابق ٤١/١١.

وبجيء (الأمر) على هذه الصيغة مؤكدة بلام القسم والنون الثقيلة ، وكذلك الأفعال (ولأضلنهم) و (لأمنينهم) للدلالة على شدة عداوة الشيطان ، ووجوب الحذر منه . يقول سيبويه عن نوني التوكيد :"إذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد ، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيداً "[1] .

ويقول النحاس : "(و لآمرهم فليغيرن خلق الله) هذه لامات القسم والنون لازمة لها لأنه لا يقسم إلا على مستقبل " [(٢)] .

وقد جاء بين جمل هذه الآية وصل لأنها خبرية متفقة في المعنى ، إذ إنها تبين أعمال الشيطان في الدنيا .

وقد جاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة ، حيث أول ما يبدأ الشيطان باستخلاص نصيب من العباد ، ثم يبدأ بإضلالهم وذلك بالوسوسة لهم في أمور عقائدهم ثم يمنيهم الأماني الكاذبة ، ثم يأمرهم بتبتيك آذان الأنعام ثم يأمرهم بتغيير خلق الله [(٣)] .

وفي قوله: (و لآمرهم) استعارة ، حيث شبه الوساوس بالأوامر بجامع الامتثال والتنفيذ ، فهي استعارة تصريحية ، الغرض منها تشنيع حالهم في اتباعهم لتلك الوساوس وانقيادهم واستسلامهم لها كالمأمورين .

٤٩ - وقال تعالى:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف:١١٠].

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون عندما دعاه إلى عبادة الله ، وجاءه بالمعجزات ، وكانت من معجزاته (العصا واليد) ، لكن فرعون وقومه استكبروا وقالوا عنه :(ساحر عليم) .

وقد جاء الفعل على صيغة المضارع (تأمرون) لاستحضار الصورة التي كان عليها فرعون وقومه .

وجاء المسند إليه جمعاً ، فإذا كان القائل ملأ فرعون وخاصته ، قالوه لتبليغ العامة ، فالخطاب يكون موجهاً للقوم ، أو يكون القائل (القوم) والمخاطب (فرعون) خاطبوه بخطاب الجمع تفخيماً لشأنه [(٤)] .

والأقرب أن هذا قول فرعون نقله الملأ عنه لتبليغ العامة ، كما أشار إلى ذلك الزمخشري [(٥)] .

---

[1] : الكتاب ٣ / ٥٨ لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر بن سيبويه ، ت: عبدالسلام محمدهارون ط١ دار الجيل ،ن بيروت

[2] : إعراب القرآن ٤٩٠/١ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ت : الدكتور : لهير غازي زاهد ط ١٤٠٩/٣ هـ عالم الكتب ـ بيروت .

[3] : ينظر : التفسير الكبير ٣٨/١١ .

[4] : ينظر : تفسير البغوي ١٨٦/٢ ، و التفسير الكبير ١٥٧/١٤ ، وتفسير أبي السعود ٢٥٩/٣ .

[5] : ينظر : الكشاف ٤٨٥/٢ .

والأمر هنا مجاز عن المشاورة ، وقد أشار إلى ذلك معظم المفسرين [1] ، فقد شبه المشاورة بالأمر بجامع الامتثال ، فالاستعارة تصريحية ، يقول الزمخشري : " (فماذا تأمرون) من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي " [2] .

٥٠- وقال تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٦٧ ﴾ [التوبة:٦٧] .

هذه الآية من سورة التوبة والتي فضحت المنافقين ، ونقرت عما في قلوبهم ، فقد كانت تسمى الفاضحة والمنقرة والمشقشقة [3] .وقد جاء الفعل (يأمرون) و كذلك (ينهون ، ويقبضون) لتدل على الحالة التي كانوا عليها ، وكذلك تدل على ملازمة الفعل لهم وتجدده منهم، فالمنافقون كان دأبهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف لأنهم يبطنون الكفر فهم يأمرون به ، يقول الزمخشري : " (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصي " [4] ، وقد أسند الفعل إلى واو الجماعة لأن الحديث عن المنافقين والمنافقات جميعاً .

وقد جاء بين قوله: (يأمرون بالمنكر) وما قبلها ، وهي (بعضهم من بعض) فصل ، لكمال الاتصال ، لأن قوله :(يأمرون بالمنكر) مبينة لقوله (بعضهم من بعض) فقوله (بعضهم من بعض) دالة على معنى اتصال شيء بشيء ، وجملة (يأمرون بالمنكر) مبينة لمعنى الاتصال والاستواء في الأحوال [5] .

وقد جاء بين قوله :(يأمرون بالمنكر) و: (ينهون عن المعروف) و: (يقبضون أيديهم) وصل؛ لأنها كلها صفات ذميمة اتصف بها المنافقون وعرفت عنهم .

وفي هذه الآية مجاز في قوله : (نسوا الله فنسيهم) مجاز عن الترك ، وهو مجاز لغوي فقد شبه ترك الأعمال بالنسيان بجامع عدم تنفيذها وتحقيقها فهي استعارة تصريحية ، جاء في التحرير والتنوير : "والنسيان منهم مستعار للإشراك بالله ، أو للإعراض عن ابتغاء مرضاته وامتثال ما أمر به ، لأن الإهمال والإعراض يشبه نسيان المعرض " [6] .

[1]: ينظر : مثلا : الكشاف ٤٨٥/٢ ،و تفسير أبي السعود ٢٥٩/٣ ، وحاشية الشهاب ٢٤١/٤ .
[2]: الكشاف ٤٨٥/٢ .
[3]: ينظر : الإتقان للسيوطي ١٤٥ .
[4]: الكشاف ٦٤/٣
[5]: ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ٢٥٤/١٠
[6]: التحرير والتنوير مج ٥ /١٠ ٢٥٤

وفي قوله (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل ، يقول البيضاوي : "وقبض اليد كناية عن الشح"[1] ،"وأصل هذا أن المعطي بيده يمدها ويبسطها بالعطاء ، فقيل لكل من بخل ومنع : قد قبض يده " [2] .

و في الآية مشاكلة في قوله : (نسوا الله فنسيهم) ، فهم تركوا ذكر الله والأوامر التي أمرهم بها ، فتركهم سبحانه ، و لم يوفقهم للخير ، والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل[3] ، يقول أبو السعود : " (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم ، والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة " [4] .

وفي الآية مقابلة بين قوله :(يأمرون بالمنكر) و :(ينهون عن المعروف) وهي مقابلة بين ضدين لتشنيع الحالة التي كان عليها هؤلاء المنافقون [5] .

كما جاء بين قوله :(يأمرون بالمنكر) و: (ينهون عن المعروف) و: (يقبضون أيديهم) مراعاة نظير ، إذ إنها جمعت ثلاث صفات ذميمة لهؤلاء المنافقين ، الذين جعلهم الله شراً من الكافرين .

٥١- وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة:٧١] .

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن الطائفة المؤمنة ، بعد الحديث عن الطائفة المنافقة ، ليوضح الفرق بينهما، فالطائفة المؤمنة هم صفوة البشر ، يكونون مجتمعاً مثالياً ، يأمرون بكل سلوك صالح نافع للمجتمع ، وينهون عن كل ما يضر بالبشر .

وقد جاء الفعل (يأمرون) مضارعاً ، وكذلك الأفعال (ينهون ويقيمون ويؤتون) لتدل على الاستمرار التجددي لهذه الصفات في المؤمنين والمؤمنات ، فهي صفات تميزهم من المنافقين ، وجاء المسند إليه جمعاً لأن الحديث عن المؤمنين والمؤمنات عموماً ، وفي التعبير باسم الإشارة (أولئك) دلالة على بعد درجتهم

[1]: تفسير البيضاوي ٤/٥٩٦ .
[2] : تأويل مشكل القرآن ١٠٦ .
[3]: ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣/٢٨١ .
[4]: تفسير أبي السعود ٤/٨٠ .
[5]: ينظر : الخطاب النفسي في القرآن ١٤٢ .

في الفضل [(١)] . وفي دخول السين على المضارع في قوله : (سيرحمهم) زيادة للتأكيد ، يقول البيضاوي : " فالسين مؤكدة للوقوع "[(٢)] .

وفي هذه الآية يلحظ تقديم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر، أما الآية السابقة فقد قدم الأمر بالمنكر على النهي عن المعروف ، لأن المؤمنين هدفهم هو الإصلاح والمثالية والنهي عن كل ما فيه ضرر على البشر ، لذلك قدم الأمر بالمعروف ، أما المنافقون فهدفهم الإفساد في الأرض والإضرار بالناس لذلك قدم الأمر بالمنكر . والله أعلم .

٥٢- وقال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾[هود:٨٧].

هذه الآية وردت في قصة شعيب ﷺ وقد كان قومه على معصية عظيمة ــ إلى جانب كفرهم ــ فقد تواطؤوا أن يأخذوا ممن يرد عليهم من غيرهم وافياً ويعطوا ناقصاً في وزنهم وكيلهم ، فنهاهم شعيب بوحي من الله تعالى عن ذلك [(٣)] .

وقد جاء الفعل (تأمرك) على صيغة المضارع لبيان الحالة التي كان عليها شعيب ﷺ فقد كان كثير الصلاة ، مواظباً عليها ، وإن كان إسناد الأمر إلى الصلاة مجازاً لأن الصلاة لا تصدر أوامر ، إلا أنهم هنا أرادوا الحقيقة للاستهزاء والتهكم ، وأن مثله ﷺ لا يصح أن يصدر منه مثل هذا ، يقول الزمخشري : " والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز ، كما كانت ناهية في قوله: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[العنكبوت:٤٥] ، وأن يقال : إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف ، كما يقال : تدعو إليه وتبعث عليه ، إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته ، وأرادوا أن هذا الذي تأمر من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته ، وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ، ولا يأمرك به آمر فطنة " [(٤)] .

وقد فصلت هذه الآية عما قبلها لأن بينهما شبه كمال الاتصال ، فقد جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، كأنه قيل : فماذا قالوا لشعيب ؟! [(٥)] .

---

[1]: ينظر : تفسير أبي السعود ٨٤/٤ .
[2]: تفسير البيضاوي ٥٩٩/٤ .
[3]: ينظر : المحرر الوجيز ٩٦٥ .
[4]: الكشاف ٢٢٥/٣ .
[5]: ينظر : فتح القدير ٥٩/٢ .

وكذلك فصل (إنك لأنت الحليم الرشيد) عما قبلها ، لأن ما قبلها استفهام إنكاري ، وهذه الجملة خبرية مؤكدة بـــ (إن ولام القسم والقصر) ، والتأكيد إما للاستهزاء به عليه السلام و التأكيد على أن هاتين الصفتين فيه ، فكيف ينهاهم عما هم عليه ؟ .

وقد دخل الاستفهام الإنكاري على الصلاة لا الأمر ، وفي ذلك استهزاء بشعيب عليه السلام ، فقد كـــان كثير الصلاة [1] .

وفي قوله : (إنك لأنت الحليم الرشيد) قدم الحلم على الرشد لأنه قدم العبادة على التــصرف في الأموال ، والحلم يناسب العبادة ، بينما الرشد يناسب الأموال [2] .

وفي الآية استعارة تهكمية ، حيث استعملت الألفاظ الدالة على المدح في الــذم والإهانــة تهكمــاً بالمخاطب وإنزالاً لقدره [3] ، " والغرض من مقصودهم إنك السفيه الجاهل ، ولكنهم خرجوا علــى هذا المخرج تهكماً به وإنزالاً لدرجته عندهم " [4] . وقد يكون الكلام على حقيقته ،فقد كـــان عليه السلام معروفاً عندهم بهاتين الصفتين ، فكيف يصدر منه هذا وينهاهم عما يعبد آباؤهم [5] .

٥٣- وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف:٣٢] .

هذه الآية تتحدث عن قصة امرأة العزيز مع نسوة المدينة عندما علمن بمراودتها ليوسف عليه السلام ، وقد جاء الفعل (آمره) على صيغة المضارع ليدل على تجدد أمرها ورغبتها في هذا الفعل ، بدليل قولــها : (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن) ، يقول الشيخ السعدي : " لتلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه " [6] وقد أسند الأمر إلى امرأة العزيز لأنها هي الآمرة ، فالأمر صادر منها ، والضمير في (آمــره) يعود على يوسف عليه السلام ، والأمر هنا ليس على حقيقته ، بل هو مجاز عن الفــاحشة ، وهــو مجــاز مرسل عــلاقته الســببية من إطلاق السبب(الأمــر) وإرادة المــســبب (الفــاحــشة) . وفي قــولها : (ليسجنن وليكونا من الصاغرين)جاء بنوني التوكيد للدلالة على شدة عقابها له ، واستعملت نون التوكيد الثقيلة مع السجن ، ونون التوكيد الخفيفة مع الذلة والصغار ، لأنها تستطيع سجنه فأكدت

---

[1] : ينظر : علم المعاني ١٠٨ الزوبعي .
[2] : ينظر : الإتقان للسيوطي ٦٨٠ .
[3] : ينظر : الطراز ١٢٧/١ والبلاغة القرآنية ١٧٨ للقاسم ومن بلاغة القرآن ٦٨ د/أحمد بدوي
[4] : الطراز: ٣٠ / ٩٢
[5] : ينظر : روح المعاني مج٧ ١٢ / ١٧٥
[6] : تيسير الكريم الرحمن ٣٤٧

على هذا بقوة ، لكنها لا تستطيع إذلال يوسف عليه السلام فلم تؤكد على هذا مثل تأكيدها على السجن ، ولعل في هذا إشارة إلى أن أمرها لا يجب مخالفته _والله أعلم _

٥٤- وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦].

ساق الله سبحانه وتعالى هذا المثل في سياق الرد على المشركين عندما ضربوا الأمثال ، فعبدوا الأصنام .

وقد جاء الفعل (يأمر) مضارعاً ليفيد الاستمرار التجددي ، يقول البيضاوي : " (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو فهم منطيق ذو كفاية " [1] ، علق على ذلك الشهاب في حاشيته بقوله : " قوله : (ومن هو فهم) بكسر الهاء صفة كحذر ومنطيق بكسر الميم صيغة مبالغة في النطق قيل هو مأخوذ من الاستمرار التجددي الدال عليه يأمر بالعدل " [2] .

وإذا كان المسند إليه (الله) [3] جل في علاه ، فإن أمره سبحانه وتعالى متجدد إلى قيام الساعة ، وإن كان المسند إليه الرسول صلى الله عليه وسلم [4] فهو مستمر في الدعوة إلى الله ، وإن كان المسند إليه (المؤمن) [5] فإن المؤمن كذلك مستمر في الدعوة إلى الله عز وجل .

وقد جاء المأمور به العدل مذكوراً ، والعدل هنا بمعنى التوحيد ، يقول البغوي : " يعني : الله ، فإنه قادر متكلم يأمر بالتوحيد " [6] ، وقد يكون بمعنى الحق والصواب كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور : " والعدل الحق والصواب الموافق للواقع " [7].

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها وهي قوله تعالى : (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

---

[1]: تفسير البيضاوي ٦٢٧/٥

[2]: حاشية الشهاب ٦٢٧/٥

[3] ينظر تفسير مقاتل ١٣١/٢وتفسير البغوي ٧١/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٧/٢

[4] : وقد رجّح الأستاذ المشرف هذا القول بقرينة (وهو على صراط مستقيم)

[5] : تفسير البيضاوي ٦٢٧/٥ والتحرير والتنوير مج٦ ٢٢٣/١٤

[6] : تفسير البغوي ٧١/٣

[7]: التحرير والتنوير مج٦ ٢٢٣/١٤

[النحل:٧٥] وصل ، لأنها متصلة بها ، فكلتا الآيتين أمثال للرد على المشركين عندما ضربوا له الأمثال سبحانه ، وشبهوه بالجمادات [1] .

وفي الآية تشبيه تمثيلي ، حيث شبه حال من يساوي بين رجلين أحدهما أَبْكم وكَل ولا يقدر على شيء ولا يأتي بخير ، والثاني يأمر الناس بالعدل على دين قويم ، بحال من يساوي بين عبادة الله ﷻ وعبادة أصنام لا تنفع ولا تضر ، يقول الرازي : " فالمقصود تشبيه صورة بصورة في أمر من الأمور ، وذلك التشبيه لا يتم إلا عند كون إحدى الصورتين مغايرة للأخرى " [2] وجاء في تفسير البيضاوي : " وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر " [3] والغرض من هذا التمثيل نفي المساواة بينه سبحانه وبين الأصنام التي يشركونها معه في عبادته ﷻ [4] .

ويقول د. عيد يونس : " فهذا المثل مضروب للتفريق بين الله الإله الحق تعالى ، والأصنام الجامدة الباطلة ، فالوثن لا ينطق بخير ، ولا يقدر على شيء لأنه إما حجر أو شجر ، وهو بذلك يشبه الإنسان الأبكم الذي لا ينطق ، فهو قليل الحيلة فاقد القدرة ثقيل الظل والحركة ، عالة على سيده ، فحيثما أرسله في شيء لم ينجح في مهمته ، لأنه أخرس ضعيف بليد ، فهل يتساوى ذلك الأبكم مع ذلك الرجل السوي البليغ المتكلم بأفصح لسان وأبلغ بيان ، وهو على طريق الحق والإيمان والرشد والاستقامة مستنير بنور القرآن مستهدٍ بهدي الإيمان "[5] .

وقد عدّ د. المطعني هذا التشبيه من المسلوب ، فقال : " ومن خصائص التشبيه القرآني تلك التشبيهات السلبية بما تحتوي عليه هي نفسها من خصائص ، وذلك حيث يقارن القرآن بين أمرين ليس بينهما وجه للمقارنة ، فينفي القرآن أن يكون بينهما وجه من وجوه الشبه ، ويغلب على هذا النوع دخول الاستفهام الإنكاري ..." [6] ، واستشهد بهذه الآية على كلامه .

٥٥- وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١] .

1 : ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٤٥
2: التفسير الكبير ٢٠/٦٩
3: تفسير البيضاوي : ٥/٦٢٧
4 : ينظر روح المعاني مج^ ٢٨٩/١٤
5: التصوير الجمالي في القرآن الكريم ١٤٩ د. عيد سعد يونس ط١/١٤٢٢هـ ــ دار المعرفة ــ بيروت
6: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢/٢٩٠

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن حادثة الإفك ، والإشارة إلى أن الذين خاضوا فيه إنما هم أناس اتبعوا خطوات الشيطان وأرادوا شيوع الفاحشة في المؤمنين [(١)] .

وقد جاء الفعل (يأمر) على صيغة المضارع ليفيد الاستمرار التجددي ، فالأمر بالفحشاء والمنكر مستمر ومتجدد إلى قيام الساعة ، وجاء المسند إليه ضميراً عائداً على الشيطان ، " فوضع المضمر موضع الظاهر جرياً على الأصل ، لأن الأصل إذا ذكر الاسم ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالسياق " [(٢)] والأمر في هذه الآية ليس حقيقياً ، فالشيطان لا تسمع منه صيغ (أمر) إنما هي وساوس يلقيها في الصدور، ففي الأمر استعارة تصريحية حيث شبه الوساوس بالأوامر بجامع الامتثال فيها.

٥٦- وقال تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء:٣٥] .

هذه الآية تركيب متشابه مع قوله تعالى :

[٤٩]: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف:١١٠].

وهي من المتشابه بالزيادة والنقصان [(٣)] ، فهي في الشعراء بزيادة (بسحره) وفي الأعراف بدونها ، وذلك لأن هذه الآية من سورة الشعراء هي من قول فرعون ، وفرعون أشد كراهية وجفاء لموسى عليه السلام من ملئه ،وأشد حرصاً على جذبهم له ، خوفاً من اتباعهم لموسى ، لذلك احتاج إلى قوة لتأكيد كلامه السابق ، وهو قوله :(إن هذا لساحر عليم) فقال (بسحره) [(٤)] ، أما في سورة الأعراف فهي قول الملأ ، نقلوه من فرعون إلى عامة الناس ، فلم يكن حرصهم وخوفهم كفرعون ، جاء في درة التنزيل : " والملأ لم يبلغوا مبلغ فرعون في إبطال ما أورده موسى ، و لم يجفوا في الخطاب جفاه ، فتناولت الحكاية ما قاله فرعون على جهته بتكرير لفظ من لفظه بعدما أخرجه في صفته حيث قال : (إن هذا لساحر عليم) " [(٥)] .

---

[1] : ينظر : التحرير والتنوير مج^٨ ١٨/١٨٦

[2] : البرهان في علوم القرآن ٢/٤٨٦

[3]: ينظر : البرهان في علوم القرآن ١/١١٨

[4] : ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، ١٢٤ للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي اعتنى به الشيخ خليل مأمون شيحا ط١ /١٤٢٢هـ دار المعرفة ـــ بيروت و البرهان في توجيه متشابه القرآن ٨١ ، تأليف تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر كرماني ت : عبد القادر أحمد عطا ط١ /١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية ـــ بيروت .

[5] : درة التنزيل وغرة التأويل ١٢٤

ولعل التعبير بلفظ (الأمر) في هاتين الآيتين [1] دون غيرها مثل : (تشيرون ، تطلبون ، ترغبـــون) دلالة على موقف الحيرة التي حلّت به فحطته عن ذروة جبروته وكبريائه ، يقول أبو السعود : " بهـــره سلطان المعجزة ، وحيّره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيـــده في زعمـــه والامتثال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلاً بالرأي والتدبير وأظهر استـــشعار الخوف من استيلائه على ملكه ....." [2] .

٥٧–وقال تعالى في قصة بلقيس : ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل:٣٣] .

الحديث هنا عن قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام ، فبعد أن ألقى عليها الهدهد كتاب سليمان قرأته على قومها وطلبت منهم المشورة .

وقد جاء الفعل (تأمرين) على صيغة المضارع للدلالة ـــ والله أعلم ـــ على استمرارية طاعتهم لها وتنفيذ أوامرها ، والطاعة المطلقة ، جاء في تفسير أبي السعود : " ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك " [3] ، وتسليم الأمر لها بعد إظهار القوة والبأس والشـــدة فيه استعظام لأمر ســـليمان عليه السلام ، يقول القرطبي : " سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة ، فلما فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها ، وفي هذا الكلام خوف على قومهـــا ، وحيطة واستعظام لأمر سليمان عليه السلام" [4] .

وقد فصلت هذه الآية عما قبلها وهي قوله سبحانه : " (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) [النمل:٣٢] لشبه كمال الاتصال ، لأنها وقعت جواباً لسؤال يفهـــم مـــن الأولى فكأنه قيل : فماذا قال قومها ؟ فقيل : (قالوا نحن أولوا قوة ....) .

وفي قولهم : (والأمر إليك) قدّر الخبر بـــ(موكول) وقُدّر مؤخراً ليفيد الحصر [5] ، فكـــأنهم قـــصروا الرأي والمشورة عليها وحدها لما لمسوا منها الذكاء والرأي السديد وذلك بعد أن بينوا أنهم أصحاب قوة وأن تسليمهم لها الرأي لم يكن ناشئاً عن ضعف وعجز [6] .

---
1 : سورة الأعراف الآية ١١٠ وسورة الشعراء الآية ٣٥
2 : تفسير أبي السعود ٢٨٤/٦
3 : المرجع السابق
4 : الجامع لأحكام القرآن ١٣٠/٣
5 : ينظر : حاشية الشهاب ٢٤٣/٧ وفتح القدير ١٣٧/٤
6 : ينظر : حاشية الشهاب ٢٤٣/٧ وروح المعاني مج'' ٤٩٢/١٩

٥٨- وقال تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ ﴾ [سبأ:٣٣] .

حكت هذه الآية المجادلة التي كانت بين ضعاف الكفار وكبرائهم .

وقد جاء الفعل (تأمروننا) على صيغة المضارع ليدل على الاستمرار التجددي ، فقوله: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أضيف المكر إليهما لوقوعه فيهما ، فمكرهم متجدد ، فقد كان كبار الكفار حريصين على إغواء المستضعفين وصدهم عن الحق .

وقد جاء الفعل مسنداً إلى واو الجماعة العائد على كبار الكفار لأنه صادر منهم .

وبالتأمل في سياق الآية يلحظ أن المضارع (تأمروننا ، ونكفر ، ونجعل) جاءت في سياق حديث المستضعفين ، والخطاب فيها موجه إلى كبارهم الذين صدوهم عن الحق ، وكانوا مستمرين في هذه الأفعال لذلك عبر عنه بالمضارع .

أما الماضي (قالوا ، وأسروا ، ورأوا ، وجعلنا) ؛ لأنها متحققة الوقوع في المستقبل فكأنها وقعت ، يقول الطوفي : " إذا كان بعض أحوال القضية الخبرية مشتملاً على نوع تميز وخصوصية لاستغراب أو أهمية فيعدل إلى المضارع المستعمل للحال إيهاماً للسامع حضورها حال الإخبار ومشاهدتها ، ويعدل إلى الماضي تقريراً و تحقيقاً لوقوعه في المستقبل بإيهام وقوعه في الماضي والفراغ منه "(١) .

وقد وصل هذه الآية بما قبلها ، لأن هذه الآية من كلام المستضعفين فعطف على كلامهم الأول ، فبعد أن قاطع المستكبرون كلامهم صار قولهم هذا جواباً عن تبرؤ المستكبرين من أن يكونوا صدوا المستضعفين عن الهدى فاقتضى المقام العطف بالواو ، وإقحام (بل) لإبطال قول المستكبرين ، وبذلك أفاد تكملة كلامهم والجواب عن تبرؤ المستكبرين (٢) .

وفي قوله تعالى : (بل مكر الليل والنهار) إسناد مجازي ، حيث جعل ليلهم ونهارهم ماكرين لوقوع المكر فيهما ، فهو مجاز عقلي علاقته الزمانية لإسناد الفعل للزمن الذي وقع فيه (٣) . وفيها كناية عن دوام الإلحاح عليهم في التمسك بالشرك (٤) ، فهي كناية عن صفة الإلحاح .

1: الإكسير ١٨٢

2: ينظر : التحرير والتنوير مج ٩ ٢٠٧/٢٢

3: ينظر : الكشاف ١٢٤/٥ وتفسير أبي السعود ١٢٤/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٢٢/٢ .

4: ينظر : التحرير والتنوير مج ٩ ٢٠٧/٢٢ .

وفي الآية مقابلة بين (الذين استضعفوا) و (الذين استكبروا) ، وطباق بين (الليل والنهار) للدلالة على استمرارية أوامر المستكبرين وحرصهم على صد المستضعفين عن الحق ومن ثم تبرؤهم منهم .

٥٩- وقال تعالى :﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزُّمر:٦٤] .

بعد أن ذكر ﷻ حال المكذبين وحال المؤمنين ، وعقب ذلك بما يدل على وحدانيته خاطب الرسول ﷺ بهذه الآية .

وقد جاء الفعل (تأمروني) على صيغة المضارع ليدل على الاستمرار التجددي منهم ، وقد جاءت مسندة إلى واو الجماعة ، وهم كفار قريش الذين دعوه إلى دين آبائه [1] .

وبالتأمل في الآية يلحظ أن الإنكار داخل على (غير) ، ذلك لأن الأمر بالعبادة غير مستنكر ، إنما الإنكار يتوجه إلى أن يتخذ غير الله معبوداً ، يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني : " تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل ، فإذا قلت : " أزيداً تضرب ؟" كنت قد أنكرت أن يكون (زيد) بمثابة أن يضرب ، أو بموضع أن يجترأ عليه ويستجاز ذلك فيه ، ومن أجل ذلك قدم (غير) في قوله تعالى : (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) [الأنعام:١٤] ، وقوله عز وجل : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ) [الأنعام:٤٠] ، وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنه لا يكون لو أخر فقيل : (قل أتتخذ غير الله ولياً) و (أتدعون غير الله ؟)، وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك : (أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً ؟ و أيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ و أيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك ؟) ، ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل : (أأتخذ غير الله ولياً) " [2] .

٦٠- قال تعالى : ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الطُّور:٣٢] .

جاء في تفسير ابن عطية عن الآية التي سبقتها ، وهي قوله تعالى : (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) "أن قريشا اجتمعت في دار الندوة ، فكثرت آراؤهم في محمد ﷺ حتى قال قائل منهم : تربصوا به ريب المنون ، فإنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى وغيرهم ، وافترقوا على هذه المقالة " [3] .

---

[1] : ينظر : تفسير البغوي ٤/٨٦ .
[2] : دلائل الإعجاز ١٢١ .
[3] : المحرر الوجيز ١٧٧٤ .

وجاء الفعل (تأمرهم) على صيغة المضارع للدلالة على استمراريتهم في هذا الفعل ، ولتبين الحالة التي كانوا عليها ، فقد اتهموا الرسول ﷺ بالشعر والكهانة والجنون ، وهم في قولهم هذا كمن لا عقل له ، إذا إنها أمور متناقضة لا تجتمع ، يقول الزمخشري : " والمعنى : أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول ، وهو قولهم : كاهن وشاعر ، مع قولهم مجنون ، وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى " [1] .

وقوله : (أحلامهم) الحلم بمعنى العقل [2] ، و لم يقل هنا عقولهم وإنما قال : (أحلامهم) لأنهم لو كانوا أصحاب عقول ــ فعلاً ــ لميّزوا الحق من الباطل [3] .

وفي هذه الآية استعارة مكنية ، حيث شبه العقول بسلطان مطاع يصدر أوامر ، ووجه الشبه : امتثال تلك الأوامر.

أو يكون في إسناد الأمر إلى العقول مجاز عقلي ، حيث أسند الأوامر إلى العقول (والعقول لا تأمر حقيقة) إنما هي سبب تأدية تلك الأوامر ، فهو مجاز عقلي علاقته السببية .

وفي هذه الآية تعريض بالمشركين لأن الأحلام الراجحة لا تأمر بمثل هذا [4] .

٦١- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد:٢٤] .

بعد أن بين سبحانه أن كل ما يصيب الإنسان قد كتبه الله عليه قبل خلقه ، وفي هذا تسلية للمؤمنين ، حتى لا يحزنوا على ما فاتهم ، ولا يفرحوا الفرح المبطر بما آتاهم ، وهذا لا يعني أن الفرح منهي عنه ، إنما الفرح المنهي عنه هو ما أدى إلى الاختيال والفخر ، وبدأ في هذه الآية بذكر صفات المختال [5] .

وقد جاء الفعل (يأمرون) وكذلك (يبخلون ويتول) على صيغة المضارع لإفادة التجدد والاستمرار ، وفيها تشنيع لمن يستمر في تلك الصفات ، ذلك لأن الأمر صادر منهم على الحقيقة .

---

[1]: الكشاف ٥/٦٢٩ .
[2]: ينظر : لسان العرب ٣/٣٠٤ (حلم) .
[3]: ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠/٤٨ .
[4]: ينظر : التحرير والتنوير مج ٩ ٢٤/٥٦ .
[5]: ينظر : المحرر الوجيز ١٨٢٧ .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها وهي قوله تعالى : (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)، فصل لكمال الاتصال ، فقوله (الذين يبخلون) بدل من قوله سبحانه: (كل مختال فخور) فالمختال بالمال يضن به غالباً ، ويأمر غيره بذلك [1] .

مجيئه مسنداً لما لم يسم فاعله :

٦٢- قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[البقرة:٦٨] .

سياق الآية الحديث عن قصة من قصص اليهود [2]، وقد جاء الفعل مبنياً لما لم يسم فاعله ، لأنه سبق ذكره في الآية السابقة لها ، وهو قوله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) فالآمر معلوم لدى المخاطب . والأمر هنا حقيقي صادر منه ﷻ فهو على العلو والوجوب .

وقد فصلت هذه الآية عما قبلها ، وهي قوله سبحانه : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ؛ لأن بينهما شبه كمال اتصال ، فالآية هنا جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى .

٦٣- قال تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحجر:٦٥].

هذه الآية جاءت في سياق قصة لوط عليه السلام حينما جاءته الملائكة بما وعده الله به من عذاب قومه .

وقد جاء الفعل (تؤمرون) على صيغة المضارع المبني لما لم يسم فاعله ؛ لأن الآمر معلوم لدى المخاطب ، واستعمال المضارع في سياق قصة وقعت في الماضي يفيد استحضار الصورة والإيذان بأهمية النجاة [3] .

وقد جاء بين جمل هذه الآية وصل، لأنها جمل إنشائية متصلة في المعنى إذ إنها كلها توجيه له عليه السلام حيث شرعوا في ترتيب مبادئ النجاة له ، فأمروه أولاً بالخروج من القرية ليلاً ، وأن يسير هو خلفهم

---

[1]: ينظر : المرجع السابق .

[2] : أشرت إليها أثناء دراستي للشاهد رقم [٣٢].

[3] ينظر : روح المعاني مج ٨ ١٤/٧٠٠ .

حتى لا ينشغل عن الشكر والذكر ، ثم نهاهم عن الالتفات حتى لا يصيبهم العذاب ، ثم أمروا بالمضي إلى المكان الذي أوحى الله به إلى لوط عليه السلام.

وقوله : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) إما أن يكون الإسراء من (سرى) ويقصد به السير آخر الليل ، أو يكون من (أسرى) ويقصد به السير أول الليل ، وسواء كان السير في أول الليل أو في آخره فإن القصد بقوله : (بقطع من الليل) يقصد به التأكيد [1] ؛ لأن الله حدد لهم موعد العذاب بالصبح ، فقال :(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) .

٦٤- قال تعالى :﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر:٩٤] .

نزلت هذه الآية في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة ، ورسول الله ﷺ مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقد روي عن عبد الله بن عبيد قال :" مازال النبي ﷺ مستخفيا حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر)" [2] .

وقد جاء الفعل (تؤمر) مضارعا لأن هذه الآية نزلت في وقت التشريع وما زالت الأوامر مستمرة لرسول الله ﷺ ــ والله أعلم ــ ، كما أنها جاءت مبنية لما لم يسم فاعله لأن الآمر معلوم لا ينصرف الذهن إلا إليه ، وهو الله ــ جل في علاه ــ والمأمور به هو الجهر بالدعوة .

وقد جاء بين الجملتين في هذه الآية وصل ، لاتفاقهما في الإنشائية والمعنى ، فقد أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجهر بالدعوة ولا يبالي ولا يعوقنّه عن أمره عائق .[3]

وفي هذه الآية استعارة تصريحية فقد شبه الجهر بالدعوة وتأثيرها القوي بصدع الزجاجة وما يحصل عليها من تغيير بعد هذا الصدع ، يقول العلوي : "الصدع من صفات الأجسام ، يقال : انصدع الإبريق والقارورة ، وقد استعير ههنا لوضوح أمر الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق وإظهار النبوة ، والجامع بينهما هو التفرقة بين الحق والباطل وإزالة التباس أحدهما بالأخر "[4] .

وقد ذكر الشيخ عبد القاهر والرازي عن إعجاز القرآن أن ما جمعه العلماء في غريب القرآن لم تكن الغرابة فيه إلا بسبب الاستعارات ، واستشهدوا بهذه الآية [5] .

---

[1] ينظر : حاشية الشهاب ٥٣٢/٥ و روح المعاني مج ٨ ١٠٠/١٤ .

[2] ينظر : تفسير البغوي ٩٥/٣ والجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٢ والتحرير والتنوير مج ٦ ٨٧/١٤ .

[3] ينظر : تيسير الكريم الرحمن ٣٨٣ .

[4] الطراز ١٨٨/٣ .

[5] ينظر : دلائل الإعجاز ٣٩٧ ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ٦٦ للرازي ت : د . إبراهيم السامرائي و د . محمد بركات أبو علي ١٩٨٥ ــ دار الفكر ــ عمان .

يقول د . أحمد بدوي : " والتعبير بكلمة (الصدع) استشق طريقها إلى القلوب وتحدث في النفس أثراً قوياً " [1] .

٦٥- قـــال تعـــالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل:٥٠].

بعد أن ذكر الله ﷻ أن المشركين أهل عناد وتكذيب ، حيث كذبوا بالبعث وأقسموا على ذلـــك وكذبوا بالرسول ﷺ، واستبعدوا أن يكون الرسول بشراً ، وفي هذا دليل على استكبارهم ، خوفهم الله بالعقاب ، وذكر أن جميع المخلوقات تسجد له عبادة وانقياداً .

وقد جاء الفعل على صيغة المضارع (يؤمرون) للدلالة على الاستمرار التجددي ، فجميع المخلوقـــات تعبد الله إلى قيام الساعة .

وجاء الفعل مبنياً لما لم يسم فاعله لأن الآمر معلوم عند المخاطب ، وهو الله ﷻ ، وقد أسند الأمر إلى نائب الفاعل ، وهو أمر حقيقي جاء على العلو والوجوب ، قال أبو السعود: " وإيراد الفعل مبنيـــاً للمفعول جرى على سنن الجلالة ، وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده إلى غيره ﷻ" [2] ، والمأمور به هو العبادة والسجـــود و لم يصرح به لدلالة ما قبله عليه ، وفي قوله :

(ولله يسجد) تقدم الجار والمجرور على الفعل للحصر ، والمعنى يسجد لله وحده لا لغيره [3].

وفي الآية إطنـــاب بذكر الخاص بعد العام ؛ لأن قـــوله ﷻ :(مـــا في الـــسمـــاوات) عـــام ، وقـــوله: (والملائكة) خاص [4] .

ولعل في ذلك زيادة تشريف وعناية ـــ والله أعلم ـــ ، مع أن بعض المفسرين يرون أنه لا إطناب في الآية ، لأن قوله : (ما في السماوات) يقصد به ملائكة السماء ، وقوله: (والملائكة) يقـــصد بهـــا ملائكة الأرض ، أفردهم بالذكر لعلو مترلتهم ـــ أيضاً ـــ [5] .

والقول الأول هو الأقرب ـــ والله سبحانه أعلم ـــ ؛ لأن رسول الله ﷺ كـــان يقـــول : " إني أرى مالاترون ، وأسمع مالاتسمعون ، أطت السماء وحُق لها أن تئط ، مافيها موضع أربع أصابع إلا وملـــك واضع جبهته ساجداً لله [1] .

[1] من بلاغة القرآن ١٦٨ د/ أحمد بدوي .
[2] ينظر :تفسير أبي السعود ١١٩/٥ .
[3] ينظر التحرير والتنوير مج ٦ ١٧٠/١٤ .
[4] ينظر : روح المعاني مج ٨ ٢٣٣/١٤ .
[5] ينظر : تفسير البغوي ٣/ ٧١ و روح المعاني مج ٨ ١٤ / ٢٣٣

وقد وصل بين قوله: (يخافون ربهم من فوقهم) وبين: (ويفعلون ما يؤمرون) لاتفاقهما خبراً ومعنى ، فهم يتبعون أوامر الله سبحانه ولا يخالفوها ولذلك ختمت الآية بقوله (ويفعلون ما يؤمرون) .

٦٦- وقال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الصّافات:١٠٢]

هنا قصة إبراهيم عليه السلام وفيها اختبار عظيم لإبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ .

وقد جاء الفعل (تؤمر) على صيغة المضارع، وعدل عن الماضي فلم يقل (أمرت) لتدل على استمرار حكم هذه الرؤية وأنه مستمر على تنفيذ الحكم [2] .

وجاء الأمر على صيغة ما لم يسم فاعله للعلم بالمسند إليه وهو الله سبحانه وتعالى وفي هذا دلالة على قوة إيمانهما و تسليمهما لأوامر الله سبحانه .

وقول إبراهيم عليه السلام :(فانظر ماذا ترى) وقول إسماعيل :(افعل ما تؤمر) ليس المقصود بذلك المشاورة ، بل الاختبار لأن أوامر الله سبحانه وتعالى واجبة النفاذ [3] .

والأمر هنا حقيقي من الله سبحانه وتعالى وهو على جهة العلو .

وقد فصل بين قوله: (فلما بلغ معه السعي) وقوله: (قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) لشبه كمال الاتصال فكأن الثانية جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، فكأن سائلا يسأل : ماذا قال ؟ .

وقوله : (يا بني) من باب التلطف، وبيان أن الحنان قد بلغ في قلبه كل مبلغ ، والتصغير في (يا بني) ، ولم يقل (يا ابني) زيادة في التلطف [4] .

وقد جاء بين قوله :(فانظر ماذا ترى) وبين: (قال يا أبت ــ افعل ما تؤمر)فصل ؛ لأن بينهما شبه كمال اتصال ، فالثانية كأنها جواب لسؤال يفهم من الأولى ــ والله أعلم ــ حيث إنه لما أخبر إبراهيم ابنه بالرؤيا وشاوره ليعلم صبره ، فكأن النفس تشوقت لمعرفة جواب ابنه ماذا قال ؟ .

وفي قوله :(افعل ما تؤمر) دون: (اذبحني) حتى لا تغلب إبراهيم عليه السلام عاطفة الأبوة ، وفيه تذكير له بأن الأمر من الله سبحانه وتعالى فيطمئن قلب الأب [1] .

---

[1] ينظر : تفسير البغوي ٢/٧١ و الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٤ / ٤٥٦ ت :كمال يوسف الحوت، دار الباز مكة المكرمة .

[2] ينظر : تفسير أبي السعود ٧/١٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٢٧ .

[3] ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/٦٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٢٧ .

[4] ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٢٧ .

ولما كان خطاب الأب لابنه (يا بني) على سبيل الترحم ، قال الابن : (يا أبت) على سبيل التـــوقير والتعظيم [٢] .

ثم فصل الجملة الأخيرة عما قبلها لكمال الانقطاع لاختلافهما خبراً وإنشاء ، فقوله : (قال يا أبت افعل ما تؤمر) جملة إنشائية ، وقوله : (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) خبرية ، وعد فيها إسماعيل وإبراهيم ـــ عليهما السلام ـــ بالصبر بعدما حثه على الامتثال لأمر الله ، وفي هذا تثبيت لفؤاد إبـــراهيم عليه السلام.

وقوله: (من الصابرين) فيها مبالغة في اتصافه بالصبر ما ليس في الوصف بـــــ(صابر) لأنه يفيد أنه سيجده في عداد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به ، ولذا مدحه الله في سورة مريم بقوله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) [مريم:٥٤] .

يقول الشيخ ابن عاشور : " وفي قوله : (من الصابرين) من المبالغة في اتصافه بالصبر ما لـــيس في الوصف بصابر ، لأنه يفيد أنه سيجده في عداد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به ، ألا ترى أن موســـى عليه السلام لما وعد الخضر قال : (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا) لأنه حمل على التصبر إجابـــة لمقتـــرح الخضر " [٣].

أحوال متعلقاته :

شواهد ذكر متعلقات الفعل المضارع(يأمر):

[٣٩]وقال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤] .

ذكر المفعول به (الناس) على وجه العموم ، وقد ذكر ابن عاشور أن المقصود بالناس إما المشركين من العرب أو يكون المراد من عدا الآمر كما تقول : افعل كما يفعل الناس ، وعلى الوجه الثاني أن يراد بالناس : العامة من أمة اليهود [٤] . كما ذُكر الجار والمجرور للتوبيخ والتعجب من حالهم ، فالبر : اسم جامع لأعمال الخير ، والتغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مـــستقبح في العقـــل [٥] .وذلـــك

---

[1] ينظر : التحرير والتنوير مج ٩ ١٥٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٢٢٧ .
[2] ينظر : روح المعاني مج ١٣ ١٨٩/٢٣ .
[3] : التحرير والتنوير مج ٩ ١٥١/٢٣ .
[4] ينظر : التحرير والتنوير مج١ ٤٧٤/١
[5] ينظر: التفسير الكبير ٤٣/٣

لإظهار التناقض فيما يأمر به الآخرين في حين أنهم ينسون أنفسهم . ،وقد علّق سيد قطب على هذه الآية تعليقاً لطيفاً مهماً بيّن فيه " أن آفة رجال الدين حين يصبح الدين حرفة وصناعة ، لا عقيدة حارة دافعة ، إنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، ويدعون إلى البر ويهملونه ... والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه ، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ، ولكن في الدعوات ذاتها ، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ويشهدون فعلاً قبيحاً " [1] .

[٣٢] أما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٦٧] .

جاء المتعلق المفعول (كم) مذكوراً ، لأن الحديث عن بني إسرائيل ، وقد عُرف عنهم التثاقل في الطاعات ، يقول الغرناطي : " فورد الأمر مطلقاً مع ما جبلت عليه نفوسهم من التثاقل في تلقي الطاعات من المأمورات " [2]

[٤٠] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة:٩٣].

جاء الجار والمجرور به مذكوراً ، وكذلك المفعول به (كم) وفي ذلك تهكم بهم وذلك لأن الإيمان الحقيقي لا يأمر بالكفر ، بل إيمانهم هم هو الذي يأمرهم بالكفر وأُسند الأمر إلى الإيمان تهكماً .

والعجيب أنهم يدّعون أن إيمانهم بمثل هذه الأفعال القبيحة بعد أن رسم لنا القرآن الكريم صورتين عجيبتين عنهم (قالوا سمعنا وعصينا) و(أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) ،"وهنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصور بالقياس إلى التعبير الذهني المفسّر .... إنه التصوير، السمة البارزة في التعبير القرآني الجميل " [3] .

---

[1] في ظلال القرآن ٦٨/١ ج١

[2] ملاك التأويل ٢٤١/١

[3] في ظلال القرآن ٩١/١+٩٢ ج١

[٤١] وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة:١٦٩].

جاء المتعلق المفعول به (كم) لبيان أن الشيطان يتوخى ابن آدم بما خَبُث ، وجاء المتعلق الجار والمجرور (بالسوء) وقد عُطف عليه شيئان ، الفحشاء والقول على الله بغير علم ، ولعل في ذلك إشارة إلى حقيقة أعمال الشيطان وانحصارها في الشر ، جاء في تفسير البيضاوي : " (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء) بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته ، واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيهاً لرأيهم ، وتحقيراً لشأنهم " [١] ، وأضاف ابن زاده في حاشيته قوله :" واستعير الأمر لتزيينه، جواب عما يقال : كيف يكون الشيطان آمراً ولا علوّ له ولا تسلّط لقوله : (ليس لك عليهم سلطان) " [٢] .

[٤٢] وقال تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٨] .

ذكر المتعلق المفعول به (كم) للتأكيد على ما يُملي به الشيطان على ابن آدم دون غيره من الخلق ، كما جاء المتعلق الجار والمجرور (بالفحشاء) مذكوراً ، والفحشاء هي : " ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال " [٣] ولعل في ذلك تشنيعاً لأوامر الشيطان ووساوسه وبيان عداوته . قال سيد قطب: " الشيطان يخوفكم من الفقر ، فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب ، والشيطان يأمركم بالفحشاء ، والفحشاء : كل معصية تفحش ، أي : تتجاوز الحد، وإن كانت قد غلبت على نوع معين من المعاصي ، ولكنها شاملة " [٤] .

[٤٣] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران:٢١] .

---

[1] : تفسير البيضاوي (من حاشية ابن زادة) ١/ ٤١٥

[2] حاشية محي الدين زادة ٤١٥/١

[3] المفردات ٤١٨ (فحش)

[4] في ظلال القرآن ٣١٢/١ ج٣

ذكر المتعلق الجار والمجرور (بالقسط) تأكيداً لصفة أولئك النبيين ، والناس الذين يتبعونهم ، " والقسط هو العدل " [1]، وفي هذا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً على الأمم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة " [2] . ولعل في وصفهم بقتل من اتصف بهذه الصفة زيادة تشنيع عليهم وتهديداً لهم ، فهذه الصفات صفاتهم التي عرفوا بها على مدى التاريخ .

[٣٥] وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠] .

ذكر المفعول به الكاف (كم) وما تعلق بالأمر ، والمصدر المؤول (أن تتخذوا) في محل جر بباء محذوفة ، كما ذكر في الثاني المفعول به والجار والمجرور المتعلقان بالفعل ، وذلك لبيان أن " النبي لا يأمر الناس أبداً أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، فالنبي لا يأمر الناس بالكفر بعد أن أسلموا لله ، ويستسلموا لألوهيته ، وقد جاء ليهديهم إلى الله لا ليضلهم ، وليقودهم إلى الإسلام لا ليكفرهم " [3] .

[٤٤] وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالمعروف) مذكوراً ، والمعروف هو ما يعرف حسنه شرعاً وعقلاً ، ولعل في ذكره تنويهاً بشأنه [4] ، جاء في حاشية محي الدين زاده : " والأمر بالمعروف تابعٌ للمأمور به ، إن كان واجباً فواجب ، وإن كان مندوباً فمندوب ، وأما النهي عن المنكر فواجب كله ، لأن جميع المنكر تركه واجب "[5]، وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه من عطف الخاص على العام للإيذان بفضله .

---

[1] لسان العرب ١٥٩/١١ (قسط)
[2] الجامع الكبير لأحكام القرآن ٣١٥/١
[3] المرجع السابق ٤٢٠/١ ج٣
[4] ينظر : التحرير والتنوير مج٢ ٣٦/٤
[5] حاشية محي الدين زاده ١٣٨/٣

[٤٥] وقـــال تعـــالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالمعروف) مذكوراً ، وقد تعدّى إليه الفعل بحرف الجر ، وذلك في بيان صفات أُخرى للأمة والمعروف هنا عامٌ لكل خير ، يقول الرازي : " واعلم أن لفظ المعروف والمنكر مطلق ، فلم يجز تخصيصه بغير دليل ، فهو يتناول كل معروف وكل منكر " [1] .

[٤٦] وقـــال تعـــالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٤] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالمعروف) مذكوراً في بيان صفات أُخر للأمة ، والمعروف هنا عام لكل خير ، يقول الرازي : " واعلم أن لفظ المعروف والمنكر مطلق فلم يجز تخصيصه بغير دليل ، فهو يتناول كل معروف وكل منكر " [2] .

وقال سيد قطب : " وهي صورة مضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب ، فقد آمنوا إيماناً صادقاً عميقاً ، وكاملاً وشاملاً ، وانضموا للصف المسلم ، وقاموا على حراسة هذا الدين ، آمنوا بالله واليوم الآخـــر ، وقد نهضوا بتكاليف الإيمان ، وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها (خير أمة أخرجت للنـــاس) فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر " ([3]).

[٤٧] وقال تعـــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء:٣٧] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالبخل) مذكوراً وهو المأمور به ، وكذلك المفعول به (النـــاس) ؛وذلـــك لزيادة الذم ، يقول الرازي : " ذكر في هذه الآية من الأحوال المذمومة ثلاثاً ، أولها : كون الإنـــسان بخيلاً ، وهو المراد بقوله :(الذين يبخلون) ، وثانيها : كونهم آمرين لغيرهم بالبخل ، وهذا هو النهاية في

---

[1] : التفسير الكبير ١٦٣/٨

[2] التفسير الكبير ١٦٣/٨

[3] : في ظلال القرآن ١/ ٤٥٠ ج٤

حب البخل ، وهو المراد بقوله: (ويأمرون الناس بالبخل) ، وثالثها قوله: (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) فيوهمون الفقر مع الغنى ، والإعسار مع اليسار و العجز مع الإمكان " (١) .

[٣٣] وقال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

ذكر المتعلق (المفعول به) ؛ وذلك لأن الخطاب عام للمسلمين ، يقول أبو السعود : " هو خطاب يعمُّ حكمه المكلفين قاطبة " (٢) ، ويقول الطاهر بن عاشور : " خطاب لكل من يصلح لتلقـــي هـــذا الخطاب والعمل به من كل مؤتمن على شيء ، ومن كل من تولّى الحكم بين الناس في الحقوق " (٣) .

[٤٨] – قال تعالى حكاية عن غواية الشيطان لعباد الـــرحمن : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٩] .

الضمير المتصل (هم) في محل نصب مفعول به ، وقد ذكر للتأكيد على أن إبليس لمـــا ســـأل الله تبارك وتعالى النَّظِرة ، فأنظره ، قال : (لأغوينهم ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرهم) وفيها بيـــان لـــشدة عداوة إبليس لبني آدم ، كما أن إبليس لما قال هذه المقالة لم يكن وقتها مستيقناً أن ما قدّره الله فيهم يتم ، وإنما قال ظاناً ، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق ما ظنّه عليهم ، أي : فيهم ، ثم قال الله : وما تسليطنا إياه إلا لنعلم من يؤمن ، أي : المؤمنين من الشاكرين (٤) . يقول سيد قطب: " وشـــعور الإنـــسان بـــأن الشيطان ـــ عدوه القديم ـــ هو الذي يأمر بهذا الشرك وتوابعه من الشعائر الوثنية ، يثير في نفسه علـــى الأقل الحذر من الفخ الذي نصبه العدو ، وقد جعل الإسلام المعركة الرئيسة بين الإنسان والـــشيطان ، ووجّه قوى المؤمن كلها لكفاح الشيطان والشر الذي يُنشئه في الأرض ، والوقوف تحت راية الله وحزبه في مواجهة الشيطان وحزبه ، وهي معركة دائمة لا تضع أوزارها ، لأن الشيطان لا يمل هذه الحرب التي

1: التفسير الكبير ١٠ / ٧٩

2 تفسير أبي السعود ٢/١٩٣

3 التحرير والتنوير مج٢ ٩١/٥

4 ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣١١

أعلنها منذ لعنه وطرده ، والمؤمن لا يغفل عنها ، ولا ينسحب منها وهو يعلم أنه إما أن يكـــون ولياً لله ، وإما أن يكون ولياً للشيطان ، وليس هناك وسط " (١) .

[٥] وقال تعالى :﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٨] .

ذكر المتعلق الجار والمجرور (بالفحشاء) للتأكيد على شناعة هذه الجريمة ، فالتصريح بهـــا في الجملـــة المنفية ، جاء لأن الله ﷻ لا يأمر إلا بمحاسن الأخلاق ، وإضمار الفاحشة بـــ (ها) الذي يعود علـــى القول الأول ، يؤكد سوء فعلتهم وكذبهم فيما زعموا ، فهم يزعمون أن الله أمرهم بها ، وحاشا لله أن يأمر بمثل هذا ، إنما وجدوا آباءهم يفعلونها ، فساروا على نهجهم ، قال سيد قطب : " وذلك ما كـــان يفعله ويقول به مشركو العرب ، وهم يزاولون فاحشة التعري في الطواف ببيت الله الحرام وفيهم النساء !! ثم يزعمون أن الله أمرهم بها ، فقد كان أمر آباءهم بها ففعلوها ، ثم هم ورثوها عن آبائهم ففعلوهـــا !! .... والله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ أن يواجههم بالتكذيب لهذا الافتراء على الله وبتقرير طبيعـــة شرع الله ، وكراهته للفاحشة ، فليس من شأنه أن يأمر بها " (٢) ، ومن هنا جاء التقرير : (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون) .

[٣٦] وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

قوله تعالى : (يأمرهم بالمعروف) أسند الأمر بالمعروف إلى الرسول الكريم ، وذكر ما يأمرهم به هو الجار والمجرور (بالمعروف)، وقُدم المفعول به (هم) ، قال سيد قطب : " وبذلك البلاغ المبكـــر لـــبني إسرائيل على يد نبيهم موسى عليه السلام كشف الله سبحانه عن مستقبل دينه ، وعن حامل رايتـــه ، وعـــن طريق اتباعه وعن مستقر رحمته، فلم يبق عذر لأتباع سائر الديانات السابقة بعد ذلك الـــبلاغ المبكـــر بالخبر اليقين " (٣) .

---

[1] في ظلال القرآن ٢/٧٦١

[2] : في ظلال القرآن ٣/١٢٨٠ ج٨

[3] في ظلال القرآن ٣/١٣٧٨ ج٩

[٥٠] وقوله تعـــالى :﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالمنكر) مذكوراً ، ويقصد به : الشرك والكفر بالله ، وقد ذكر لبسط الكلام وتقريره ، لأن المنكر مستقبح من العقل والشرع ، وسياق الحديث هنا عن المنافقين ، قال سيد قطب عن المنافقين : " أما سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ... وهم حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يستخفون بهما ، ويفعلون ذلك دساً وهمساً ، وغمزاً ولمزاً ؛ لأنهم لا يجرؤون على الجهر إلا حين يأمنون " (١) .

[٥٢] وقال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود:٨٧] .

(الكاف) ضمير مفعول به عائد على شعيب عليه السلام وقد ذكر للسخرية والاستهزاء به عليه السلام حيث جعلوه مأموراً والصلاة آمره ، مع أنه هو الآمر ، وذلك لأنه كان كثير الصلاة (٢) .

وكنّى بالضمير المفعول المقدم عن شعيب وأظهره كما أظهر المراد من الأمر (ترك العبادة المزعومة وهي في نظرهم (العبادة الصحيحة) وقد جاء السياق بالاستفهام ، والقصد التهكم والسخرية ، حيث جعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته التي يداوم عليها .

[٥٤] وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦].

ذكر الجار والمجرور (بالعدل) والعدل هو " الحق الصواب الموافق للواقع" (٣) ، وقد ذكر هنا للتأكيد على الفرق بين المؤمن الذي يحمل هذه الصفة وهي (الأمر بالعدل) وبين الكافر الذي يشبه الأبكم " لا

---

1 : في ظلال القرآن ١٦٧٣/٣ ج١٠

2 ينظر : تفسير أبي السعود ٢٣٢/٤

3: التحرير والتنوير مج٦ ٢٢٣/١٤

قدرة له ولا أمر " [1] . وفي التعليق على الحاشية : " (ومن يأمر) مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في (يستوي) وسوّغه الفصل بالضمير المنفصل " [2] .

[٣٤] وقال تعـــالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالعدل) مذكوراً ليبين أهمية العدل في حياة الناس ، إذ بإقامة العدل تقوم الحياة ، وقد عطف عليه أمران ، الإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، لأن هذه الأمور جمعت كل ما تقتضيه التكاليف ، يقول الزمخشري : " العدل هو الواجب لأن الله تعالى عدل فيه على عباده ، فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم ﴿ والإحسان ﴾ الندب ؛وإنما علّق أمره بهما جميعاً ، لأن الفرض لابدّ أن يقع فيه تفريط ، فيجبره الندب " [3] .

[٣٧] وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم:٥٥] .

ذكر المفعول به (أهله) والجار والمجرور (بالصلاة) وقد عطف عليه الزكاة ، وفي هذا إشارة إلى أن من شريعة إسماعيل عليه السلام الصلاة والزكاة ، وأما ذكر المفعول (أهله) فللاشتغال بالأهم ، وهو أن يقبل الرجل على تكميل نفسه وأقرب الناس إليه ، وليس الغرض التخصيص ، يقول الشهاب : " يعني ذكر الأهـــل ليس للتخصيص ، بل لأنه الأهم " [4] .

[٦١] وقال تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد:٢٤] .

ذكر المتعلق المفعول به (الناس) " للتعميم ، ولأن الذكر فيه تثبيت المعنى وتمكينه في النفس ، وعلى اعتبار أن الذكر هو الأصل " [5] ، وفي ذلك تأكيد على أنهم لا يبخلون هم فقط ، وإنما يأمرون (الناس)

1: تفسير أبي السعود ١٣٠/٥

2 : حاشية ابن زاده ٣٠٦/٥

3: الكشاف ٤٦٤/٣

4 : حاشية الشهاب ٢٨٥/٦

5 : ينظر روح المعاني مج ١٥ ٢٨٧/٢٧

بالبخل. وذكر المتعلق الجار والمجرور (بالبخل)، ولعل في هذا تشنيعاً لهم ، إذ لم يكفهم بخلهم ، بل هم يأمرون الناس بالبخل أيضاً ، قال سيد قطب :" ووجه الصلة بين الحقيقة السابقة وبين الاختيال والفخر ، ثم بين هذا وذلك ، وبين البخل والأمر بالبخل ، هو أن من يشعر بأن كل ما يصيبه هو من أمر الله لا يختال ولا يفخر بما يعطاه ، ولا يبخل ولا يأمر بالبخل في عطاء ، فأما الذي لا يشعر بتلك الحقيقة ، فيحسب أن ما يؤتاه من مال وقوة وجاه هو من كسبه فيفخر ويختال به ، ثم يبخل كذلك ببذل شيء منه ، ويحث غيره على البخل ليُحقق مبدأه ومنهجه ! " [1].

شواهد حذف متعلقات الفعل المضارع (يأمر):

[٦٢] وقال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [البقرة:٦٨] .

حذف المتعلق (الجار والمجرور) وتقديره (ما تؤمرون به) قال ابن عاشور : " والعائد محذوف بعد حذفه جارّه على طريقة التوسع ، لأنهم يقولون : أمرتك الخير ، فتوسلوا بحذف الجار إلى حذف الضمير " [2].

و(افعلوا ما تؤمرون) " تجديد للأمر وتأكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه ، وهذا يدل على أن مقتضى الأمر الوجوب كما يقوله الفقهاء ، وهو الصحيح على ما هو مذكور في أصول الفقه ، وعلى أن الأمر على الفور ، وهو مذهب أكثر الفقهاء أيضاً ، ويدل على صحة ذلك أنه تعالى استقصرهم حين لم يبادروا على فعل ما أمروا به ، فقال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) وقيل : لا ، بل على التراخي ، لأنه لم يعنفهم على التأخير والمراجعة في الخطاب ، قاله ابن خويز منداد " [3] .

[٤٨] – قال تعالى حكاية عن غواية الشيطان لعباد الرحمن : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٩] .

---

[1] : في ظلال القرآن ٦/٣٤٩٤ ج٢٧

[2] : التحرير والتنوير مج١ ١/٧٠

[3] : الجامع لأحكام القرآن ١/٤٤٩

(ولآمرنهم) ، حذف المتعلق (بالضلال) ، يقول الشهاب:" قوله (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) مفعول (آمرنهم) محذوف ، أي : آمرنهم بالضلال ، وقوله : فليبتكن الخ ، تفصيل له وتفسير، والبتك القطع والشق ، والبتكة القطعة من الشيء ، وهو إشارة إلى ماكانت الجاهلية تفعله من شق أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن " ([1]) ، وفي حذفه بيان غاية العداوة والسعي إلى إهلاك الناس وإبعادهم عن الهدى، والله أعلم .

[٥١] وقال تعالى ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

حذف المتعلق المفعول به (الناس) ، قال ابن جرير الطبري :" يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وبما جاء به من عند الله " ([2]) ، وذكر المتعلق (الجار والمجرور) (بالمعروف) لبسط الكلام وتقريره ، فهم يأمرون بعكس ما يأمر به المنافقون ، فهنالك فرق بين من يأمر بالخير والإيمان ، ومن يأمر بالمنكر والضياع ، قال سيد قطب :" إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة الوحدة ، وطبيعة التكافل وطبيعة التضامن ، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر " ([3]) . قال البغوي : " (يأمرون بالمعروف) أي : بالإيمان والطاعة ، والخير " ([4]) .

[٦٣] وقال تعالى : ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحجر:٦٥] .

(وامضوا حيث تؤمرون) حذف المتعلق الجار والمجرور (به) وتقديره (تؤمرون به) وعُدي (تؤمرون) إلى ظرف (حيث) المبهم ، " لأن حيث مبهم في الأمكنة ، وكذلك الضمير في (تؤمرون) ....وفسر ذلك الأمر بقوله(أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ){الحجر:٦٦} وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له " ([5]) .

---

1 : حاشية الشهاب ٣ / ٣٥٤

2: تفسير الطبري ٥٥٦/١١

3 : في ظلال القرآن ١٦٧٥/٣ ج١٠

4: تفسير البغوي ٣١٠/١

5 : الكشاف ٤١٣/٣

[٦٤]وقال تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ ﴾ [الحجر:٩٤] .

حذف المفعول به لأن المأمور مصيب في كلامه ، وكما يقولون : قد طبق المفصل ، أو يقولون : فلان يفصل الخطاب ، أي : يصيب حقائقه ويوضح غوامضه ، ويفرق بين الحق والباطل [١] .

والآية توجّه النبي ﷺ إلى ما يجب في مواجهة هذا اللغط ، وهو بلاغ في أمر الله بلاغاً واضحاً نافذاً ، فيحدد مقاطع الحق من الباطل ، ويبيّن الهداية والغواية بياناً كاشفاً ، وأن ينصرف عن هؤلاء وعن طريقتهم الملبسة الهازلة " [٢] .

[٦٥] وقال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ۝٥٠ ﴾[النحل:٥٠].

جاء المتعلق الجار والمجرور (به) محذوفاً ، يقول بن عاشور :" أي: ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات ، وإيراد الفعل مبنياً للمفعول جرى على سنن الجلالة ، وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه ، واستدلال الآية على أن الملائكة مكلفون ، مداورن بين الخوف والرجاء " [٣] ، وجاء تفسير البيضاوي : " يفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير " [٤] .

[٥٥] وقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٢١ ﴾ [النور:٢١].

حذف المفعول به وتقديره (يأمر جميع الناس) بقصد العموم ، فالخطاب هنا عام ، يقول الرازي في المحصول : " الخطاب المتناول لما يندرج فيه النبي ﷺ والأمة كقوله : (يا أيها الناس) و: (يا أيها الذين آمنوا) عام في حقهما " [٥] قال سيد قطب : " وإنها لصورة مستنكرة أن يخطو الشيطان ، فيتبع المؤمنون

---

[1]: ينظر : بلاغة القرآن في آثار القاضي ٥٤٨

[2]: الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ١٢٢ د. محمد أبو موسى ط١ /١٤٠٥هـ ـ مكتبة وهبة ـ مصر

[3]: التحرير والتنوير مج٦ ١٤/١٧٠

[4]: تفسير البيضاوي ٥/ ٥٩٦

[5]: الكاشف المحصول ٤/٥٩٠

خطاه ، وهم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان ، وأن يسلكوا طريقاً غير طريقه المشؤوم !! صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن ، ويرتجف لها وجدانه .. (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء) " [1] .

وحديث الإفك نموذج من هذا المنكر الذي قاد إليه المؤمنين الذين خاضوا فيه ، وهو نموذج منفر شنيع ، وإن الإنسان لضعيف معرّض للنزعات ، عرضة للتلوث ، إلا أن يدركه فضل الله ورحمته .

[٣٨] وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٠] .

حذف المتعلق بالأمر لدلالة ما سبق عليه ، ومقصده من ذلك إباء السجود لله ، لأن السجود الذي أمروا به سجود لله بنية انفراد الله دون غيره ، وهم لا يجيبون إلى ذلك [2].

وذكر المفعول به ، وهو الضمير (نا) لبيان خطابهم الذي لا يشافهون به الرسول ﷺ وإنما يقولون بينهم ، " والاستفهام في (أنسجد لما تأمرنا) إنكار وامتناع ، أي : لا نسجد لشيء تأمرنا بالسجود له ، على أن (ما) نكرة موصوفة ، أولا نسجد للذي تأمرنا بالسجود له إلا أن كانت (ما) موصولة ، وحذف العائد من الصفة أو الصلة مع (ما) اتصل هو به لدلالة ما سبق عليه ، ومقصدهم من ذلك إباء السجود لله ، لأن السجود الذي أمروا به سجود لله بنية إنفراد الله به دون غيره ، وهم لا يجيبون إلى ذلك كما قال الله تعالى : (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) [القلم:٤٣]، فيأبون " [3] .

[٥٦] وقال تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء:٣٥]

حذف المفعول به ، وبقي ما أراده في الذهن، وهو ضعف فرعون والتماسه النصرة من القوم ، قال سيد قطب : " يبدو إقراره بعظمة المعجزة ، وإن كان يسميها سحراً ، فهو يصف صاحبها بأنه (ساحر عليم) ، ويبدو ذعره من تأثر القوم بها فهو يغريهم به (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) ، ويبدو تضعضعه وتهاويه وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إلاهاً ، فيطلب أمرهم ومشورتهم (فماذا تأمرون)

---

[1] : في ظلال القرآن ٢٠٠٤/٤ ج١٧

[2] ينظر : التحرير والتنوير مج٨ ٦٣/١٩

[3] المرجع السابق

، ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون " [1] ، وهكذا ينطوي المفعول به وينحـــذف ، ليبقى شيء في ذهن السامع والقارئ يقدره .

[٦٦] وقال تعالى :﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصَّفات:١٠٢]

حذف ما أُمر به وطوى المسند إليه لعلمه أنه أَمْرٌ من رب عظيم ، وقد دل السياق عليه ، (افعل ما تؤمر) إنه يتلقى الأمر " فهو يُحس ما أحسه من قبل قلب أبيه ، يُحس أن الرؤيا إشارة ، وأن الإشـــارة أمر ، وأنها تكفي لكي يلبي وينّفذ من غير لجلجة ، ولا تَمحّل ولا ارتباب " [2] .

(تؤمر) هكذا بالمبني لما لم يسم فاعله ، ينطقها الابن البار ، فلا يبين متعلقاتها ، وهو كمال الأدب مع الله ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال ، إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام وحسب ، ولكـــن في رضا كذلك ويقين .

[٦٠]أما قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الطُّور:٣٢] .

فقد تقدم المفعول به (هم) في (تأمرهم) وذكر الجار والمجرور (بهذا) بعده " وفي ذلك إشـــارة إلى أن كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي أن يقال ، وفي ذلك إزراء بعقولهم ، حيث لم تتم لهم معرفـــة الحق من الباطل " [3] .

وقال ابن قتيبة : " وقوله تعالى: (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أي : تدلهم عقـــولهم عليه ، لأن الحكم يكون من العقل فكنى عنه به " [4] ، وقال سيد قطب : " وفي السؤال الأول تهكـــم لاذع ، وفي السؤال الثاني اتهام مزرٍ، وواحد منهما لابد لاحق بهم في موقفهم المريب " [5] .

---

1 : في ظلال القرآن٥/٢٥٩٤ ج١٩
2 : في ظلال القرآن ٥/٢٩٩٥ ج٢٣
3: التفسير الكبير ٨/٢٢١
4 : تأويل مشكل القرآن ١٥٢
5 : في ظلال القرآن ٦/٣٣٩٨ ج٢٧

المبحث الثالث : صيغة الأمر (مُر و أْمُر):

الأمر هو طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء ، وهو قول قائل لمن دونه (افعل) ، وله صيغ مخصوصة [1] ، وقد جاءت مادة (أمر) على صيغة الأمر خمس مرات ، تنوعت فيها حالة المسند إليه ما بين إفراد وجمع ، و لم يرد المسند إليه في هذه الشواهد مثنى ، وقد تنوع فيها المأمور به .

مجيء المسند إليه مفرداً :

٦٧_ قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٥].

الحديث هنا عن موسى عليه السلام وقصته في ميقات ربه ، عندما طلب من الله الرؤية ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبره بأنه لن يراه ولن يطيق رؤيته ، وضرب له مثالاً على ذلك(بالجبل) تسلية له من عدم الإجابة على سؤال الرؤية، و أخبره سبحانه بأنه أعطاه من النعم العظيمة ما لم يعط أحداً من الناس في زمانه ، فقد اختاره وفضله بالرسالة والكلام [2] .

وقد جاء الفعل (وأْمُرْ) على صيغة الأمر ، لأنه أمر بالأمر بأخذ أحسن ما في التوراة ، وهو على جهة العلو لأنه صادر من الله سبحانه وتعالى وقد أسندت صيغة الأمر (وأْمُرْ) إلى الضمير العائد على موسى عليه السلام ؛ لأن الخطاب موجه له ، ولأنه النبي المرسل إلى بني إسرائيل الواجب عليه تبليغ أوامر الله ــ سبحانه ــ لهم ..وقد جاء بين قوله :(فخذها بقوة) وقوله: (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) وصل ؛ لأنها كلها أوامر من الله سبحانه وتعالى فبعد أن أمره بأخذ ما في التوراة أمره بأن يأمر قومه بأخذ أحسن ما فيها ، فبين الجملتين مناسبة في المعنى ، واتفاق في الأسلوب الإنشائي ، ثم فصلها عما بعدها وهي قوله : (سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ) لأنها جملة خبرية ، وما قبلها إنشائية ؛ فبين الجملتين كمال انقطاع .

وبالتأمل في الآية يلحظ التعبير بفعل الأمر (خذها، وأمر) ،ولعل فيه إشارة إلى الوجوب والله أعلم .

---

[1] : ينظر : مفتاح العلوم ١٥٢ وكتاب التعريفات ٣٦ للجرجاني

[2] : ينظر تفسير أبي السعود ٣ / ٢٧

وفي قوله :(كتبنا) أسند الكتابة لنفسه ﷻ ، والغرض من هذا الإسناد التشريف ، كما أشار إلى ذلك القرطبي والشوكاني ([1]) .

٦٨_- وقـــــال تعـــــالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

جاءت هذه الآية خطاباً للرسول ﷺ يأمره فيها بمكارم الأخلاق بعد الحديث عن المشركين ، وعبادهم لأصنام لا تنفعهم ولا تضرهم ، فأمره بالعفو عنهم وعدم مؤاخذتهم بأعمالهم ، فقال: (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ) ، وقد جاء الفعل (وأمر) على صيغة الأمر ، وهو أمر بالأمربالمعروف ، وهو صادر منه سبحانه على العلو ، والوجوب لأن الأمر بالمعروف واجب .

والخطاب هنا وإن كان موجهاً لرسول الله ﷺ إلا أن أمته تشاركه في الحكم ؛ لأنه لا يوجد دليل على تخصيصه بهذا الأمر ، يقول د. عبد الكريم النملة : " وإذا خاطب الله تعالى النبي ﷺ بفعل عبادة بلفظ ليس فيه تخصيص كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ) فإن أمته تشاركه في حكم ذلك الأمر والفعل حتى يدل دليل على تخصيصه بذلك الحكم " ([2]) .

وبالتأمل في ترتيب جمل هذه الآية نجد أنها في غاية الدقة ، فقد بدأ أولاً بالعفو ، فقال : (خذ العفو) وهو أسلوب من أساليب الدعوة ، فلابد من المعاملة الحسنة واللين ، ثم يبدأ (الأمر بالمعروف) ، ولعل الحكمة في ذلك تهيئة الطرف الآخر فيتقبلها قبولا حسنا ، ثم ختمها بآخر أسلوب من أساليب الدعوة ، وهو الإعراض عن الجاهلين ، فقال: (وأعرض عن الجاهلين) ، فبعد المجادلة والحلم والأمر بالمعروف باللين ، إذا لم تكن هنالك استجابة ، فالإعراض عنهم أولى ، والله سبحانه أعلم .

وهذه الآية يستشهد بها علماء البلاغة على إيجاز القصر ، يقول العلوي : " فهذه الكلمات على قصرها وتقارب أطرافها قد احتوت على جميع مكارم الأخلاق ومحامد الشيم ، وشريف الخصال ، وهذا المراد بقوله ﷺ : (أوتيت جوامع الكلم) " ([3]) .

---

[1] : ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢ وفتح القدير ٢٤٤/٢
[2] : الجامع لمسائل أصول الفقه ٢٣١ .
[3] : الطراز ٤٩/٢ .

٦٩_ قال تعـــالى :﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] .

جاءت هذه الآية خطابا للرسول الكريم ﷺ أمره فيها بأن يأمر أهله بالصلاة ، وذلك بعد الحديث عـــن المشركين ومتعهم في الدنيا .

وقد جاء الفعل (وأمر) على صيغة الأمر ، لأنه أمر بالأمر بالصلاة والاصطبار عليها ، والأمر هنا صادر من الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ فهو على العلو والوجوب ، لأن الأمر بالصلاة واجب .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها ، وهي قوله سبحانه : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ) وصل ، لارتباطهما في المعـــنى ، فهذه الآية تتحدث عن الصلاة وأنها سبب في رزق العبد ، أما الآية السابقة فهي تتحـــدث عـــن رزق الكفار ومتعهم في الدنيا ، يقول أبو السعود : " أمر الرسول ﷺ بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعدما أمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتـــوا لفت أرباب الثروة " [1] ، وعطف قوله :(واصطـــبر عليها) على قوله :(وأمر أهلك بالـــصلاة) لأن الصلاة تحتاج إلى اجتهاد في المحافظة على أوقاتها وأركانها و واجباتها ، فهي عمود الإسلام لا تسقط عن المسلم بأي حال من الأحوال مـــن ســـن التكلـــيف إلى الممات ، ولذلك قال :(فاصطبر) و لم يقل : (واصبر) ، ولا شك أن وراء هذا الاستعمال سر بلاغي يتضح من خلال وزن الصيغة ، (فاصـــطبر) على وزن (افتعل) ، و (اصبر) على وزن (افعل) ، وقوة اللفظ تكون لأجل قوة المعنى ، وذلك بنقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر منها حروفاً [2] .

(فافتعل) فيها معنى المبالغة والاجتهاد والتصرف وبذل المجهود [3] ، وهذه المـــــعاني لا تحملـــها صيـــغة (افعل) .

وفي الجملة إيجاز حذف ، فقد حذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، والتقدير (لأهل التقـــوى) تنبيهاً على أن ملاك الأمر هو التقوى [4] .

---

1 : تفسير أبي السعود ٦/٥١ .

2 : ينظر : الطراز ٢/٨٦ .

3 : المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات من القرآن الكريم ١٣٠ د. عبد المجيد ياسين المجيد ط١ /١٤٢٦ هـــــ دار ابن حزم ـــ بيروت .

4 : ينظر : تفسير أبي السعود ٦/٥١ .

٧٠- قال تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧].

في هذه الآية يخاطب لقمان ابنه ، ويوصيه بعدة وصايا ، هي من أعظم الوصايا ، بل هي قوام الحياة على شريعة سماوية غراء .

وقد جاء الفعل (وأمر) على صيغة الأمر ؛ لأنه أمر بالأمر بالمعروف ، وهو على جهة العلو والوجوب ، فالعلو لأنه من لقمان لابنه ، و الوجوب لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

وجاءت صيغة الأمر مسندة إلى الضمير المستتر العائد على ابن لقمان ، لكن المعنى ليس خاصا به ، بل يشمل العموم .

وبالتأمل في هذه الآية يلحظ أن أسلوبها إنشائي ، وهي جمل متناسبة في المعنى ، ولذلك وصل بينهما .

وقد جاء ترتيب هذه الجمل في غاية الدقة والبلاغة ، فقد بدأت بـ (أقم الصلاة)؛ لأن الصلاة تربي الروح على الخير وتنهاها عن الشر ، فإذا تشبعت النفس الإنسانية بهذا الخير بدأ نورها يشع في المجتمع ، فيبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذلك قال : (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) ، ولأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يصيبه شيء من أذى الناس ؛ لذلك أمره بالصبر في قوله : (واصبر على ما أصابك) ، ثم ختمت الآية بجملة خبرية مؤكدة (إن ذلك من عزم الأمور) فصلها عما قبلها لكمال الانقطاع ، والتأكيد هنا إما للدلالة على أهمية الصبر على ما يصيب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، أو للدلالة على أهمية هذه الأمور ؛ لأنها من أصول العقيدة ، [١] يقول ابن عاشور : " والتأكيد للاهتمام " [٢] .

وفي الآية مقابلة بين (وأمر بالمعروف) و (انه عن المنكر) وذلك للتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً .

[1]: ينظر: تفسير أبي السعود ٧٢/٧ ، وتفسير البيضاوي ٤٢١/٧ وروح المعاني مج ١٢ ١٣٥/٢١ .

[2]: التحرير والتنوير مج ٨ ، ١٦٤/٢١ .

أحوال متعلقاته :

شواهد ذكر متعلقات فعل الأمر (وأمر) :

[٦٧]قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٥] .

ذكر المتعلق المفعول به (قومك) فهم أقرب الناس إليه دون غيرهم ، ولزيادة تقرير الكلام وبسطه ، لأن موسى عليه السلام نبي مرسل ، وواجب على الرسل تبليغ أقوامهم بما أرسلوا به ، يقول ابن عطية : " أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد مما أمر به قومه " [1]. وقال بن عاشور : " (وأمر) تحقيقاً لحصول امتثالهم عندما يأمرهم " [2] .

[٦٨]وقال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالعرف) مذكوراً للاهتمام به ، يقول الطاهر بن عاشور : " كأنه الأهم في دعوة المشركين ، لأنه يدعوهم إلى أصول المعروف واحداً بعد واحد " [3] .

وقد حذف المفعول به (الناس)؛ إذ التقدير (وأمر الناس) وذلك للتعميم مع الاختصار ، فهذه أمور متعلقة بحياة الناس جميعاً ، لا تقتصر على أحد ، والله أعلم .

[٦٩]وقال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢].

(بالصلاة) الجار والمجرور متعلقان بفعل الأمر (وأمر) ، وقد ذكر المتعلق لبيان أهمية دعوة الأهل إلى أفضل شيء (الصلاة)؛ ولأن الأمر بالصلاة واجب فهي عماد الدين ، وغذاء الروح ، يقول بن عاشور : " ومن آثار العمل بهذه الآية في السنة ما في صحيح البخاري أن فاطمة ـــ رضي

1: المحرر الوجيز ٧٤٢ .
2: التحرير والتنوير مج ٤ ٩/١٠١ .
3: المرجع السابق مج ٤ ٩/٢٢٨ .

الله عنها ــ بلغها أن سبياً جيء به إلى النبي الكريم ﷺ فأتت تشتكي إليه ما تلقى من الرحى تسأله خادماً من السبي ، فلم تجده ، فأخبرت عائشة بذلك رسول الله ﷺفجاءها النبي ﷺ وقد أخذت وعلي مضجعهما فجلس في جانب الفراش وقال لها ولعلي : ألا أخبركما بخير لكما مما سألتما تسبحان وتحمدان وتكبران دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين فذلك خير لكما من خادم ، وأمر الله رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله، وهو أن يصطبر على الصلاة " [1] .

و ذكر المتعلق المفعول به (أهلك) للتخصيص ، فقد ذكر القرطبي أن ذكر الأهل هنا على التخصيص ، لأن أهل الرجل أسرع امتثالاً له [2].

[٧٠]وقال تعالى :﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧] .

ذكر المتعلق الجار والمجرور (بالمعروف) للتخصيص ، حثاً لابنه على عمل الخير ، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين ، ولو تركت لعم عقاب الله جميع الناس .
قال سيد قطب : " انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر "[3] ، وفي حاشية ابن زاده : " لما نهى ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالى وقدرته أمره بما يتفرع عن الإيمان بالله وحده وابتدأ الأمر بإقام الصلاة " [4] .

مجيء الأمر مصدراً :

جاء الأمر مصدراً في (٧) سبعة مواضع ، وهي :
٧١_وقال تعالى:﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [هود:٥٩] .

1: التحرير والتنوير مج ٧ ١٦/٣٤٢ .
2: الجامع لأحكام القرآن ٢/١٢٨ .
3: في ظلال القرآن ٥/٢٧٩٠ مج ٢١ .
4: حاشية محي الدين زاده ٦/٥٧٢ .

سياق الآية قصة هود عليه السلام مع عاد ، وفيها تعريض بحال هؤلاء السفلة والسقاط الذين اتبعوا أهل التكبر والعناد .

والأمر في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأمور) ، والأمر هنا هو الشأن، " والمعنى أن السفلى كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم : (ماهذا إلا بشر مثلكم) "([1])، أو يكون الأمر مفرد (الأوامر) ، " ومعنى اتباع أمرهم : طاعتهم " ([2]) ، يقول أبو السعود : " (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) من كبرائهم و رؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل ، فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار ، وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم فإن الاتباع للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء " ([3]) .

والتعبير بالأفعال الماضية (جحدوا ، عصوا ، اتبعوا) لأنها جاءت في سياق الإخبار عن الماضي ، فهذه القصة وقعت في زمن مضى وانتهى .

وقد عطف قوله :(واتبعوا أمر كل جبار عنيد) على ما قبلها ، للإشارة إلى قبائحهم وأوصافهم التي استحقوا بها العذاب ، فهم قد جحدوا ما جاء به هود عليه السلام وكذبوه وعصوه واتبعوا أمر الرؤساء ، وبهذه الصفات استحقوا اللعن في الدنيا والآخرة .

وفي اتباع الأمر استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال هؤلاء في اتباع كبرائهم في الضلال وملازمة هذه الحال بحال المأمورين يتبعون الهادي للسائر في الطريق ، يقول الطاهر بن عاشور :" ومعنى اتباع الآمر : طاعة مايأمرهم به ، فالاتباع تمثيل للعمل بما يملي على المتبع ، لأن الآمر يشبه الهادي للسائر في الطريق ، والممتثل يشبه المتبع للسائر " ([4]).

٧٢ـ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود:٩٧] .

جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون .

---

[1] : التفسير الكبير ١٨ / ١٣

[2] : الكشاف ٣ / ٢١٠

[3] : تفسير أبي السعود ٤/٢١٩

[4] : التحرير والتنوير مج ٥ ١٢ / ١٠٥

و الأمر في قوله: (فاتبعوا أمر فرعون) مفرد (الأوامر) والمعنى : " فاتبعوا أمره بالكفر بموسى " ([1])، ويقول الشهاب : " بالكفر متعلق بالأمر بمعناه المشهور ، وقوله (أو فما اتبعوا الخ ،)يؤخذ من السياق لأنه بعد ما ذكر إرسال موسى إليهم ، و لم يتعرض له بل خص اتباع فرعون علم أنهم لم يتبعوه ولا ينبغي تخصيص هذا بالوجه الثاني ، وهو ما إذا كان الأمر واحد الأمور وهو الشأن والطريقة "([2]) .

وقد عطف قوله : (فاتبعوا أمر فرعون) على ما قبله بالفاء الدالة على التعقيب ، فاتباعهم لأمر فرعون جاء بعد الإرسال ، فالاتباع متصل بالإرسال ، والغرض من إيراد الفاء : الإشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعة فرعون إلى الكفر والأمر به [3] ، يقول الطاهر بن عاشور :"وعقب ذكر إرسال موسى عليه السلام بذكر اتباع الملأ فرعون لأن اتباعهم أمر فرعون حصل بأثر الإرسال ففهم منه أن فرعون أمرهم بتكذيب تلك الرسالة "[4] .

وقوله : (وما أمر فرعون برشيد) إظهار في موضع الإضمار ، فلم يقل: (وما أمره برشيد) وذلك لغرضين ، الأول : ألا يتوهم السامع أن الضمير يعود على موسى عليه السلام والثاني لزيادة التقبيح والتشنيع لمن اتبع فرعون وهو علم في الفساد والإضلال [5]، وإسناد الرشد إلى الأمر إسناد مجازي ، لأن الرشيد الآمر لا الأمر ، وإنما أسند الرشد إلى الأمر مبالغة في اشتمال الأمر على ما يقتضيه انتفاء الرشد فكان الأمر هو الموصوف بعدم الرشد [6] .

٧٣_ قال الله تعالى :﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الشعراء:١٥١].

هذه الآية جاءت في سياق قصة صالح عليه السلام.

الأمر في هذه الآية مفرد (الأوامر) ، وهو أمر حقيقي صادر من المسرفين ، فقد كان أئمة القوم وكبراؤهم الذين يغرونهم بعبادة الأصنام .

---

[1] : تفسير البيضاوي ٥ / ٢٢٦

[2] : حاشية الشهاب ٥ / ٢٢٦

[3]: ينظر تفسير أبي السعود ٤/٢٣٨

[4]: التحرير والتنوير مج ٥ ١٢/١٥٥

[5] : ينظر تفسير أبي السعود ٤/٢٣٩

[6] : ينظر التحرير والتنوير مج ٥ ١٢/١٥٥

وقد يكون الأمر مفرد (الأمور) بمعنى الشأن والحال الضال الذي كان عليه هؤلاء المسرفين إلا أن هذا المعنى بعيد كما أشار إلى ذلك الآلوسي حين قال : " جوّز عليه أن يكون الأمر واحد الأمور وفيه من البعد ما فيه "[1] .

وفي الآية مجاز ، حيث شبه الأمر بإنسان يطاع ثم حذف المشبه به وأتى بلازم من لوزامه (الطاعة) فالاستعارة مكنية ، وقد يكون المجاز استعارة تصريحية حيث شبه الامتثال لأوامر المسرفين بالطاعة بجامع الإفضاء إلى مايأمر به ، وقد يكون المجاز مرسلاً علاقته اللزومية ، يقول الآلوسي : " ونسبة الإطاعة إلى الأمر مجاز وهي للآمر حقيقة وفي ذلك من المبالغة ما لا يخفى .... ويجوز أن تكون الإطاعة مستعارة للامتثال ، لما بينهما من الشبه في الإفضاء إلى فعل ما أمر به، أو مجازاً مرسلاً عنه للزومه له ، ويحتمل أن يكون هناك استعارة مكنية وتخييلية " ([2]).

٧٤_ قال الله تعالى :﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢ ﴾ [فصِّلت:١٢] .

جاءت هذه الآية بعد الإنكار على الكافرين الذين أشركوا مع الله شركاء في عبادته وهو القادر الذي خلق السماوات في يومين .

و الأمر هنا مفرد (الأوامر) ، يقول البيضاوي :" وقيل أوحي إلى أهلها بأوامره "[3] ، ويقول الشهاب :"فالأمر واحد الأوامر ، والوحي على ظاهره ، وإضافة أمرها لأدنى ملابسة "[4] .

وقد عطف جملة : (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) على (فقضاهن) لأنه سبحانه خلق في كل منها من الملائكة والكواكب وغير ذلك مما لا يعلمه إلا هو سبحانه [5] .

وفي قوله: (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) إطناب بذكر الخاص بعد العام ، إذ إن السماء الدنيا من جملة السماوات السبع ، وإنما خصصها بالذكر هنا لإظهار العناية بهذا الصنيع الذي ينفع الناس [6] . وفيها

1: روح المعاني مج١١ ١٧٠/١٩

2 : المرجع السابق

3: تفسير البيضاوي ٣٠١/٨

4: حاشية الشهاب ٣٠١/٨

5: ينظر تفسير أبي السعود ٦/٨

6: ينظر التحرير والتنوير مج٩ ٢٥١/٢٤

التفات من الغيبة في قوله :(فقضاهن) إلى التكلم (وزينا)، وإضافة الفعل إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر [1] .

وختم هذه الآية بصيغتين من صيغ تناهي الكمال (العزيز العليم) فالعزيز إشارة إلى كمال القدرة ، والعليم إشارة إلى كمال العلم ، يقول الرازي :" وما أحسن هذه الخاتمة ، لأن تلك الأعمال لا تمكن إلا بقدرة كاملة وعلم محيط "[2] .

وفي قوله : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) استعارة ، حيث شبه الكواكب بالمصابيح بجامع الإنارة ، فهي استعارة تصريحية [3] .

٧٥_قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ [طه:٩٠]

هذه الآية تتحدث عن هارون عليه السلام وموقفه من القوم حين ظلوا .

وقد يكون (الأمر) مفرد (الأوامر) يراد به الأمر الحقيقي ، فقد كان هارون عليه السلام يدعو قومه إلى ترك عبادة العجل ، يقول البغوي :" (وأطيعوا أمري) في ترك عبادة العجل"[4] .

وعطف جملة (فاتبعوني وأطيعوا أمري) بالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين[5] ، وقوله (إنما فتنتم به) أسلوب قصر ، حيث قصر وقوع الفتنة على عبادة العجل ، فالقصر هنا قصر قلب جاء في مواجهة من يعتقدون العكس واتخذوا العجل إلهاً ومعبوداً [6] .

٧٦_قال الله تعالى في حكاية قصة موسى عليه السلام : ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ [طه:٩٣]

عندما رأى موسى عليه السلام الحال التي صار عليها قومه بعد ذهابه إلى ميقات ربه ، وهارون عليه السلام كان بين أظهرهم ، قال له :(ألا تتبعن أفعصيت أمري) .

---

1 : ينظر تفسير أبي السعود ٧/٨

2: التفسير الكبير ٩٥/٢٧

3 : ينظر التحرير والتنوير مج ٩ ٢٥١/٢٤

4: تفسير البغوي ٢٢٨/٣

5: ينظر : روح المعاني مج٩ ٢٦٥/١٦

6: ينظر : أسلوب القصر ٢٧٥

والأمر في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأوامر) ـــ والله أعلم ـــ ، يقول أبو السعود : " (أفعصيت أمري) أي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ، فإن قوله له عليهما السلام (أخلفني) متضمن للأمر بهما "[1] .

والإنكار عليهم نسبة إلى عصيانه ومخالفة أمره [2] ، ولذلك جاء الاستفهام للإنكار التوبيخي .

٧٧ـ قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار:١٩]

سياق هذه الآية مع ما قبلها الحديث عن يوم القيامة ، وفي هذه الآية وعيد لمن انشغل عنها بطاعة غير الله من ملوك الدنيا وغيرهم .

و(الأمر) هنا مفرد (الأوامر) ، ففي يوم القيامة لا يأمر إلا الله ﷻ([3])، يقول الزمخشري :" لا أمر إلا لله وحده " ([4]) ، وجاء في حاشية الشهاب : " (والأمر يومئذ لله) قال في الكشاف : أي لا أمر إلا لله وحده ، وفي الكشف الظاهر أن الأمر واحد الأوامر لقوله (لمن الملك اليوم) [غافر :١٦] ، فإن الأمر من شأن الملك المطاع، وفيه تحقيق قوله : لا تملك نفس لنفس شيئاً لدلالته على أنهم مسوسون مقهورون مشتغلون بأنفسهم ، وقوله : لا أمر إلا لله وحده إبراز لمعنى الاختصاص في اللام وما ذكره هو الحق الذي لاعدول عنه لأن المراد بكون الأمر له أن التصرف جميعه في قبضة قدرته ، وهو الموافق لقوله : لا تملك ..الخ ، لأن معناه لا قدرة لأحد على ضر أحدٍ ونفعه ، وكون الأمر واحد الأمور ركيك هنا فلا يلتفت إلى ما قيل من أنه لو حمل على واحد الأمور كان أشمل ، ولا نزاع في جواز كل منهما إنما الأمر في أيهما أظهر " ([5]).

وقد فصل هذه الآية عما قبلها لأنها جاءت بياناً لما أبهم [6] في قوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) [الانفطار:١٧:١٨] فبين الجملتين كمال اتصال ،والله أعلم .

[1]: تفسير أبي السعود ٢٨/٦
[2] ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١١٢/٢
[3] ينظر: المرجع السابق مج ١٢ ٣٠ / ١٨٥
[4] : الكشاف ٦ / ٣٣٢
[5] : حاشية الشهاب ٩ / ٤٣٧ و ينظر : روح المعاني مج ١٥ ٣٠ / ١١٧
[6] ينظر : تفسير أبي السعود ١٨٣/٩

المبحث الرابع : صيغ أخرى (قليلة) :

إن من ظواهر إعجاز القرآن الكريم الدقة في اختيار ألفاظه ، وانتقاء كلماته ، فاختيار كل كلمة في القرآن في موضعها ليس عبثاً ، بل لسبب ، مما جعل الألباب البشرية تقصر عن إحصائه ، والآلات الدنيوية عن استيفائه ، وإن كل كلمة فيه لها رونق وجمال ، وهي موصوفة بالذروة العليا من الفصاحة [1]. يقول الأصفهاني عن ألفاظ القرآن : " و ما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطياب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة " [2].

صيغة (آمر) :

٧٨ـ قال الله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢].

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن المؤمنين الذين ذكر الله أنه اشترى منهم أنفسهم

وقد جاء من مادة (أمر) صيغة اسم الفاعل (آمرون) وهذه الصيغة تفيد الثبوت والتجدد ، ومجيء (الآمرون) على صيغة اسم الفاعل لأن جميع الصفات التي وردت في هذه الآية جاءت على هذه الصيغة ، وهذه الصيغ تفيد الثبوت ، ولذلك لم يعبر عنها بالمضارع لأن السياق سياق مدح وثناء على المؤمنين المتصفين بهذه الصفات ، فالتعبير عن هذه الصفات بصيغة اسم الفاعل وعدم الوصل بينهما بالواو تدل على أنهم كاملون في كل صفة على حدة ، يقول الدكتور محمد أبو موسى : " وترادف الصفات من غير واو إشارات إلى أنهم كاملون في كل واحدة على حدة ، وسقوطها إشارة إلى أنها مجتمعة فيهم وكأنها صفة واحدة" [3] .

---

[1]: ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٧٢١ ، وصفاء الكلمة ١٠ عبد الفتاح لاشين ط : ١٤٠٣ هـــ دار المريخ للنشر ـــ الرياض .

[2]: المفردات للأصفهاني ٧ .

[3]: دلالات التراكيب – دراسة بلاغية ٢٨٠

أما العطف بين قول الله تعالى : (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) فلأن هاتين الصفتين متضادتان ، فالأمر ضد النهي ، فالأول طلب فعل ، والآخر طلب كف ، يقول العلوي : " لما كانت هاتان الصفتان متضادتين ، فلا جرم وجب فيهما العطف كما ترى "(١) .

وبالتأمل في سياق الآية ، يلحظ أنها ذكرت عدة صفات للمؤمنين ، وقد جاء ترتيب هذه الصفات غاية الدقة والبلاغة ، حيث بدأها بالتوبة (التائبون) ، والتوبة تعني الرجوع من حالة إلى حالة أحسن منها ، وبذلك تحصل العبادة (العابدون) ، وتحصل بأدنى عبادة يؤديها المسلم ، وإذا تحققت العبادة تعلق القلب بذكر الله فيحصل الحمد له (الحامدون) ، وإذا تعلق القلب بذكر الله يبدأ التجول بالفكر في خلق الله سبحانه (السائحون)، ثم انتقل إلى عبادة أعظم وهي عمود الدين (الصلاة) (الراكعون الساجدون)، وإذا تحققت المواظبة على الصلاة انتقل إلى مرحلة أوسع ، وهي العبادة التي تميز هذه الأمة عن باقي الأمم (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر)، ثم ختم هذه الصفات بصفة اشتملت على جميع تكاليف الشريعة (والحافظون لحدود الله) ... وفي التعبير بـ الراكعون الساجدون) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، فقد ذكر الركوع والسجود ، والمراد الصلاة كلها.

صيغة (أمّارة) :

٧٩ـ وقال الله تعالى في قصة امرأة العزيز : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف:٥٣].

هذه الآية وردت في قصة يوسف عليه السلام بعد اعتراف امرأة العزيز بمراودتها ليوسف عليه السلام .

وقد جاءت (أمّارة) على صيغة المبالغة في الصفة لتدل على أن النفس كثيرة الأمر بالسوء (٢) ، " ومما هو جدير بالإشارة إليه أن التاء تلحق ببناء (فعّال) وتكون لتأكيد المبالغة ، نحو : أمّارة ، وحمّالة ، ولوّاحة ، واللوّامة ، ونزّاعة " ٣ ، وقد جاءت هذه الصيغة مسندة إلى النفس لأنها هي الآمرة .

وقد جاء بين قوله :(وما أبرئ نفسي) وقوله : (إن النفس لأمارة بالسوء) فصل لشبه كمال الاتصال ، فالثانية جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، فكأن أحداً يسأل : لم نفت التبرئة عن النفس ؟ فكان الجواب : (إن النفس لأمارة بالسوء) (٤) .

---

1 : الطراز ٢/٢١

2: ينظر المحرر الوجيز ١٠٠١ ، وحاشية الشهاب ٥/٣٢٢ وروح المعاني مج ٨ ج ١٣/ ٣

3 : الوصف المشتق ــ دراسة صرفية ، ٢٤٩ د: عبدالله بن حمد الدايل ، ط١/ ١٤١٧ هــ مكتبة التوبة ، الرياض

4 : ينظر علم المعاني ٢/١٦٢ ، ودلالات التراكيب ٣٠٩

وقد ختمت الآية بجملة مؤكدة بـ (إنّ) (إن ربي غفور رحيم) ، فبعد أن بينت أنها وقعت في الخطأ ، وأن النفوس يعتريها بموجب طبعها الميل إلى الشهوات ، أكدت على مغفرة الله سبحانه للذنوب ورحمته – جل وعلا – رجاء وطمعاً في ذلك [1] . وقد جاءت هذه الجمل خبرية مؤكدة بـ (إن) لتنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، فالمخاطبون لا ينكرون ميل النفس للشهوات ، وهم يؤمنون بلطف الله ورحمته ولو كانوا مشركين ، وقد جاء التأكيد بـ (إن) لتفيد الربط بين الجمل حتى كأنها قد أفرغت في قالب واحد [2] .

وفي قوله : (إن ربي غفور رحيم) جاء التعبير بالإظهار في موضع الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المغفرة والرحمة [3] .

صيغة (إمرا) :

٨٠_ وقال الله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الكهف:٧١].

وردت هذه الآية في قصة موسى عليه السلام مع الخضر ، عندما طلب موسى منه أن يعلمه مما علمه الله ، فاشترط عليه الخضر عدم السؤال عن شيء حتى يوضح هو الحكمة ، فكانت البداية ركوب السفينة وخرقها [4] .

وقد جاءت (إمرا) بمعنى الشيء العظيم الشنيع ، وهي من (أمِرَ أَمْرُه) إذا اشتد ، أو من (أمِرَ القوم) إذا كثروا ، والعرب تصف الدواهي بالكثرة لأنه – والله أعلم – إذا كثرت عظمت [5] .

و (إمرا) أشد من (نكرا) ، ولذلك جاءت (إمرا) مع خرق السفينة ، لأن في ذلك قتلاً لعدة أشخاص ، أما (نكراً) فجاءت مع قتل الغلام ، لأن قتل عدة أشخاص أعظم وأشد من قتل شخص واحد .[6]

---

1 : ينظر التفسير الكبير ١٢٥/١٨ والمحرر الوجيز ١٠٠١

2 : ينظر الإيضاح ٢٤ و الطراز ١٠٨/٢

3 : تفسير أبي السعود ٢٨٦/٤

4 : ينظر المحرر الوجيز ١٢٠١

5 : ينظر : لسان العرب (أمر) وتفسير البغوي ٤٣١/٢

6 : ينظر لسان العرب (أمر) وتهذيب اللغة (أمر) /لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ت محمد عوض مرعب ط١ /٢٠٠١ دار إحياء التراث العربي – بيروت

وقد جاءت (شيئاً) نكرة للدلالة على التعظيم ، لأن سياق الآية تشنيع واستعظام لخرق السفينة وإغراق أهلها ، وجاءت (إمرا) نعتاً لـــ (شيئًا) فدلّت صيغتا الكلمتين معاًعلى استعظام الأمر وخطورته ، وهذا من دقائق النظم القرآني .

وقوله سبحانه (أخرقتها) استفهام إنكاري ، دخل الاستفهام على الفعل ، ومحل الإنكار هو العلة بقوله (لتغرق أهلها) لأن العلة ملازمة للفعل المستفهم عنه [1] . وختم الآية بقوله (لقد جئت شـــيئاً إمـــرا) جملة خبرية مؤكدة لتأكيد الإنكار [2] . وأسلوب الآية أسلوب خبري جاء التعبير فيه بالأفعال الماضـــية لأنها حكاية عن الماضي . والله سبحانه أعلم .

صيغة (يأتمرون) :

٨١ـ قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص:٢٠].

الحديث هنا عن قصة موسى عليه السلام عندما وجد رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من القبط ، فوكز موسى القبطي ، فقتله ، و لم يكن موسى يريد قتله ، إنما وافقت وكزته الأجـــل فمات ، وأراد القبط قتل موسى فعلم بذلك رجل موحد من رجال فرعون فأسرع إلى موسى ، وأخبره الخـــبر ، قائلاً : (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) ، وجاء الفعل (يأتمرون) من (ائتمر) ثلاثي مزيد بحـــرفين ، على وزن افتعل ، ومن معاني هذا الوزن (الاشتراك)([3])، جـــاء في لـــســـان الـــعـــرب: " وقـــال الزجاج : معنى قوله : يأتمرون بك يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ، قال أبو منصور: ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً،كما يقال : اقتتل القوم وتقاتلوا واختصموا وتخاصموا ، ومعنى (يأتمرون بـــك) أي يؤامر بعضهم بعضاً بقتلك وفي قتلك " ([4]) .

وجاء الفعل (يأتمرون) على صيغة المضارع ، وكذلك الأفعال (يسعى ، يقتلوك) لاستحضار الـــصورة التي كان عليها ملأ فرعون وهذا الرجل، ولعل فيها أيضاً إشارة إلى استمرارية حكم ائتمارهم في ذلك الوقت ، والله أعلم .

---

1 : التحرير والتنوير مج ٦ ١٥/٣٧٤

2 : المرجع السابق

3 : ينظر : التطبيق الصرفي ، ٣٥ محمد عبده

4 : لسان العرب (أمر)

والأمر هنا ليس على حقيقته ، بل هو مجاز عن المشاورة ،وهو استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال المتشاورين وامتثال بعضهم لأمر بعض بحال الآمر والمأمور بجامع تنفيذ تلك الأوامر وامتثالها ، جاء في المفردات : " والائتمار قبول الأمر ويقال للتشاور ائتمار لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به ، قال تعالى : (إن الملأ يأتمرون بك) " [1].

وجاء بين قوله: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) وبين :(قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج) فصل لشبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، فكأن أحداً يسأل : ماذا قال لموسى ؟! وقد ذكر الشيخ ابن عاشور ما يشير إلى أن الفصل هنا لكمال الاتصال ، فقد ذكر أن جملة (قال يا موسى) بدل اشتمال من جملة (وجاء رجل) ؛ لأن مجيئه يشتمل على قول ذلك ، يقول : " وجملة (قال يا موسى) بدل اشتمال من جملة (جاء رجل) لأن مجيئه يشتمل على قوله ذلك "[2] .

وقد ختم الآية بجملة خبرية مؤكدة ، علل فيها طلبه من موسى الخروج ، وهو الإشفاق عليه ، وخوفه أن يوقعوا به قبل أن يشعر [3] .

والتعبير بالفعل (يسعى) فيه إشارة إلى إشفاق هذا الرجل على موسى عليه السلام ، وقوله (يأتمرون) فيها إشارة إلى الحال التي كان عليها فرعون وقومه ، وكذلك (يسعى) تشير إلى حال هذا الرجل ونصحه لموسى عليه السلام فالسعي هو المشي السريع ، وهو دون العدو ، ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً ، إلا أن استعماله في الأفعال المحمودة أكثر [4] .

وفي تنكير (رجل) إرادة الوحدة [5] ، والدلالة على فرد غير معين من الأفراد والذين يصدق عليهم مفهوم اللفظ [6] .

---

1 : المفردات ٣٢

2 : التحرير والتنوير مج٨ ٩٦/٢٠

3 : ينظر التفسير الكبير ٢٤ / ٢٠٤ و تيسير الكريم الرحمن ٥٥٨

4 : ينظر التفسير الكبير ٢٠٤/٢٤ والمفردات ٢٦١

5 : ينظر البرهان في علوم القرآن ٩١/٤

6 : ينظر علم المعاني ١٥٠

صيغة (وأتمروا):

٨٢ــ وقال الله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الطَّلاق:٦] .

بما أن الأسرة هي الدرع الحصين واللبنة الأولى من لبنات المجتمع يرتبط أفرادها برباط إلهي هو رباط الزوجية ، فإن الشريعة الإسلامية قد أولت هذه الأسرة كل رعاية واهتمام ، حتى لو قدر لهذه الأسرة عدم الاستمرار في هذا الرباط ، وتعذرت مواصلة الحياة بينهما ، فقد شرع الطلاق لإنهاء هذه العلاقة ، وقد بينت هذه السورة آداب المفارقة كي لا يؤثر هذا الاتصال في وحدة المجتمع ولعدم الخلاف حتى من خلال الطلاق [١] .

وقد جاء الفعل (وأتمروا) على صيغة الأمر من الفعل " ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً "[٢] ، يقول الشهاب: " وليأمر بعضكم بعضاً يشير إلى أن الافتعال بمعنى التفاعل ، والائتمار بمعنى التآمر ، كالاشتوار بمعنى التشاور ، وقد نقل أهل اللغة أنه يقال : ائتمروا إذا أمر بعضهم بعضاً "[٣] .

جاء في لسان العرب : " وأما قوله عز وجل (وأتمروا بينكم بمعروف) فمعناه والله أعلم ــ ليأمر بعضكم بعضاً بمعروف " ([٤]) .

وقد جاءت الصيغة مسندة للجمع لأن الخطاب موجه للرجال والنساء الواقع بينهم طلاق ، وقيد الائتمار بالمعروف ، والمعروف هو ما تعارف الناس عليه و لم ينكروه ، والجميل من الأب أن يوفر للأم الأجر ، والجميل من الأم ألا تطلب ما يتعاسر على الزوج [٥] ، وقد وصل هذه الجملة بما قبلها ، لأن ما قبلها يبين حق المرأة والرجل في الرضاعة ، ثم أمر هنا بالائتمار والاتفاق ، فلا تشتط المرأة فيما تطلبه ، ولا يقصر الرجل في قدرها [٦] .

---

1 : ينظر : خواطر قرآنية نظرات في أهداف السور ٤١٢ ، عمرو خالد ، ط١ ١٤٢٥ هــ الدار العربية للعلوم – بيروت

2 : لسان العرب (أمر)

3 : حاشية الشهاب ١٩٩/٩

4 : لسان العرب (أمر)

5 : ينظر فتح القدير ٢٤٥/٥

6 : ينظر : زاد المسير للجوزي ١٤٤٦ والكشاف ١٥٠/٦ وروائع البيان للصابوني ٣٣١/١

وكذلك وصلها بما بعدها ، لأنها أيضاً مرتبطة في المعنى ، بعد أن بين أن أمر الأبوين بالاتفاق ذكر هذه الجملة التي تحمل معنى المعاتبة لهم على المعاسرة ، والعتاب فيها للأم أكثر من الأب ، وذلك لأن المبذول منها اللبن الذي لا يضن به في العرف ، أما المبذول من الأب المال الذي يضن به غالباً [1] .

و (تعاسرتم) على وزن (تفاعل) وهذا الوزن يدل على التشارك ، فالمعاسرة تكون من الأب والأم ، يقول د. محمود عكاشة : " تفاعل تكون بين اثنين اشتركا في حدوث الفعل " [2] .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها ، وهي قوله سبحانه :(ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) فصل لشبه كمال الاتصال ، فهذه الآية جاءت جواباً لسؤال يفهم مما قبلها ، فكأنه قيل : كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات ؟ فقيل (أسكنوهن) [3] .

وهذا الآية تدل دلالة قاطعة على اهتمام الإسلام بحقوق جميع أفراد الأسرة أباً وأماً وابنا ، والله أعلم .

صيغة (أمّرنا وآمرنا) :

[١٠]- قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦] .

في قوله سبحانه (أمرنا) ثلاث قراءات ، الأولى (أمرنا) على صيغة الفعل الماضي مسندة لله سبحانه ، وقد أشرت إليها في المبحث الأول (صيغة الماضي) ، أما القراءتان الأخريان ، بالتشديد (أمّرنا) على أنها بمعنى : سلطنا رؤساءها ففسقوا ، وبالمد (آمرنا) بمعنى كثرنا ، و(أمّر) على وزن (فعّل) ، و(آمر) على وزن (فاعل) ، و (فعّل وفاعل) تدلان على التكثير [4] ، يقول الدكتور عضيمة : " يجيء فاعل للتكثير ، كما كان ذلك في فعّل ، نحو : ضاعفت الشيء أي : كثرت أضعافه ، وناعمه الله مثل نعّمه أي أكثر نعمته" [5] .

---

1 : ينظر روح المعاني مج ١٥ ٢٨/ ٢٣

2 : ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٠١ د/ محمود عكاشة

3 :ينظر: روح المعاني مج ١٥ ٢٨/ ٢٠٥ وروائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ١/ ٣٣١ محمد علي الصابوني ١٤٢٧ هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

4 : ينظر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ١٢٧ / د. عبد الحميد هنداوي ١٤٢٣هـ المكتبة العصرية – بيروت / والمغني في تصريف الأفعال ١٣٦ د. محمد عبد الخالق عضيمة ١٤٢٦ هـ دار الحديث – القاهرة .

5 : المغني في تصريف الأفعال ١٣٦

أحوال متعلقاته :

شواهد ذكر المتعلقات :

[٧٨] قال الله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بالمعروف) مذكوراً ، ويقصد به الإسلام ، جاء في تفسير ابن عطية : " وأسند الطبري عن بعض العلماء أنه قال : حيثما ذكر الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو الأمر بالإسلام والنهي عن المنكر "[1]، وقد جاء مذكوراً لأنه يتعلق بالغير ، والصفات السابقة تتعلق بالنفس ، فيفيد ـــ والله أعلم ـــ تنويهاً بشأن المذكور .

[٧٩] وقال الله تعالى في قصة امرأة العزيز : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

جاء المتعلق بالأمر الجار والمجرور (بالسوء) مذكوراً ، والسوء (هو كل ما يسوء صاحبه) [2]، وفيه دلالة على أن النفس تميل إلى الشهوات ، وفيه تحذير من اتباع النفس وشهواتها .

[٨١] قال الله تعالى : : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص:٢٠] .

جاء المتعلق الجار والمجرور (بك) مذكوراً لأن التآمر كان بسبب موسى عليه السلام يقول الآلوسي : " أي يتشاورون بسببك ، وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر" [3] ، وقوله (وأتمروا بينكم بمعروف) [الطلاق٦٠] ، جاء المتعلق بالأمر (بينكم) ظرفاً ، وجاء مذكوراً لأن الاتفاق يكون بين الأب والأم معاً ، وفيه معاتبة لهما ، والله أعلم .

---

[1] : المحرر الوجيز ٨٨٧

[3]: روح المعاني مج ١١ ٨٨/٢٠

شاهد على حذف المتعلقات :

[٧٨] قال الله تعالى : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢].

وفي قول الله عز وجل (الآمرون بالمعروف) حذف المفعول به (الناس) للتعميم ، وذلك حتى يكون أبلغ في المدح والثناء للمؤمنين بهذه الصفات فأمرهم بالمعروف لا يقتصر على طائفة معينة ، بل هو عام لجميع الناس ، الله أعلم .

وذكر المفعول به المعدّى إليه الفعل بحرف الجر وهو (بالمعروف) لتعيين المأمور به في مقام مدحهم .

* * *   * * *   * * *

الفصل الثاني

الموازنة بين صيغ مادة (أمر) الدالة على الطلب

المبحث الأول : من حيث الكثرة والقلة .

المبحث الثاني : من حيث الإسناد الحقيقي والمجازي .

المبحث الثالث : من حيث المتعلقات .

المبحث الأول : من حيث الكثرة والقلة :

جاءت مادة (أمر) الدالة على الطلب في القرآن الكريم بصيغ الفعل الثلاث (الماضي والمضارع و الأمر) ، لكنها تباينت من حيث الكثرة والقلة ، فقد جاءت بصيغة الفعل الماضي أربعاً وثلاثين مرة (٣٤) ، وجاءت بصيغة الفعل المضارع أربعين مرة (٣٩) ، وجاءت بصيغة الأمر خمس مرات فقط ، وهذا الاختلاف في استعمال الصيغة عائد إلى السياق ، فالسياق هو الذي يتطلب استعمال إحدى هذه الصيغ ، وسيتضح هذا من خلال هذا المبحث ، إن شاء الله تعالى .

أولا : صيغة الماضي :

يقول الدكتور بكري عبد الكريم عن (فعل) دالة على الماضي : " وذلك عندما تأتي للتعبير عن مراحل زمنية مضت وانقطع أثرها ، كسرد أخبار الأولين ، أو تقرير أمر من الأمور المتعلقة بالجزاء والتشريع وما إلى ذلك " ([1]) .

ومن خلال التأمل في الآيات التي جاءت فيها مادة (أمر) على صيغة الماضي ألحظ أن أكثرها جاءت مسندةً إلى الله ﷻ ، وهي تدل على أوامر سابقة إما أن يكون المأمورون أطاعوها أو خالفوها ، وفي إسنادها إلى الله ﷻ جاءت مبنية للمعلوم في الشواهد التالية :

[١] قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٧] .

المقصود من هذه الآية الإخبار عن نقض الكفار لأمر الله بأن خالفوا المؤمنين الذين التزموا بذلك الأمر ، فسياق الآية الحديث عن مرحلة زمنية مضت ، فأمر الله وحكمه قديم وسابق للأنبياء جميعاً ، أما المضارع (ينقضون ،ويقطعون ،ويفسدون) للدلالة على استمرار الأمر لهم وثباته .

نظير هذه الآية :

[٩] قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد:٢٥]..

---

[1] : الزمن في القرآن الكريم ٨٢

[٨] وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد:٢١] ..

الآية بينت استمرار أهل الطاعة هؤلاء في الصلة والخشية والخوف ، لذلك جاءت الأفعال (يصلون ،يوصل، يخشون ، يخافون) مضارعة دالة على الاستمرارية.

[٢]وقوله سبحانه : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

الأمر في هذه الآية متعلق بتشريع ، وقد جاءت لتلفت نظر المسلمين إلى ما أمروا به بعد أن ترددت في أنفسهم بعض الأسئلة عندما رأوا عرب المدينة واليهود والنصارى [١].

[٣] و قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة:١١٧] .

سياق الآية إخبار عن عيسى عليه السلام يوم القيامة بأمر كان في الدنيا ، فالأمر من الله لعيسى عليه السلام كان في الدنيا ، أي في وقت مضى بالنسبة ليوم القيامة .

[٤] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢] .

سياق الآية توبيخ إبليس بعد مخالفته لأمر الله سبحانه وتعالى : " فسياق الآية الإخبار عن إبليس ومخالفته لأمر الله حين اعتقد أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب ، وهو قياس فاسد " [٢].

---

1 : قال ابن عطية في تفسيره : " ذكر الطبري عن السدي أن السائل ثابت بن الدحداح ، وقال قتادة وغيره إنما سألوا لأن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها فنزلت هذه الآية " المحرر الوجيز ١٩٥ .

2 : ينظر تفسير البغوي ١٥٠/٢ والكشاف ٤٢٦/٢ .

[٥] و [٦] وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨+٢٩] .

هاتان الآيتان جاءتا في سياق الإخبار عن جهالات المشركين في احتجاجهم واعتذارهم لما هم عليه من أعمال فاسدة فقد ادعوا أن الله ﷻ قد أمر آباءهم بتلك الأعمال ، وأمر آبائهم أمر لهم ، وهذا افتراء على الله ﷻ ؛ " لأن عادته جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال " [1].

ولما كان ادعاؤهم بأن تلك الأوامر كانت لآبائهم فهي في وقت ماضٍ كان الرد على تلك الدعوى بصيغة الماضي (قل أمر ربي بالقسط)، وذلك " لبيان المأمور به إثر نفي ما أسند إليه تعالى من الأمور المنهي عنها " [2].

[٧] وفي قوله تعالى : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف:٤٠] .

سياق الآية الحديث عن أديان سابقة ، وهي أديان نزلت في وقت مضى ، قد أمر الله فيها بعبادته وحده ،ولذلك جاء التعبير بالفعل ماضياً ليناسب هذا السياق .

[١١] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

سياق الآية الإخبار عن الملائكة والتزامهم بأوامر الله ﷻ والثناء عليهم ، فهم ملتزمون بأوامره ﷻ في الماضي والمستقبل ، ولعل هذا سر اجتماع الصيغتين الماضي (أمرهم) والمضارع (يؤمرون) فهم يطيعون أمره فيما مضى ولا يتثاقلون في تنفيذ ما يؤمرون به وهذا دلالة على سرعة الاستجابة ، يقول الزمخشري كاشفاً لهذا السر :" فإن قلت : أليست الجملتان في معنى واحد ؟ قلت : لا ، فإن معنى الأولى أنهم

1 : تفسير البيضاوي ٤/٢٦٩ .
2 : تفسير أبي السعود ٤/٢٢٣ .

يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ، ومعنى الثانية : أنهم يؤدون ما يؤمرون به ، ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه " [1] .

[١٢] وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾ [عبس:٢٣] .

سياق الآية الإخبار يوم القيامة عن الأوامر في الدنيا ، ومدى التزام الإنسان بها ومخالفتها ، يقول الزمخشري :" (كلا) ردع للإنسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية " [2] .

صيغة الماضي مسندة إلى الرسل وذلك في الشواهد التالية :

[١٣] قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف:٦٨] .

سياق الآية الإخبار عن يعقوب عليه السلام وقد كان أمره لبنيه قبل دخولهم إلى مصر ، فالأمر كان في وقت سابق على الدخول ، كما أن قصة يوسف عليه السلام مع أخوته وأبيه عليه السلام كانت في وقت مضى .

[١٥] وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ [العلق: ١٢].

جاءت هذه الآية في سياق قصة أبي لهب مع رسول الله ﷺ عندما أراد أن ينهاه عن الصلاة ، وقد جاء (أمر) على صيغة الماضي لأنه وقع في سياق الإخبار عن وقت مضى ، ولأن الرسول ﷺ كان من خلال صلاته ــ التي أراد أن ينهاه عنها أبو لهب ــ آمراً بالتقوى .

وجاء الفعل الماضي (أمر) مسنداً إلى غير الرسل في الشواهد التالية :

[١٦] قوله تعالى :﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤] .

هذه الآية في سياق قصة ([3]) جرت وقائعها في عهد رسول الله ﷺ وهي قصة بني أبيرق ، وما كان فيها من تدبير ونجوى لا خير فيها ، ولأن النجوى كانت قبل المجيء إلى الرسول ﷺ أي في زمن سابق

---

[1] : الكشاف ١٦١/٦

[2]: المرجع السابق ٣١٦/٦

[3] : ينظر ص ٣٢ من هذا البحث

عن نفي الخيرية في نجواهم ، استثنى سبحانه نجوى الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس ، ولذلك جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي .

وجاء الفعل الماضي (أمر) بلفظ الماضي ومعناه في المستقبل في الشواهد التالية :

[١٤] قال تعالى : ﴿ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور:٥٣].

سياق الآية الحديث عن قَسَمِ المنافقين الكاذب ، يقول ابن عطية :" وهذه في المنافقين حيث دعوا إلى الله ورسوله " [1]، وقد جاء الفعل (أمرهم) ماضياً في اللفظ مستقبلاً في المعنى ، لوقوعه شرطاً ، ولدلالة (ليخرجن) ، يقول الشهاب :" قوله (بالخروج) قدره بقرينة جواب القسم ومنهم من خصه بالخروج للغزو ، وقوله : على الحكاية أي : حكايته بالمعنى وأصله لنخرجن بصيغة المتكلم مع الغير ليس المراد حكاية الحال الماضية وأصله لخرجنا لأن المعتبر زمان الحكم وهو مستقبل فيه "[2] .

[١٥] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦].

أخبر ﷻ أنه لم يهلك أمة من الأمم إلا بعد إنذارهم وإرسال الرسل إليهم ، يقول ﷻ في الآية السابقة لهذه الآية (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء:١٥]، فهذا إشارة إلى أن الآية إخبار عن أقوام سابقة ، ولذلك جاء الفعل (أمرنا) ماضياً في هذا السياق .

[١٧] قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١].

سياق الآية ذكر صفات المؤمنين الذين مكنهم في الأرض ، " وهم أصحاب محمد ﷺ" [3] وقد جاء الفعل (أمروا) وكذلك الأفعال (أقاموا ، وآتوا ، ونهوا) أفعالاً ماضية في اللفظ وهي في زمانها تنصرف للاستقبال ، لأنها في سياق الوعد للمؤمنين الذين لم يمكنوا بعد ، قال أبو السعود : " وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض " [4]

---

[1]: المحرر الوجيز ١٣٦٩

[2]: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٨٠/٧

[3]: تفسير البغوي ٢٩٠/٣

[4]: تفسير أبي السعود ١٠٩/٥

كما أن صيغة الماضي جاءت مبنية لما لم يسم فاعله في مجموعة من الآيات ، وذلك لأن الآمر معلوم لدى المخاطب ، ومن خلال التأمل في سياق هذه الآيات يلحظ أن المأمور به إما أن يكون الكفر بالطاغوت كما في قوله سبحانه :

[١٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء:٦٠].

سياق الآية الحديث عن المنافق و اليهودي عندما أراد اليهودي التحاكم إلى رسول الله ﷺ لأنه لا يأخذ الرشوة ، بينما المنافق أراد التحاكم إلى كاهن جهينة لأنه يأخذ الرشوة [1]، وقد جاء الفعل (أمروا) ماضياً مبنياً لما لم يسم فاعله ؛ لأن الآمر معلوم عند المخاطب وهو الله ﷻ ، وجاء ماضياً ؛ لأن الكفر بالطاغوت قد سبق الأمر به ، أي أنهم أمروا بالكفر به قبل أن يتحاكموا إليه ، فهم قد أمروا بالكفر به في الأديان السابقة ، يقول أبو السعود : " كونهم مأمورين بكفره في الكتابيين وما ذاك إلا الشيطان وأولياؤه " (٢) .

أو يكون أمراً بالإسلام والإيمان وتوحيد الله ، فأوامر الله ﷻ في جميع الأديان تدعو إلى إخلاص الدين له وعبادته وحده لا شريك له ، فقوله سبحانه :

[٢٠] ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام:٧١] .

جاء في سياق الرد على عبدة الأصنام والخطاب فيها موجه للرسول الكريم ﷺ تفخيماً لشأن المؤمنين (٣) .

[١٩] قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤].

---

[1]: ينظر المحرر الوجيز ٤٥

[2]: المرجع السابق ٢/١٩٥

[3]: ينظر روح المعاني : ٢٧٣/٥

جاء الفعل الماضي (أمر) مبيناً لما لم يسم فاعله لأن الآمر معلوم ، ولأن الرسول ﷺ سابق أمته في الدين ، يقول البيضاوي :" لأن النبي ﷺ سابق أمته في الدين " [1] .

ونظير هذه الآية الشواهد التالية :

[٢١] قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

[٢٣] وقوله تعالى :﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس:٧٢] .

[٢٤] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يونس:١٠٤].

[٢٧] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل:٩١] .

[٢٨] وقوله تعالى :﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزُّمر:١٢]،

[٢٩] وقوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر:٦٦].

وقد يكون المأمور به (العبادة) ، والأمر بالعبادة من الله ﷻ سبق وقوعه وذلك كما في قوله سبحانه :

[٢٢]: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

[٢٦] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد:٣٦]

[٢٧] وقوله تعالى :﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل:٩١] .

[٢٨] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزُّمر:١١] .

---

[1] : تفسير البيضاوي ٤٩/٤

وجاء المأمور به (الاستقامة) في قوله تعالى :

[٢٥] : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ [هود:١١٢] .

فالآمر هو الله ﷻ والخطاب موجه للرسول الكريم ﷺ ومجيء الفعل على صيغة الماضي إشارة إلى أنه قد أمر بذلك فيما سبق ، يقول الشهاب " وقوله (كما أمرت) يقتضي سبق أمره عليه الصلاة والسلام بوحي آخر " [1] .

[٣٠] أمَّا قوله سبحانه : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشُّورى:١٥] .

فقد جاء الأمر على صيغة الماضي المبني لما لم يسم فاعله ، لأن سياق الآية تشريع ، وفيه إشارة إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد أمر في وقت سابق ، وهنا يراد المداومة على تلك الدعوة والاستقامة ، يقول البغوي :" (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به "[2] .

ثانياً : صيغة المضارع :

وردت مادة (أمر) على صيغة المضارع أكثر من ورودها على صيغة الماضي ، فقد وردت على صيغة المضارع (٣٩) مرة ، بينما جاءت على صيغة الماضي في أربعة وثلاثين موضعاً ، والفعل المضارع يدل بزمنه على الحاضر إذا كان مجرداً من القرائن التي تخلصه للاستقبال أو الاستمرار أو المضي [3] . ولعل كثرة استعمالها تعود إلى ارتباطها بالأمور المستمرة المتعلقة بحياة الناس ، وهي الأمور التي لا تنتهي عند زمن محدد مثل الأمر بالمعروف من قبل المسلمين ، والأمر بالمنكر من قبل المنافقين، ومثل الأمر بالسوء والفحشاء من قبل إبليس ، ومثل الحديث عن صفات اليهود المتأصلة في أنفسهم الدنيئة ... وهكذا ، والتعبير عن المضي والاستقبال بالمضارع إنما يأتي من أجل استحضار الصورة التي يكون عليها المشهد ، فتكون أبلغ في التأثير ولإظهار وقوعه مستقبلاً.

ومن خلال هذا المبحث سيتضح أسرار مجيء مادة (أمر) على صيغة المضارع أكثر من صيغة الماضي ، بمشيئة الله تعالى .

---

[1]: حاشية الشهاب ٥/٢٤٢

[2] : تفسير البغوي : ١٢٣/٤

[3] : ينظر : الزمن في القرآن الكريم ١٠٢

أولا : المضارع الذي يراد به الحال وشواهده :

[٦٢،٣٢] قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[البقرة:٦٧+٦٨]

جاء الفعل المضارع (يأمركم) و (تؤمرون) دالاً على الحال ؛ لأن السياق إخبار عن قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ولأن المقام توبيخ على عدم امتثالهم لأمر الله ، وما يشعر بأنه دال على الحال قوله سبحانه (فذبحوها وما كادوا يفعلون) .

[٤٩] وقال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف:١١٠]..

[٥٦] وقال تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء:٣٥].

جاء الفعل (تأمرون) مضارعاً ليدل على الحال التي كان عليها فرعون وقومه ، وفي ذلك استحضار للصورة لدى السامع كأن مشاهد هذه القصة تمثل أمامه في الواقع .

[٥٧] وقال تعالى في قصة بلقيس : ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل:٣٣] .

سياق الآية الحديث عن قصة سليمان مع بلقيس ، وجاء الفعل (تأمرين) على صيغة المضارع ويراد به الحال ، أي :وقت حضورهم معها .

[٣٥] وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠].

سياق الآية تكذيب الذين يدعون أن الأنبياء يأمرون بعبادتهم من دون الله ، وجاء الفعل المضارع (يأمركم) منفياً ، للدلالة على حال الرسول ﷺ وأنه لا يأمر بالكفر .

ثانياً : المضارع الذي يراد به الاستمرار التجددي :

جاء الفعل المضارع دالاً على الاستمرار التجددي في عدة مواضع ، وذلك حين يكون المأمور به متعلقاً بحياة الناس الدائمة والتي لا يستغنى عنها ولا تقف عند زمن معين ، وذلك مثل الأمر بالمعروف وأداء الأمانات والعدل ، كما في الشواهد التالية :

[٤٤] وقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

[٣٣] وقوله سبحانه :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾] [النساء:٥٨] .

[٣٤] وقوله سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

أو يكون الحديث عن صفات ثابتة اتصفت بها طائفة من الخلق واستمرت فيهم ، سواء كانت صفات مدح كما جاء في وصف الملائكة كقوله سبحانه **[١١]** : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦].

[٦٥] وقوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل:٤٩:٥٠] .

جاء الفعل (يؤمرون) على صيغة المضارع ليدل على استمرارية الملائكة في عبادهم لله ﷻ وتجددها فيهم فهي صفات ثابتة لهم ، وفي هذا ثناء عليهم . و كما جاء في وصف الرسول ﷺ :

[٣٦] ــ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

[٥٤] وقوله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦] .

فالأمر هنا على صيغة المضارع ليفيد الاستمرار التجددي لأن شريعة محمد ﷺ مستمرة ومتجددة إلى قيام الساعة أو يكون السياق صفات مدح للمؤمنين ، كما في قوله سبحانه :

[٤٥] : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

[٤٦] وقوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٤].

[٥١] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وقد تكون الصفات للذم ، كما جاء في وصف اليهود الذين عُرف عنهم صفات اللؤم والدناءة ، وتأصلت فيهم أرذل الصفات وأقبحها ، ومازالوا متصفين بها إلى هذا الوقت ، وشواهد ذلك :

[٣٩] قوله سبحانه : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤] .

وقد جاء المضارع (أتأمرون) دالاً على الاستمرار التجددي ، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: " والمخاطب بقوله (أتأمرون) جميع بني إسرائيل الذين خوطبوا من قبل ، فيقتضي أن هذه الحالة ثابتة لجميعهم "[1] . ونظير هذه الآية :

[٤٣] و قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران:٢١].

---

[1] : التحرير والتنوير مج١ ٤٧٤/١

[٤٧]وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء:٣٧] .

وكذلك المنافقين طائفة اتصفت بصفات ثابتة مستمرة ومتجددة في كل منافق ، فالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف صفة لا يتصف بها إلا منافق .

[٥٠]يقول سبحانه: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧] .

ومن يتصف بهذه الصفة لابد أنه يجمع معها صفات ذميمـــة أخرى مثل البـــخل .

[٦١] قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد:٢٤] .

فقد ذكر الرازي أن المقصود بهذه الفئة (المنافقون) وأن الله وصفهم بالبخل في موضع آخر في قوله تعالى : (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا) [المنافقون:٧] ، وهذا يعني أن المنافقين قد عرف عنهم البخل واتصفوا به فصار صفة ملازمة لهم (١) .

أما إبليس اللعين فقد قطع على نفسه عهداً بإغواء الناس وأمرهم بالباطل إلى يوم يبعثون ، لذلك استعمل المضارع ليدل على التجدد الاستمراري في عدة شواهد ، وذلك كما جاء في قوله سبحانه:

[٤١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة:١٦٩] .

[٤٢]وقوله تعالى : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٨] .

[٤٨]وقوله تعالى : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٩] .

1: ينظر : التفسير الكبير ٢٠٩/٢٩

[٥٥]وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١] .

المضارع الذي يراد به الاستمرار التجددي في الزمن الماضي :

قد يأتي المضارع ليدل على الاستمرارية في الزمن الماضي وذلك حين يكون السياق الحديث عن قصة وقعت في الزمن الماضي ويكون الفعل مستمراً في ذلك الزمن .

[٣٧] قال تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم:٥٥] .

فسياق الآية ذكر صفات إسماعيل عليه السلام ، وقد جاء (يأمر) على صيغة المضارع لاستحضار الحال التي كان عليها عليه السلام والصورة التي كان عليها في الزمن الماضي بدلالة (كان) ، يقول د. عبد الحميد السيد : " ويجيء بناء (كان يفعل) للدلالة على أن الحدث كان مستمراً في زمن مضى "([1]) .

كما أن الفعل جاء حكاية للاستمرار وقت الإخبار عنه في عدة شواهد :

[٣٨] قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٠] .

سياق الآية الحديث عن المشركين وإخبار عمّا كانوا عليه حين يأمرهم الرسول ﷺ بالسجود ، ومجيء الفعل (تأمرنا) على صيغة المضارع يفيد التجدد والاستمرار في ذلك الوقت ، فهم كلما أمروا بالسجود للرحمن زادهم ذلك الأمر كفراً وشقاء وبعداً عن الإيمان .

[٥٢]وقال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود:٨٧] .

سياق الآية الحديث عن قصة شعيب عليه السلام وهي قصة وقعت في الماضي ، وجاء الفعل (تأمرك) على صيغة المضارع للدلالة على استمرارية شعيب عليه السلام وتجدد هذا الفعل منه في ذلك الوقت .

[1] : الأفعال في القرآن الكريم ٣٩/١

[٥٣]وقال تعالى في قصة امرأة العزيز : ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف:٣٢] .

سياق الآية الإخبار عن قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، وجاء الفعل (آمره) مضارعاً للدلالة على الاستمرار في طلب الفعل وتجدده منها ، وقد يكون تصريحها في الاستمرار نتيجة أمنها العقاب ، يقول القرطبي : " عاودته المراودة بمحضر منهن ، وهتكت جلباب الحياء ، ووعدت بالسجن إن لم يفعل ، وإنما فعلت هذا حين لم تخش لوماً ومقالاً خلاف أول أمرها " ([1]) .

[٥٩]وقال تعالى :﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزُّمر:٦٤] .

الخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ ، ويراد بها إنكار الدعوة إلى عبادة غير الله ، وجاء الفعل (تأمروني) على صيغة المضارع ليفيد الاستمرار التجددي لصدور هذا الفعل منهم لفرط جهالتهم .

[٦٠]وقوله تعالى : ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الطُّور:٣٢] .

الحديث في هذه الآية عن قريش الذين عُرف عنهم الفطنة والعقل ، وفيها تقريع لهم وإنكار عليهم ، إذ لو كانت لهم عقول فعلاً لما صدر منهم هذا القول، ومجيء الفعل (تأمرهم) على صيغة المضارع في سياق الإخبار عن قوم كانوا في زمن ماضٍ ليدل على الاستمرارية والتجدد فمرّة يقولون عنه ﷺ كاهن ومرة شاعر ومرة مجنون !! .

المضارع الدال على الماضي وشواهده :

جاء المضارع ليدل على الماضي في عدة شواهد ، وهي :

[٦٣]قوله سبحانه : ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحجر:٦٥] .

سياق الآية الحديث عن قصة لوط عليه السلام ، وجاء الفعل (تؤمرون) مضارع مستعمل في مقام الماضي ، و(حيث) هنا ظرف زمان ، والتقدير : حيث أمرهم ، واستعمال المضارع في هذا السياق جاء لاستحضار المشهد والإيذان بأهمية النجاة [2] .

---

[1] : الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٢١

[2]: ينظر: البحر المحيط : ٤٤٨/٥

[٦٦] وقوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصَّفات:١٠٢]

سياق الآية الحديث عن قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل ــ عليهما السلام ــ ومجيء الفعل المضارع (تؤمر) للدلالة على الاستمرارية وامتداد الحدث من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر ، فحكم هذه الرؤية مستمر إلى حين الامتثال به [1] .

[٤٠] وقوله سبحانه:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة:٩٣] .

سياق الآية الحديث عن اليهود الذين كانوا يدعون أنهم لم يؤمنوا إلا بالتوارة التي أنزلت عليهم ، ومضمون هذه الآية تكذيب هذا الادعاء ، وجاء الفعل (يأمركم) مضارعاً في مقام الماضي ، أي : بئسما يأمركم به إيمانكم من عبادة العجل ، فجاء المضارع لاستحضار الصورة التي كان عليها اليهود في الماضي .

[٥٨] وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ:٣٣] .

سياق الآية إخبار عما يكون عليه الأتباع والأسياد من مراجعة يوم القيامة ، وجاء الفعل (تأمروننا) على صيغة المضارع إلا أن زمنه ينصرف إلى المضي لأنه جاء مسبوقاً بـــ (إذ) ، و" هي ظرف لما مضى من الزمان " [2] ، فالأمر من الأسياد كان في الدنيا وهذه المجادلة إنما تكون يوم القيامة ، فسياق الآية إخبار عن أمر يكون يوم القيامة بأمر كان في الدنيا .

ثالثاً : صيغة الأمر :

لم ترد مادة (أمر) في القرآن الكريم على صيغة الأمر إلا قليلاً ، حيث جاءت في خمسة مواضع فقط ، تنوع فيها المسند إليه والمأمور به وهي وإن وردت قليلة إلا أنها ارتبطت بأمور متعلقة بحياة الناس جميعاً وهي مستمرة لم تقف عند زمن معين إلا آية واحدة ، حدث فيها الأمر وانتهى في زمنه ، وذلك لأنها جاءت في سياق قصة من قصص الأنبياء السابقين ، وذلك في :

[1]: ينظر : بتفسير أبي السعود ١٩٩/٧ وحاشية الشهاب ٩١/٨

[2] : الأفعال في القرآن الكريم ٣٥/١

[٦٧]قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٥].

سياق الآية إخبار عن موسى عليه السلام فهو أمر بالأمر بأخذ أحسن ما في التوراة ، والأمر فيها وإن كان محكياً إلا أنه يطلب به الفعل في الزمن المستقبل بالنسبة لوقت صدوره .

كما جاء الأمر على سبيل الحكاية دالاً على الاستقبال في :

[٦٨] قوله تعالى :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩]

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ وهو عام لجميع أمته ، وسياق الآية الأمر بمكارم الأخلاق ، ومجيء الفعل (وأمر) وكذلك (خذ وأعرض) على صيغة الأمر لا يدل على زمن محدد ، بل يسع جميع الأزمنة ، فهي أفعال خالدة مستمرة إلى قيام الساعة لأنها مبدأ من مبادئ هذا الدين الحنيف .

[٦٩]– وقوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢].

الخطاب هنا موجه ــ أيضاً ــ للرسول الكريم ﷺ وهو عام لجميع أمته ، ومجيء الفعل (وأمر) على صيغة الأمر ليس له مدة ينتهي فيها لأن الأمر بالصلاة واجب على المسلمين منذ أن كتبت عليهم وصارت الركن الثاني من أركان دينهم إلى قيام الساعة .

[٧٠]– وقوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧].

الخطاب في هذه الآية موجه من لقمان إلى ابنه ، ومجيء الفعل (وأمر) على صيغة الأمر ليستمر زمن الفعل من الماضي السحيق إلى المستقبل البعيد ، فالأمر بالمعروف مبدأ من مبادئ الأديان السماوية ، وما كان هلاك بعض الأمم السابقة إلا أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، والأمر بالمعروف مستمر ومتجدد في أمة الإسلام فإن هي تخلت عنه أوشك الله أن يعمها بعقاب من عنده .

[٨٢]– قوله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الطّلاق:٦] ([1]) .

[1] : كما أن هذه الصيغة تعد من الصيغ القليلة .

جاء الفعل (وأتمروا) على صيغة الأمر لأن زمن هذا الفعل متجدد ويراد به استمرار الطلب ، فالاتفاق بين الزوجين أساس استمرار الحياة وبناء الأسرة على أسس متينة ، فالأمر بالاتفاق بين الزوجين مبدأ من مبادئ الإسلام .

رابعاً : صيغ أخرى (قليلة) :

جاءت مادة (أمر) على صيغ قلّ ورودها فيه إذ لم تأت إلا مرة أو مرتين ، وهذا يدل على إعجاز القرآن والدقة في اختيار كلماته وألفاظه .

١- صيغة (آمر) :

وقد جاءت في الآية الآتية :

[٧٨] قال تعالى : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢].

مجيء مادة (أمر) على صيغة اسم الفاعل (آمرون) مرة واحدة إنما هو مرتبط بالسياق الذي وردت فيه ، فمن خلال التأمل في الآية يلحظ أن جميع الصفات في الآية جاءت على صيغة اسم الفاعل، وهذا يدل على ثبوت هذه الصفات واستمراريتها ، لذلك جاءت الآمرون على هذه الصيغة في هذا الموضع .

٢_ صيغة (أمَّارة) :

[٧٩] قال تعالى في قصة امرأة العزيز : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

جاءت (أمّارة) على صيغة المبالغة ، و لم ترد على هذه الصيغة إلا في هذا الموضع ، وذلك لأن سياق الآية الحديث عن النفس كثيرة الأخطاء ودائمة الميل إلى الشهوات ، ولذلك جاءت (أمّارة) على هذه الصيغة للمبالغة للدلالة على ملازمة أمر النفس للإنسان باتباع الشهوات .

٣- صيغة (أمّرنا) :

[١٠] قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦] .

في (أمرنا) ثلاث قراءات ، الأولى على صيغة الماضي (أمرنا) ، وقد تناولتها في المبحث الأول من الفصل الأول ، أما القراءتان الأخريان ، الأولى بالتشديد (أمَّرنا) ، " وهي قراءة أبي عثمان النهدي وأبي

العالية وابن عباس رضي الله عنهما ، ورويت عن علي رضي الله عنه " ([1])، والثانية بالمد (آمرنا) جاء في المحرر الوجيز : " وقرأ نافع وابن كثير في بعض ما روي عنهما (آمرنا) بمد الهمزة بمعنى كثرنا" ([2]) و(أمّر) على وزن (فعّل)، و (آمر) على وزن(فاعل) ، و (فعّل وفاعل) تدلان على التكثير([3]) ، يقول الدكتور عضيمة : " يجيء فاعل للتكثير كما كان ذلك في فعَّل ، نحو ضاعفت الشيء، أي كثرت أضعافه وناعمه الله مثل نعّمه أي أكثر نعمته " ([4]) .

٤- صيغة (إمرا):

[٨٠]قال تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الكهف:٧١] .

الحديث هنا عن موسى عليه السلام مع الخضر ، و لم تأت مادة (أمر) على هذه الصيغة إلا في هذا الموضع ، و(الإمر) بالكسر الأمر العظيم الشنيع ، وبما أن السياق الحديث عن تغريق جماعة في سفينة ، وأن تغريقهم يعد أمراً عظيماً وداهياً منكراً ، إذ لا يرتضي ذلك عقل ما لم تعرف الحكمة منه ، لذلك اقتضى السياق مجيء هذه الصيغة التي تحمل معنى الشيء العظيم المنكر ، وقد تكون هذه الصيغة خاصة بالقرآن الكريم .

٥- صيغة (يأتمرون) :

[٨١]وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص:٢٠] .

جاء الفعل (يأتمرون) على صيغة المضارع وهو من الفعل (ائتمر) بمعنى تشاور، و لم يرد من (ائتمر) على صيغة المضارع إلا في هذا الموضع ، والمضارع هنا في معنى الماضي ، لأنه جاء بعد الفعل الماضي (قال)، والآية كلها سياق قصصي ، يقول الدكتور بكري عبدالكريم عن دلالة (يفعل) على الماضي :" مجيء (يفعل) بعد فعل ماض لفظاً ومعنى ، من ذلك قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك)، حيث جاء الفعل المضارع (يأتمرون) في معنى الماضي بعد الفعل الماضي (قال) ، والآية كلها وردت في سياق قصصي " [5] .

---

[1]: المحرر الوجيز ١١٣٣

[2]: المرجع السابق

[3]: ينظر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ١٢٧ و المغني في تصريف الأفعال ١٣٦ .

[4]: المغني في تصريف الأفعال ١٣٦ .

[5]: الزمن في القرآن الكريم ١٠٤

ولأن السياق هو الحديث عن التشاور في قتل موسى عليه السلام وهذا أمر عظيم بدليل الهيئة التي جاء عليها هذا الرجل ، حيث جاء (يسعى) والسعي هو المشي السريع ، استعملت هذه الصيغة التي تحمل هذا المعنى ، لذلك لم يقل : يتشاورون أو يتفقون لأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى .

٦- صيغة (وأتمروا) :

[٨٢] قال تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الطَّلاق:٦] .

جاء الفعل (وأتمروا) على صيغة الأمر وهو من الفعل (ائتمر) ولم يرد على هذه الصيغة في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع ، و(أتمروا) أصلها (أمر) مزيد بحرفين ، والزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى ، وبما أن السياق هو الحديث عن الزوجين الذين وصلا إلى مرحلة تتعذر معها مواصلة الحياة الزوجية فإنه قد يكون الاتفاق بينهما أمراً صعباً ، ولذلك جاءت هذه الصيغة التي تحمل هذه المشقة والصعوبة ، والله أعلم .

المبحث الثاني : من حيث الإسناد الحقيقي والمجازي :

من خلال التأمل في الآيات التي جاءت فيها مادة (أمر) نجد أن الفعل على صيغة الماضي جاء مسنداً إسناداً حقيقياً ، وكذلك في مجيئه على صيغة الأمر ، أما المضارع فقد تنوع فيه الإسناد ما بين الحقيقة والمجاز ، وذلك من خلال الارتباط بالسياق ، وستتجلى أسرار الإسناد من خلال هذا المبحث بمشيئة الله تعالى ..

أولاً: صيغة الماضي :

جاءت مادة (أمر) ثلاثين مرة على صيغة الماضي ، تنوع فيها المسند إليه والمأمور به ، وبالتأمل في هذه الآيات ألحظ أن مجيء (الأمر) على هذه الصيغة كان على الحقيقة في جميع الشواهد ، فقوله سبحانه:

[١] ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٧] .

[٨] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد:٢١] .

[٩]وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد:٢٥].

الأمر في هذه الآيات صادر من الله ﷻ وهو على العلو والوجوب ، وقوله سبحانه :(مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يدخل فيه الإيمان بجميع الأنبياء وموالاة جميع المؤمنين وصلة الأرحام ، وذكر المسند إليه (الله) لتعظيم المذكور ، فالأمر هنا حقيقي .

[٢]وقوله سبحانه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

المأمور به هو اعتزال النساء في المحيض ، وهذا الأمر صادر من الله ﷻ إلى عمـــوم المسلمين وهو أمر واجب والامتثال به طاعة لله سبحانه [1] ، فالأمر حقيقي .

[٣] وقوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة:١١٧] .

جاء الفعل (أمر) مسنداً والمسند إليه هو ضمير المخاطب العائد عليه ﷻ والأمر حقيقي لأنه صادر من الله ﷻ إلى عيسى عليه السلام .

[٤] وقال تعـــالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢] .

جاء الفعل (أمر) على الحقيقة ، لأن الأمر صادر من الله سبحانه والمسند إليه هو الضمير العائد عليه ﷻ والإسناد هنا حقيقي ، والمأمور به هو السجود .

[٥] وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨].

جاء الفعل (أمر) على صيغة الماضي مسنداً إلى الله ﷻ وقد تقدم المسند إليه وفي ذلك تقوية الحكم وتأييده لأن سياق الآية الإخبار عن أمر مستنكر غريب وهو فعل الفواحش والاستمرار عليها بحجة أن الآباء مأمورون بذلك يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن مواضع التقديم والتأخيـــر في الخبر المثبت : " وكذلك كل شيء كان خبراً على خلاف العادة ، وعمّا يستغرب من الأمر "[2] .

---

[1] : جاء في تفسير البغوي : " فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكـــذا أفـــلا ننكحهن في المحيض ؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وَجَدَ عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فبعث في آثارهما فسقاهما فعرفا أنه لم يجد عليهما " تفسير البغوي ١٩٦/١ يفهم من هذا أن الأمر واجب وإلا لما تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عنـــدما سئل ـــ والله أعلم .

[2] : دلائل الإعجاز ١٣٤

وفي [٦] قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف:٢٩] .

[٧] قوله تعالى: ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف:٤٠].

المتأمل في هاتين الآيتين يلحظ أن المأمور به هو القسط والعبادة ، وأن الأمر الصادر من الله سبحانه فهو على العلو والوجوب ، وهو أمر حقيقي لأن سنته سبحانه جارية على الأمر بمحاسن الأخلاق والأعمال.

[١٢] قوله سبحانه: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾ [عبس:٢٣] .

جاء الفعل الماضي (أمر) مسنداً إلى الضمير العائد على الله سبحانه ومجيء المسند إليه ضميراً لأنه في ذهن السامع ، فسياق الآية وما قبلها الحديث عن الخلق والموت والنشور ، وكل هذه الأمور مسندة إلى الله سبحانه لأنه الفاعل الحقيقي لها .

مجيئه مسنداً إلى الرسل أو الضمير العائد إليهم :

[١٣] قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف:٦٨]

جاء الفعل (أمر) مسنداً إلى لفظة (أبو) المراد بها يعقوب عليه السلام ، فالمسند إليه هو (أبو) والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن الأمر صادر منه ﷺ ، وذكر المسند إليه مع أنه معلوم لدى السامع لزيادة الإيضاح والتقرير.

[١٤] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور:٥٣] .

جاء الفعل الماضي (أمر) مسنداً والمسند إليه الضمير العائد على الرسول الكريم ﷺ ، والإسناد هنا حقيقي لأن الأمر بالخروج للجهاد صادر من الرسول ﷺ، ومجيء المسند إليه ضميراً لأنه في ذهن السامع فهو مذكور في الآيات السابقة .

[١٥] قال تعالى: ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ [العلق:١٢]

جاء الفعل (أمر) مسنداً ، والمسند إليه ضمير عائد على الرسول الكريم ﷺ ، واستعمال الإضمار موضع الإظهار لتعظيم المسند إليه وهو الرسول ﷺ ، والتعريض ببلادة أبي جهل.

مجيئه مسنداً إلى غير الرسل :

[١٦] قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤]

جاء الفعل الماضي (أمر) مسنداً ، والمسند إليه ضمير مستتر تقديره (هو) ، والإسناد حقيقي ؛ لأن سياق الآية نفي الخيرية من النجوى باستثناء الأمر بالصدقة أو الأمر بالمعروف أو الإصلاح بين الناس ، وقد علل أبو السعود إفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر بقوله : " أن عمل الخير المتعدي إلى الناس إما إيصال المنفعة أو لدفع المضرة ، والمنفعة إما جسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة بقوله (إلا من أمر بصدقة) وإما روحانية وإليه الإشارة بالمعروف .... "[١] .

[١٧] قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١] .

جاء الفعل الماضي (أمر) مسنداً ،والمسند إليه واو الجماعة العائد على المؤمنين الذين مكنوا في الأرض، والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن سياق الآية وصف من الله سبحانه للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن سيرة عند تمكينه إياهم في الأرض :" فأما إقامة الصلاة فلدلالتها على القيام بالدين وتجديد لمفعوله في النفوس، وأما إيتاء الزكاة فهو ليكون أفراد الأمة متقاربين في نظام معاشهم ، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلتنفيذ قوانين الإسلام بين سائر الأمة من تلقاء أنفسهم "[٢] .

مجيئه لما لم يسم فاعله :

1: تفسير أبي السعود ٢/٣٣٢

2: التحرير والتنوير مج ٧ /١٧ ٢٨٠

جاء الفعل (أمر) على صيغة ما لم يسم فاعله في عدة مواضع ، ومن خلال التأمل في هذه الآيات نجد أن المأمور به يدور حول موضوع معين وهو العبودية لله والإيمان والإسلام ، وهذه أمور معلوم من يأمر بها ، ولذلك لم يذكر الفاعل وأقيم المفعول مقامه في هذه الآيات لأن السامع يعرف الفاعل الحقيقي وهو الله ﷻ .

[١٨] قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء:٦٠] .

[٢٠] قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧١].

[١٩] قال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤].

[٢١] قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣] .

[٢٢] قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

[٢٣] قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس:٧٢] .

[٢٤] قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يونس:١٠٤].

[٢٥] قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

[٢٦]قال تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد:٣٦] .

[٢٧]قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل:٩١] .

[٢٨]قال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزُمر:١١:١٢] .

[٢٩]قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر:٦٦] .

[٣٠]قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشُّورى: ١٥] .

فجميع هذه الآيات جاء فيها الفعل ماضياً ومسنداً إلى نائب الفاعل ، وعدم ذكر الفاعل لأنه معلوم لدى المخاطب؛ لأن المأمور به له خصوصية فهو يدور حول الإسلام والإيمان والعبودية لله وحده ، وهذه الأمور معلوم من يأمر بها .

ثانياً : صيغة المضارع :

من خلال التأمل في الآيات التي وردت فيها مادة (أمر) على صيغة المضارع يلحظ تنوع الإسناد ما بين إسناد حقيقي وإسناد مجازي ، وتنوع المأمور به ، ومن أمثلة ذلك :

[٣٢]قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٦٧] .

جاء الفعل (يأمر) مسنداً ، والمسند إليه الضمير العائد على الله ﷻ ، والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن الأمر صادر منه ﷻ، ومجيء المسند إليه مضمراً لأن المسند إليه معلوم لدى المخاطب ، وهو في ذهنه لأنه جاء مذكوراً في قوله : (إن الله) ، والتأكيد هنا ينبئ عن عظيم ، وذلك لأن اليهود معروفون بالتثاقل والتباطؤ في أداء الأمانات ، يقول الشيخ ابن عاشور : " وإن قول موسى قدم هنا لأن خطاب موسى

ﷺ لهم قد نشأ عنه ضرب من مذامهم في تلقي التشريع وهو الاستخفاف بالأمـــــر حين ظنوه هـــزوا " [1].

[٣٣]وقوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

[٣٤]وقوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

الأمر في هاتين الآيتين جاء على الحقيقة ، فهو صادر من الله ﷻ ، والمأمور به هو أداء الأمانات والحكم بالعدل ، والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وهذه المأمورات واجبات من الدين الإسلامي ، يقول القرطبي في تفسير قوله سبحانه: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) : " هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع " [2] .

[٣٥]وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠] .

[٣٦]وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

[٣٨]وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٠] .

الأمر في هذه الآيات مسند إلى الرسول الكريم ، وهو أمر حقيقي ، صادر منه ﷺ فهو عليه الصلاة والسلام يأمر بعبادة الله ﷻ وبكل ما عرف حسنه وصلاحه .....

[٣٧]وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾

---

[1]: التحرير والتنوير مج ١ ١ / ٥٤٦

[2]: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٣/١

. [مريم:٥٥]

جاء الفعل المضارع (يأمر) مسنداً إلى الضمير المستتر العائد على إسماعيل عليه السلام ، وعدم التصريح بذكر المسند إليه لوجود القرينة الدالة عليه في قوله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)[مريم:٥٤] والإسناد هنا إسناد حقيقي ؛ لأن الأمر صادر من إسماعيل عليه السلام لأهله ، فهو عليه السلام : " كان مقيماً لأمر الله على أهله فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد فكمل نفسه وكمل غيره "[1] .

[٣٩]وقوله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤] .

جاء الفعل (تأمر) مسنداً ، والمسند إليه واو الجماعة العائد على طائفة من بني إسرائيل ، ومجيء المسند إليه ضميراً لأن المسند إليه في حكم المذكور ، فقد جاء ذكر بني إسرائيل في الآيات السابقة لأن الخطاب موجه إليهم : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) [البقرة:٤٠].

والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن الأمر صادر من علماء بني إسرائيل إلى أقاربهم وأصهارهم .

[٤٣]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[آل عمران:٢١] .

[٤٧]وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء:٣٧] .

جاء الفعل المضارع (يأمر) مسنداً ، والمسند إليه واو الجماعة العائدة على طائفة خاصة من اليهود ، وعدم التصريح بالمسند إليه لأن المسند إليه في حكم المذكور لقرينة الحال عليه ، والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن الأمر صادر من هذه الجماعة على الحقيقة .

[٤٤]وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

---

[1] : تيسير الكريم الرحمن ٤٣٩

[٤٥]وقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

[٤٦]وقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٤] .

جاء الفعل المضارع (يأمر) على صيغة المضارع مسنداً ، والمسند إليه واو الجماعة العائد على طائفة خاصة من الناس ، والإسناد هنا حقيقي ؛ لأنه صادر من هذه الأمة .

[٥]وقال الله تعالى :﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨]

جاء الفعل (يأمر) مسنداً ، والمسند إليه ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على لفظ الجلالة ، ومجيء المسند إليه ضميراً تعظيماً له ﷻ ولأنه قد سبقت الإشارة إليه ، والإسناد هنا حقيقي ، لأن نفي الأمر بالفحشاء صادر منه سبحانه .

[٥٠] وقول الله تعالى :﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧]

جاء الفعل (يأمر) مسنداً ، والمسند إليه واو الجماعة العائد على هؤلاء المنافقين ، ومجيء المسند إليه ضميراً لأن الظاهر يقتضي ذلك ، فقد سبقت الإشارة إليه بقوله (المنافقون والمنافقات) ، والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن الأمر بالمنكر صادر من المنافقين على الحقيقة .

[٥١]وقول الله تعالى :﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

جاء الفعل (يأمر) المضارع مسنداً ، والمسند إليه واو الجماعة العائد على المؤمنين والمؤمنات المصرح به قبل الفعل ، والإسناد هنا حقيقي ؛ لأن الأمر بالمعروف صادر من المؤمنين على الحقيقة .

[٥٣]وقال الله تعالى :﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف:٣٢] .

جاء الفعل (آمر) مسنداً ، والمسند إليه ضمير مستتر تقديره (أنا) يعود على امرأة العزيز ، ومجيء المسند إليه ضميراً على مقتضى الظاهر ، فهو مذكور في الآيات السابقة ، وإسناد الأمر إليها على الحقيقة ؛ لأنه صادر منها .

وقد يكون فعل (آمر) مجازاً عن الفاحشة، وهو مجاز مرسل علاقته من إطلاق السبب (الأمر) وإرادة المسبب (الفاحشة)، يقول أبو السعود: " وعبرت عن مراودتها بالأمر إظهاراً لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بأمرها "[1].

[٥٤]وقال الله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦] .

جاء الفعل المضارع (يأمر) مسنداً، والمسند إليه ضمير مستتر تقديره (هو) وإما أن يكون عائد على الله ﷻ و يكون عائد على الشخص الآمر بالعدل وهو الرسول ﷺ وهو الأرجح، وعلى الوجهين يكون الإسناد حقيقي.

[٥٧]وقال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل: ٣٣] .

جاء الفعل المضارع (تأمر) مسنداً والمسند إليه ضمير عائد على بلقيس ،ومجيء المسند إليه ضميراً لأنه في ذهن السامع ، فالآيات السابقة أشارت إليه ، فهو في حكم المذكور ، والأمر هنا حقيقي ، يقول أبو السعود : " ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نتمثل به ونتبع رأيك "[2]

[٥٨]وقال الله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ:٣٣] .

---

1 : تفسير أبي السعود ٢٣٢/٤

2 : المرجع السابق ٢٨٤/٦

جاء الفعل المضارع (تأمر) مسنداً ، والمسند إليه واو الجماعة العائد على المستكبرين من الكفار ، والأمر هنا حقيقي وإسناده إلى المستكبرين من الكفار حقيقة ـــ أيضاً ـــ لأنه صادر منهم .

[٥٩] وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزُّمر:٦٤]

جاء الفعل المضارع (تأمر) مسنداً إلى واو الجماعة العائد على كفار قريش الذين يدعونه إلى دين آبائه ، ومجيء المسند إليه ضميراً على مقتضى الظاهر ، والأمر هنا حقيقي ؛ لأنهم قالوا : "استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم " ([1]) ، والإسناد هنا حقيقي لأن الأمر صادر منهم .

[٦١] وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد:٢٤] .

جاء الفعل (يأمر) مسنداً، والمسند إليه واو الجماعة العائد على المختالين، وجاء المسند إليه ضميراً على مقتضى الظاهر لأنه مصرح به في الآية السابقة فهو معلوم لدى السامع، والأمر هنا مسند إليهم إسناداً حقيقياً لأنه صادر منهم.

[٦٢] وقول الله تعالى :﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [البقرة:٦٨] .

[٦٣] وقول الله تعالى :﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحجر:٦٥] .

[٦٤] وقول الله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر:٩٤] .

[٦٥] وقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل : ٥٠]

[٦٦] وقول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصَّفات:١٠٢] .

وبالتأمل في جميع هذه الآيات يلحظ أن الأمر فيها حقيقي صادر من الله ﷻ لذلك بني لما لم يسم فاعله – لأن الآمر معلوم لدى المخاطب ، والأمر فيها إما أن يكون موجهاً للملائكة كما في

---

[1] : تفسير البيضاوي ٨ /٢٢١

قـــوله :(ويفعلون ما يؤمرون) أو يكون الأمر موجهاً للأنبياء مثل إبراهيم عليه السلام (يا أبت افعل ما تؤمر) ، أو لوط عليه السلام مع أهله (وامضوا حيث تؤمرون) ، أو الرسول ﷺ (فاصدع بما تؤمر) ، وقـــد يكـــون موجهاً لليهود في عهد موسى عليه السلام (فافعلوا ما تؤمرون) .

التجوز مع المضارع (يأمر) :

استعملت مادة (أمر) مجازاً في عدة آيات ، وتنوع فيها المجاز ، وسيتضح هذا التنوع من خلال تناول الشواهد :

[٤٠]قال الله تعـــالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] .

جاء الفعل المضارع (يأمر) مسنداً ، والمسند إليه هو الإيمان ، وإسناد الأمر بعبادة العجل إلى الإيمان إسناد مجازي ، لأن الإيمان ليس الآمر الحقيقي ، إنما الآمر الحقيقي هو الكفر ، فالإيمان لا يأمر إلا بعبادة الله وحده ، يقول الشهاب : " بل سبق على مدعاهم وأسند إليه الأمر ، والإيمان إنما يأمر ويدعو إلى عبادة من هو غاية في العلم والحكمة " [1] ، فالمجاز عقلي لأنه أسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي .

أو يحمل على المجاز اللغوي ، حيث شبه الإيمان بشخص له أمر ونهي ، ذكر المشبه وحذف المشبه به فهو استعارة مكنية ، وفي هذا استهزاء وسخرية بهؤلاء اليهود الذين يدعون أن الإيمان يأمرهم بالكفر .

[٤١]وقـــال الله تعـــالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة:١٦٩].

[٤٢]وقال الله تعالى : [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٦٨] .

[٤٨]وقال الله تعالى حكاية عن غواية الشيطان لعباد الرحمن :﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٩] .

[1] حاشية الشهاب ٢/٣٣٣

[٥٥]وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١] .

الأمر في هذه الآيات مجاز لغوي ، حيث شبه الوساوس بالأوامر ، حذف المشبه وذكر المشبه به ، فهي استعارة تصريحية ، يقول الآلوسي : " والمراد بالأمر بذلك الإغراء والحث عليه ففي الكلام استعارة مصرحة تبعية " [1] ، ويقول الشيخ ابن عاشور: " وإطلاق الأمر على وسوسة الشيطان وتأثير قوته في النفوس مجاز لأن الأمر في الحقيقة من أقسام الكلام "[2] ، أو تكون الاستعارة تمثيلية ، حيث شبه حال إبليس وحال من يتبعه ويتلقى تلك الوساوس بحال الآمر والمأمور بجامع تلقي وقبول تلك الأوامر والامتثال بها ، يقول الطاهر بن عاشور : " والأمر في الآية مجاز عن الوسوسة والتزيين إذ لا يسمع أحد صيغ أمر من الشيطان ، ولك أن تجعل (إنما يأمركم) تمثيلية بتشبيه حاله وحالهم في التسويل والوسوسة وفي تلقيهم ما يوسوس لهم بحال الآمر والمأمور ، ويكون لفظ الأمر مستعملاً على حقيقته " [3] .

وإسناد الوسوسة إلى الشيطان إسناد حقيقي لأنها صادرة منه . والله أعلم .

[٤٩]وقال الله تعالى :﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف:١١٠].

[٥٦]وقال سبحانه : ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء:٣٥] .

الأمر هنا مجاز عن المشاورة ، حيث شبه المشاورة بالأمر بجامع الامتثال في كل منها ، صرح بالمشبه به (الأمر) وحذف المشبه (المشاورة) فهي استعارة تصريحية ، يقول الشيخ ابن عاشور : " والأمر على حقيقته طلب الفعل ، فمعنى (ماذا تأمرون) ماذا تطلبون أن نفعل ، وقال جماعة من أهل اللغة غلب استعمال الأمر في الطلب الصادر من العلي إلى من دونه فإذا التزم هذا كان إطلاقه هنا على وجه التلطف مع المخاطبين ، وأيا ما كان فالمقصود من الطلب على وجه الإفتاء والتشاور ، لأن أمرهم لا يتعين العمل

[1] روح المعاني مج٣ ٦٤/٣

[2] التحرير والتنوير مج٢ ٥٩/٣

[3] المرجع السابق مج١ ١٠٤/٢

به ، " [1] . ويقول الشهاب : " يقال أمرته فأمرني أي شاورته فأشار علي برأي ، وليس هو المعهود وإن قيل به " [2] .

[٥٢]وقال الله تعالى :﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود:٨٧] .

جاء الفعل المضارع (تأمر) مسنداً ، والمسند إليه ضمير مستتر تقديره(هي) يعود على الصلاة ، ومجيء المسند إليه ضميراً لأنه في ذهن السامع لكونه مذكوراً قبل الفعل ، وإسناد الأمر إلى الصلاة مجاز عقلي علاقته السببية ، لأن الصلاة هي سبب لتلك الأوامر ، ويقول الشيخ ابن عاشور : " فإسناد الأمر إلى الصلوات غير حقيقي إذ قد علم كل العقلاء أن الأفعال لا تأمر " [3] .

أو نقول شبه الصلاة بالشخص الآمر ، ذكر المشبه (الصلاة) وحذف المشبه به (الشخص الآمر) بجامع صدور الأوامر منها ، فهي استعارة مكنية ، يقول الشهاب :" أو على الاستعارة المكنية كأنها شخص آمرٌ ناهٍ " [4] .

[٦٠]وقال الله تعالى :﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الطُّور:٣٢] .

المجاز في (تأمرهم أحلامهم) مجاز لغوي ، حيث شبه العقول بسلطان مطاع، وذكرالمشبه وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه الشبه امتثال تلك الأوامر. ([5])

أو يكون المجاز عقلياً حيث أسند الأمر إلى العقول ، والعقول لا تأمر بل هي سبب لتأدية تلك الأوامر ، فالعلاقة سببية [6] .

ثالثاً : صيغة الأمر :

من خلال التأمل في الآيات التي جاءت فيها مادة (أمر) على صيغة الأمر (وأْمُر) نجد أن الأمر فيها جاء على حقيقته ، والإسناد في جميع الشواهد جاء إسناداً حقيقياً .

[٦٧] : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٥] .

---

1 التحرير والتنوير مج٤ ٩/٤٣

2 حاشية الشهاب ٤/ ٣٤١٣

3 التحرير والتنوير مج٥ ١٢/١٤١

4 حاشية الشهاب ٥ / ٢١٤

5 : المرجع السابق ٨ / ٦١٤

6 ينظر : حاشية الشهاب ٨/٦١٤

الخطاب في هذه الآية موجهاً إلى موسى ﷺ ، وأسند الفعل (وأْمر) إلى ضمير مستتر تقديره (أنت) عائد على موسى ﷺ ، وإسناد الفعل إليه ﷺ إسناد حقيقي .

[٦٨]وقـــال الله تعـــالى :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

[٦٩]وقـــال الله تعـــالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] .

الخطاب موجه للرسول ﷺ بأن يأمر بالمعروف وأن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، وإسناد الأمر إلى الضمير المستتر العائد عليه ﷺ إسناد حقيقي لأنه صادر منه ﷺ .

[٧٠]وقـــال الله تعـــالى :﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان :١٧] .

الخطاب في هذه الآية موجه إلى ابن لقمان ، وإسناد الأمر إلى الضمير العائد عليه إسناد حقيقي .

المبحث الثالث : من حيث المتعلقات :

من خلال دراسة المتعلقات بمادة (أمر) في الماضي والمضارع والأمر ، وقفت على بعض الأسرار البلاغية والدلالات الكاشفة ، والمعاني العميقة لكافة أحوال هذه المتعلقات وصيغها من (مفعول به أو جار ومجرور أو حال أو ظرف أو غير ذلك) وما وراء تلك التراكيب من أسرار بلاغية دقيقة أشار إليها المفسرون ودلّ عليها البلاغيون وكشفها التأمل في الآيات القرآنية .

كما وقفت على قضية الإسناد في معظم تلك الشواهد القرآنية ، وقد تبين لي من خلال ذلك كله أن صيغة المضارع قد أخذت حيزاً كبيراً من كتاب الله ﷻ ومرد ذلك ــ والله أعلم ــ إلى أن استعمال الأمر بصيغة المضارع هو الذي يصلح لكل زمان ومكان ،و هذا سر يجب الانتباه إليه .

وعندما يحذف المتعلق ــ لا أشك ــ في أن هذا الحذف سيعطينا دلالة أكثر من كونه مذكوراً ، وكذلك الحال عند ذكره فإن الذكر سيعطينا دلالة أبلغ من الحذف ، فالقرآن الكريم غاية الإعجاز والبلاغة.

فمما حذف فيه المتعلق في الفعل المضارع **[١١]** :﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التَّحريم:٦] .

يظل في أذهاننا هذا الثناء العاطر على الملائكة الذين لا يخالفون أوامر الله ﷻ بل يؤدونها حق الأداء في امتثالهم لما يؤمرون به ، وقد أدى الحذف دوره في أذهاننا .

وفي المقابل نرى بأعيننا ونحس بقلوبنا غواية الشيطان عندما نقرأ قول الله تعالى حكاية عن غواية الشيطان لعباد الرحمن **[٤٨]** :﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٩] .

كل ذلك من فعل الشيطان المستمر على مدار الزمن في الماضي والحاضر ، فهو الذي يأمر بهذا الضلال الذي يقف المؤمن أمامه حذراً من أن يقع فيه ، ونتصور أن معركة الإنسان مع الشيطان مستمرة لا تضع أوزارها ، فالمفعول به مذكور وهو الضمير (هم)، أما المحذوف فهو المأمور به الدال عليه ما بعد الفاء ، أي : لآمرنهم بالضلال فليبتكن . كما يثير في النفس قول امرأة العزيز **[٥٣]** : ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف:٣٢]، الحيطة والحذر من

حبائل النساء ، فالذي تأمره به (الجار والمجرور به) أي المراودة ، يدل على ما يعتمل في النفس من أغراض دنيئة وغايات رديئة !!

وعندما أقرأ قول الله تعالى : (أنسجد لما تأمرنا) وأقدر المحذوف (بالسجود) أشعر بالتأبي والامتناع والإنكار الذي يعتري نفوس أولئك القوم ، فالاستفهام والمضارع والحذف كل ذلك شكل نسيجاً من المفاهيم التي ينبغي على كل مؤمن أن يقف أمامها وقفة تأمل .

أما ما يتعلق **بذكر المتعلقات** فقول الله تعالى :

[٥٢] ﴿ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [هود:٨٧]، (أن نترك) مصدر مؤول منصوب تقديراً وهو محله الجر على نزع الخافض (الباء) وفي ذلك السخرية في قول قوم شعيب عليه السلام وهو قول يتكرر على ألسنة الكفرة والمنافقين .

أما قول الله تعالى[٦٠] :﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ﴾ [الطُّور:٣٢] ، وقول الله سبحانه [٣٩]: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة:٤٤] ذكر المتعلق الذي هو مفعول به في الآيات أن الكلام مسوق لبيان التقرير أو الإنكار أو الاستفهام المتعلق بارتباط الفعل بهذا المفعول لأن تمام الكلام لا يكون إلا بذكره ، فالاستفهام الإنكاري في(أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد) ليس المقصود منه تعلقه بالفاعل والمفعول به الأول بأن يكون بمجرد أمر الصلاة له وإنما لكون أمر الصلاة أمراً بترك عبادة مايعبد الآباء ، وفي قوله :(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ليس إنكاراً لأمرهم ولا لأمرهم الناس وإنما ذلك حال نسيان أنفسهم ، وكذلك قول الكفار الضعفاء [٥٨]:﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ [سبأ:٣٣] ، وهو قول يمتد على مر الزمان في نفوس الكثير والكثير ممن استضعفهم الطغاة وجعلوهم تابعين ، وذكر المفعول يدل على أنهم رضوا لأنفسهم أن يكونوا عباداً للظالمين .

أما قوله سبحانه في سياق بيان عداوة الشيطان للإنسان وفضح أهدافه [٤١] : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ ﴾[البقرة:١٦٩] وقول الله تعالى [٤٢]:﴿ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور:٢١] ، وقول الله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨] فإن ذكر المتعلقات يؤكد ما يقوم به الشيطان ، وما هو غايته في هذه الحياة .

وفي مواضع أخرى يكون فيها الإسناد لله تعالى نرى أن المضارع قد قام بدوره بعد ذكر المتعلـــق وهـــو مسوق لتقرير الأمانات بعد أن تقدم إخلال اليهود بها ونقضهم إياها ، فقول الله تعالى [٣٣]:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء:٥٨] .

وقوله :(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) [النحل:٩٠] ، فذكر المتعلق بعد المضارع يبين أهمية العدل في حياة الناس حيث تصبح الحياة رخاء وسرورا .

وحتى على لسان الرسل نجد الكلام هادئا وادعاً كقول موسى عليه السلام [٣٢] :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾[البقرة:٦٧] ، ومجيء المتعلق المفعول به يدل دلالة قاطعة على جبلة نفوس بني إسرائيل وأنهم يتأففون من الطاعات والمأمورات ، ويتلكؤون في الاستجابة للتكاليف ويخلقون الحجج والأعذار ، هذا بالإضافة إلى سخريتهم من التعاليم الإلهية .

ويأتي الفعل الماضي (أمر) ثانياً من حيث الذكر والحذف والإسناد ، ففي مواضع ذكر فيها المتعلـــق بكثرة كقول الله تعالى [٨]: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[الرعد:٢١]، وقول الله تعالى[١] : ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ [البقرة:٢٧] ، ذلك لأهمية المـــذكور (الإيمـــان بالرسل وصلات الأرحام والصـــلات الإنسانية والأخوة الإيمانية) وفي ذكـــر المتعلق تعظيم لأمـــر الله وكذلك قول الله تعالى[٦] :﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[الأعراف:٢٩]، فقد ذكر المتعلق ، وفي ذكره تعظيم لأمر الله سبحانه ، فبعض المعاني الهامة مثل (التوحيد) تكون عالقة بالنفس ولا بد حينئذ من إظهارها .

وفيما جـــاء على ألسنة الأنبـــياء ، كـــان لذكر المتعلق أهمية بالغة [٣]:﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ ﴾[المائدة:١١٧] ، فالذي أمر به في هذه المتعلقات ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ ﴾ هو أمر ينصب في خصائص الألوهية ويقرر أهمية ذلك الأمر ، وفي آية أخرى رأينا كيف أن متعلق الماضي أدى دوره ــ أيضاً ــ على لسان نبي ، وهو قول الله تعالى [١٣]:﴿ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم ﴾ [يوسف:٦٨] ، فهي ترينا وتبين أن الإنسان مأمور بالحذر والفطنة والأخذ بالأسباب في كل زمان ومكان ، كذلك أدى ذكر المتعلقات دوره مع الماضي في قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [الحج:٤١] ، وتبين لنا معنى المعروف والتقرب والإحسان وكل ما ندب إليه ديننا الحنيف .

وربما كان للحذف دوره في إعطاء معنى جديد مع الماضي ومتعلقاته ، وذلك في قول الله تــعالى[٢٤] :
﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يونس:١٠٤] ، وقول الله تعالى[١٩] :﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [الأنعام:١٤]، وقول الله تعالى [٢١]:﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٣] ، وقوله [٢٣]: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس:٧٢] ، وقوله [٥٢]: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود:١١٢] وقوله [٢٧]: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ [النمل:٩١] وقوله[٢٨] :﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزُّمر١١+١٢]. وقوله [٢٩]:﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [غافر:٦٦] وقوله [٣٠]: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [الشُّورى:١٥] .

حذف المتعلقات أفاد بمعرفة الرسول ﷺ وهو الموحى إليه من ربه بما أمر به وكيف لا يعرف ذلك وهو الاستقامة والاعتدال والإيمان والتدبر .

ويأتي الأمر في المرتبة الثالثة من حيث المتعلقات ذكراً وحذفاً ، فنحن عندما نقرأ الآيات نلمس أن الأمر مع متعلقاته هو تأكيد وتقرير ، ولنأخذ مثلاً قول الله تعالى [٦٧]: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف:١٤٥] ، فذكر المتعلق يرينا أهمية قوم موسى قبل الأقوام الأخرى ، فمن واجب الرسل تبليغ أقوامهم قبل غيرهم ليحصل الامتثال . وفي قول الله تعالى : (وأمر أهلك ..) فالتخصيص هنا لأن أهل الرجل هم أولى من غيرهم وهم أسرع امتثالاً له ، كذلك ذكــــر الجــار والمجـــــرور
(بالــصلاة) هو بيان لأهمية هذا الغرض الذي هو عماد الدين ، ويتكرر هذا في بعض الآيات كقوله [٧٠]: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [لقمان:١٧] ، وقوله[٨٢] : ﴿ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[الطلاق: ٦] ، فالظرف المتعلق والجار والمجرور بيّنا أهمية هذا الائتمار في حيــاة الأسرة .

****

الفصل الثالث

صيغة (أَمْر) لغير الطلب

المبحث الأول : تنوع الدلالة

المبحث الثاني : أسرار التنكير والتعريف

المبحث الثالث : أسرار الإفراد والجمع

المبحث الأول : تنوع الدلالة :

جاءت مادة (أمر) لغير الطلب للدلالة على معانٍ متعددة كالدين ، والقول ، والعذاب ، وعيسى بن مريم ، والقتل ببدر ، وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير ، وفتح مكة ، والقيامة ، والقضاء ، والوحي ، والأمر بعينه ، والذنب ، والنصر ، والفعل والشأن ، والغرق،وآمرنا أي كثرنا ، "و" الإمر : المنكر .([1]) وغير ذلك من المعاني التي تظهر من تحليل الآيات ، واستعمال الأمر في هذه المعاني استعمال مجازي ، قال الزمخشري في سياق حديثه عن قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

[البقرة:٢٧]:" فإن قلت : ما الأمر ؟ قلت : طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه ، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور ، لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به ، فقيل له : أمر ، تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به ، كما قيل له شأن ، والشأن : الطلب والقصد ، يقال : شأنت شأنه ، أي قصدت قصده " (٢) .

وقول الزمخشري : " كما قيل له شأن ، والشأن : الطلب والقصد " [3]، أي يقال بدل الأمر الشأن ، فهما بمعنى واحد (مترادفان) كما بيّن الزمخشري ، وكما جاء في مختار الصحاح : " الشأن الأمر والحال " (٤) ، وجاء في المفردات : " الشأن الحال والأمر الذي يتفق ويصلح ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور " (٥) .

وبالتأمل في كلام الزمخشري يفهم أن كلمة (الأمر) ــ وهي مصدر ــ أطلقت على هذه المعاني التي هي في حقيقتها أوقعت فهي مفعولات من إطلاق المصدر الذي هو الأمر وكذلك الشأن على المعاني المذكورة ، وهي مفعولات من إطلاق المصدر على المفعول به، وهو معنى عبارة الزمخشري " وبه سمي[6]

---

[1] : ينظر : الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ٤٠ الدامغاني

[2] : الكشاف ٢٤٧/١

[3] : المرجع السابق .

[4] مختار الصحاح ٢٨٧ (ش أ ن)

[5]: معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٨٥ (شأن)

[6] : الكشاف ١ / ٣٤٧

الأمر الذي هو واحد الأمور " ... وهذا الإطلاق مجاز مرسل ، والعلاقة المجوزة لهذا المجاز هي علاقة التعلق ، لأن المصدر يتعلق بالمفعول به واسم الفاعل واسم المفعول ... " [1] .

الأمر بمعنى العذاب :

وردت كلمة (الأَمْر) بمعنى العذاب في اثنين وعشرين شاهداً ، وهي بذلك أكثر المعاني وروداً لمادة (أمر) ، والشواهد على ذلك قوله تعالى :

٨٣_ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ وسياق الآية عام في الذين ينتظرون الجزاء يوم القيامة سواء كانوا اليهود أو المشركين من العرب [2] .

وقد جاء الأمر مفرد (الأمور) ويراد به الهلاك والعذاب ، يقول البغوي : " قوله تعالى :(وقضي الأمر) أي : وجب العذاب وفُرِغ من الحساب " [3] ، و قوله ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ الأمور هنا جمع (أمر) ويراد به الشؤون عامة ، يقول الشيخ العثيمين : "و(الأمر) بمعنى الشأن ، أي قضي شأن الخلائق وانتهى كل شيء ، وصار أهل النار إلى النار وأهل الجنة إلى الجنة " [4] .

والتعبير بـ (الأمر) دون (العذاب) لما فيه من العموم ، خير أو شر ، قول أو فعل ، وهذا المناسب لسياق هذه الآية .

وقد بُني الفعل (قُضي) و(تُرجع) لما لم يسم فاعله ، لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب ، فالذي يقضي بالعذاب يوم القيامة والذي ترجع له شؤون الخلائق هو الواحد القهار، فالقضاء لا يكون إلا بقضاء قاضٍ وقدرة قادر وأمر آمر فلذلك بني لما لم يسم فاعله .

والتعبير بلفظ (قُضي) ماضياً في موضع الاستقبال لتيقن الوقوع وتحقق الفعل [5] .

---

1 : هذه من الفوائد التي استفدتها من الأستاذ المشرف ، وينظر كتاب : العلاقات والقرائن في التعبير البياني ١٤٧، د. محمود موسى حمدان ، مكتبة وهبة ، القاهرة.

2: ينظر: المحرر الوجيز ١٥٨ ، والتحرير والتنوير مج١ ٢/٢٨٣

3: تفسير البغوي ١/١٨٤

4 : تفسير القرآن العظيم ٣/١٤

5: ينظر : تفسير البيضاوي ٢/٥٠٤

والتعبير بالماضي في موضع الاستقبال مجاز لغوي حيث شبه وقوع الفعل في المستقبل بوقوعه في الماضي بجامع التحقق في كل ، ثم استعير لفظ الماضي للفظ المستقبل على طريق الاستعارة التبعية في هيئة الفعل و صيغته .

وفي قوله ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ قدم الجار والمجرور للاختصاص ، فجميع الأمور ترجع إلى الله وحده ، يقول الشيخ العثيمين :" وتقديم المعمول يفيد الحصر والاختصاص ، أي : إلى الله وحده لا إلى غيره ترجع أمور الدنيا والآخرة ، أي شؤونها كلها " [1] ، فهو قصر موصوف على صفة قصراً حقيقياً.

ومن خلال التأمل في الآية نجد الأفعال التي وردت في الآية مضارعة ، والمضارع يدل بزمنه على الاستقبال ، وسياق الآية الحديث عن القيامة وقضاء الله فيها ، لذلك استعمل الفعل المضارع ، والله أعلم .

٨٤ـــ وقال تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ ﴾ [المائدة:٥٢] .

سياق الآية الحديث عن المنافقين الذين كانوا يشكون في أمر الرسول ﷺ والأمر في قوله :(أو أمر من عنده) يراد به العذاب ، يقول البغوي : " (أو أمر من عنده) قيل : بإتمام أمر محمد ﷺ ، وقيل : عذاب لهم ، وقيل : إجلاء بني النضير " ([2]) ، و يقول الزمخشري : " (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ماحدثوا به أنفسهم ، وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله ﷺ ويقولون : ما نظن أن يتم له أمر " ([3]).

وقد يكون الأمر مفرد (الأوامر) أي الأمر ضد النهي ، والمعنى : أن يؤمر الرسول ﷺ بإظهار أمر المنافقين وكشف سرائرهم وقتلهم فيندموا على تشكيكهم في أمر رسول الله ﷺ.[4] يقول الزمخشري :" وقيل أو أمر من عنده ، أو أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم "[5] ،

---

[1]: تفسير القرآن العظيم ١٤/٣

[2]: تفسير البغوي ٢/ ٤٤

[3]: الكشاف ٢ / ٢٥١

[4]: ينظر :الكشاف ٢٥١/٢ والتفسير الكبير ١٦/١٢ وحاشية الشهاب ٤٩٢/٣

[5]: الكشاف: ٢٥١/٢

ويقول الشهاب : " يعني أن الأمر إما بمعنى الشأن كما في التفسير الأول ، أو مصدر أمره بكذا إذا طلب منه " [1] .

وبالتأمل في أسلوب الآية يلحظ التعبير بالأفعال المضارعة (يسارعون ، يقولون ، نخشى ، تصيبنا) ، وذلك لأن السياق الحديث عن المنافقين ، والمنافقون مستمرون على أقوالهم وأفعالهم .

٨٥ــوقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام:٨] .

سياق الآية تشنيع لمن تشطط من العرب بأن يترل ملك يصدق محمداً ﷺ في نبوته (٢) .

وقد جاء الأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى : العذاب ، يقول البغوي :" أي : لوجب العذاب "(٣) ذلك لأن المشككين في نبوة محمد ﷺ طلبوا معجزة باهرة حتى يؤمنوا به ويصدقوه ، فرد الله عليهم أنه لو أنزل ملكاً لوجب عليهم العذاب (٤) .

وقد بنيت الأفعال (قُضي ، أُنزل ، يُنظرون) لما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب وهو الله ﷻ ، وفي ذلك إيجاز واختصار اعتماداً على فطنة المخاطب .

ولأن سياق الآية الحديث عن العذاب ، فقد جاء الفعل (أُنزل) مرتين في هذه الآية ، الأولى بالبناء لما لم يُسم فاعله، والثانية (أنزل) بالبناء للمعلوم ومسنداً إلى الفاعل وهو نون العظمة العائد على الله ﷻ وذلك لتهويل الأمر وتربية المهابة، يقول أبو السعود : " وبناء الفعل الأول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول لتهويل الأمر وتربية المهابة ، وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء " (٥) .

٨٦ــوقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٩] .

---

1 : حاشية الشهاب ٣/ ٤٩٢

2 : ينظر المحرر الوجيز ٦٠٤ .

3 : تفسير البغوي ٨٦/٢ .

4: ينظر : الكشاف ٣٢٥/٢ .

5: تفسير أبي السعود ١١٣/٣ .

سياق الآية الحديث عن أهل الكتابين وما فيهم من تفرق وتشيع([1])، وجاء الأمر في هــذه الآيــة مفرد(الأمور) بمــعنى الجــزاء ، يقول البغوي :" (إنما أمرهم إلى الله) يعني في الجزاء والمكافآت " [2] ، ويقول البيضاوي : " (إنما أمرهم إلى الله) يتولى جزاءهم " [3] ، أو يكون بمعنى العمل الذي استحقوا به الجزاء والهلاك والعقوبة [4] لأن سياق الآية وعيد .

وقد جاء الأمر هنا في أسلوب القصر بإنما ، وهو قصر لقلب اعتقاد المتردد في أن جزاءهم علــى الله أو على الرسول ﷺ . والمعنى : إنما أمرهم إلى الله لا إلى الرسول ﷺ ولا إلى غيره [5] ، يقول الدكتور هشام الديب : " والمعنى قريب في ذاته وهو قلب لاعتقاد المخاطبين من أن يكون هملاً دون حساب "[6] .

وقد فصلت جملة (إنما أمرهم إلى الله) عما قبلها وهي قوله : (لست منهم في شيء) لأنها جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، فكأن سائلاً يسأل : أعلى الرسول أن يتولى جزاءهم على سوء عملهم ؟ فكان الجواب : (إنما أمرهم إلى الله) ([7])، فبين الجملتين شبه كمال اتصال .

٨٧ــوقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة:٢٤] .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول ﷺ والحكم فيها متعلق بجميع المؤمنين مستمر إلى قيام الساعة ، وإن كان سبب النزول خاصا [8] .

وقد جاء (الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى عقوبة عاجلة وآجلة (٩)؛ لأن سياق الآية تهديد لمن فضلوا قرابتهم على محبة الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله [1]، أو يكون الأمر هنا بمعنى (فتح مكــة

1: ينظر: المرجع السابق ٣ / ٢٠٦

2: تفسير البغوي ١٤٥/٢ .

3: تفسير البيضاوي ٢٣٦/٤ .

4: ينظر : التحرير والتنوير مج٤ ٨ /١٩٢ .

5: ينظر : تفسير أبي السعود ٢٠٦/٣ ، والتحرير والتنوير مج٤ ١٩٢/٨

6: أسلوب القصر ٢٣٤ .

7: ينظر : التحرير والتنوير مج ٤ ٨ / ١٩٢

8: ينظر : المحرر الوجيز ٨٣٣ ، فقد ذكر وجوهاً لأسباب النزول وهي إن اختلفت في مبناها اتفقت في معناها ، وهو : مقاطعة الكفار حتى لو كــانوا ذوي قرابة .

9: ينظر : التفسير الكبير ١٦/١٦ ، وتفسير أبي السعود ٥٤/٤ .

وإلى هذا المعنى ذهب بعض أصحاب الوجوه والنظائر [٢] ، يقول الطاهر بن عاشور : " والأمر اسم مبهم بمعنى الشيء والشأن ، والمقصود من هذا الإبهام التهويل لتذهب نفوس المهددين كل مذهب محتمل ، فأمر الله : يحتمل أن يكون العذاب أو القتل أو نحوهما ، ومن فسر أمر الله بفتح مكة فقد ذهل لأن السورة نزلت بعد الفتح "[٣] .

وقد جاء الترتيب في هذه الآية غاية الحسن والجمال ، فبدأ بالقرابة لأنها أعظم أسباب المخالطة ثم ما يترتب على تلك المخالطة من إبقاء الأموال الحاصلة ، ثم التجارة واكتساب الأموال غير الحاصلة ومن ثم الرغبة في بناء الدور والقصور [٤].

يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين :" فبدأ أولاً في هذه الآية بذكر أصول العبد وهم آباؤه المتقدمون طبعاً وشرفاً ورتبة ، ثم الفروع ، وهم : الأبناء ، لأنهم يتلونهم في الرتبة ، وهم ألصق بهم من الإخوان ، ثم ذكر الإخوان ، وهم حواشي النسب ، ثم ذكر الأزواج رابعاً ، لأن الزوجة أجنبية منه ، ويمكن أن يتعوض عنها بغيرها ، وأما الإخوان فلا عوض عنهم ثم ذكر القرابة البعيدة وهم العشيرة وبنو العم ، ثم ذكر الأموال ... " [٥] .

وقوله :(وعشيرتكم) [٦] إطناب بذكر العام بعد الخاص ، فقد " ذكر أربعة أصناف على التفصيل وهم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج ، ثم ذكر البقية بلفظ واحد يتناول الكل وهي لفظ (العشيرة) "[٧] .

وقوله (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) جاء الترتيب وفق الأهم فالأهم ، وقد قرن حب الجهاد بحبه ﷻ وحب الرسول ﷺ تنويهاً بشأنه ، ولأن حب الجهاد فيه دلالة صادقة على حب الله وحب رسوله ﷺ لأنه قتال لأعدائهما .

٨٨ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ

---

[1]: فقد ذكر أنه قبل فتح مكة لا يتم الإيمان إلا بالهجرة ، فقال البعض : إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا ـــ(ينظر : تفسير البغوي ٢٧٧/٢ وحاشية الشهاب ٥٤٣/٤)

[2]: ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ٤١ والمدهش لابن الجوزي ٢٣ .

[3]: التحرير والتنوير مجـ١٠ /١٥٤ .

[4]: ينظر : التفسير الكبير ١٦/١٧ .

[5]: صفاء الكلمة ٢٠٦ د. عبد الفتاح لاشين .

[6]: جاء في المفردات : " والعشيرة أهل الرجل الذين يتكثر بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل ، وذلك أن العشيرة هو العدد الكامل ، قال تعالى (وأزواجكم وعشيرتكم) فصار العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثر بهم " ـــ المفردات ٣٧٥ ، عشا .

[7]: التفسير الكبير ١٦/٦٠ .

قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤] .

هذه الآية مثل ضربه الله للناس للتحذير من الدنيا وعدم الاغترار بها .

والأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى العذاب والهلاك ، يقول الزمخشري : " (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقاهم أنه قد سلم "(١) .

وقد بدأت الآية بأسلوب قصر بـ (إنما) ، فقد مثلت الحياة الدنيا بنبات ماء ازدهر وأينع فأبهج وأعجب ثم سرعان مازال وتحول إلى هشيم ، فالقصر هنا قصر موصوف (الدنيا) على صفة (الزوال) وهو قصر قلب ، لأن المخاطبين نزلوا منزلة من يعتقد عكس ذلك لظهور آثار الغفلة عليهم ، ولما كان المعنى سرعة زوال الدنيا وتغير حالها قريباً في ذهن المخاطبين وكان اعتقادهم فيها معاكساً لذلك عند اغترارهم بها فقد استعملت أداة (إنما) لملاءمتها له دون سواها (٢)، " لأنها تأتي في الأمور التي يدعى أنها من الوضوح بمكان " (٣) ، وقد جاءت هذه الآية بياناً لما قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس:٢٣]، فبين هنا ﷻ شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود (٤) ، فبين الجملتين كمال اتصال .

وفي الآية تشبيه تمثيلي ، هذا التشبيه منتزع من مجموع جمل هذه الآية من غير أن يمكن فصل بعضها من بعض ، فلو حذفت جملة واحدة من أي موضع أخلّ ذلك بالمغزى الحاصل من التشبيه (٥) ، حيث شبهت حال الدنيا وما فيها من متع وملذات ينخدع بها الناس فيقبلون عليها ويغرقون في ملذاتها ، ثم بغتة يدركون سرعة انقضائها ، شبه تلك الحال بحال نبات الأرض نزل عليه الغيث فتكاثف والتفّ واغترّ الناس به ثم سرعان ما جفّ وذهب حطاماً كأن لم يكن (٦) ، والجامع بين الصورتين اغترار الناس بأشياء فانية سرعان ما تزول .

---

[1]: الكشاف ١٢٩/٣ .

[2]: ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ١٤١/١١ ، وأسلوب القصر ٢٤٠ .

[3]: من بلاغة القرآن ١٢٣ د . أحمد بدوي .

[4]: ينظر : تفسير أبي السعود ١٣٧/٤ .

[5]: ينظر : أسرار البلاغة ١٠٩ ، تأليف الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، ت: محمود شاكر ط١ / ١٤١٢هـ ، دار المدني ، جدة ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١٠٠ .

[6]: ينظر : الكشاف ٣ / ١٢٩ ، والبلاغة القرآنية ٢٧٨ للقاسم

وقوله :(أخذت الأرض زخرفها وازينت) شبه الأرض في حال تزينها بالنباتات والزهور بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون بجامع جمال المنظر ، والاستعارة هنا مكنية يقول الزمخشري : " (أخذت الأرض زخرفها وازينت) كلام فصيح : جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون ، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين " (1) .

وقوله تعالى: (ليلاً أو نهاراً) طباق ، فيه إشارة إلى مباغتة أمر الله للناس ، وهذا تحذير لهم من الاغترار بالدنيا ومتعها .

وختم هذه الآية بقوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) وفيها تعريض بمن لا ينتفع بالآيات بأنهم ليسو من أهل التفكر . (2)

٨٩ــ وقال تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾ [هود:٤٠] .

سياق هذه الآية ذكر قصة نوح عليه السلام وخبر الطوفان الذي عذب الله به قومه .

و(الأمر) في قوله تعالى : (حتى إذا جاء أمرنا) إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد به العذاب ، وذلك لأن سياق الآية الحديث عن عذاب قوم نوح وإغراقهم ، يقول البغوي : " (حتى إذا جاء أمرنا) عذابنا " (3) ، أو يكون مفرد (الأوامر) وهو الأمر بركوب السفينة أو بالفوران أو للسحب بالإرسال (4) ، وفيه إشارة إلى أنه لا يحدث شيء إلا بأمر الله تعالى ، كما قال سبحانه:(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [النحل:٤٠] ، يقول الرازي : "الأمر في قوله تعالى : (حتى إذا جاء أمرنا) يحتمل وجهين ، الأول : أنه تعالى بيّن أنه لا يحدث شيء إلا بأمر الله تعالى كما قال (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فكان المراد هذا ، والثاني : أن يكون المراد منه هاهنا هو العذاب الموعد به" (5) .

---

1 : الكشاف ٣ / ١٢٩

2: ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ١١ /١٤٤

3: تفسير البغوي ٢/٣٨٣ .

4 : ينظر : روح المعاني مج٧ ١٢/٧٧ .

5: التفسير الكبير ١٧/١٨٠ .

والأرجح ـ والله أعلم ـ أن الأمر هنا بمعنى العذاب ، بقرينة قوله تعالى: (وفار التنور) ؛ فقد جعل علامة العذاب فوران التنور ، يقول الرازي :" والذي روى أن فور التنور كان علامة لهلاك القوم لا يمتنع لأن هذه واقعة عظيمة " [1] .

وإضافة الأمر إليه ﷻ تهويل وتعظيم له [٢] ، وقد عَّبر بالفعل (جاء) دون (أتى) لأن المجيء فيه دلالة على الصعوبة الراجعة إلى ما فيه من شدة ورهبة وقهر[٣] .

وقد فصل قوله (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) عما قبلها وهي (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) لأنها استئناف على تقدير سؤال [٤] فبين الجملتين شبه كمال اتصال .

وقوله :(وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) أسلوب قصر ، فقد قصر الإيمان على القليل ونفاه عما عداه ، يقول القرطبي : " إلا أن الفائدة في دخول (إلا) و(ما) لأنك لو قلت : آمن معه فلان وفلان جاز أن يكون غيرهم قد آمن ، فإذا جئت بـ (ما) و(إلا) أوجبت لما بعد إلا ونفيت عن غيرهم "[٥]، وهو قصر صفة على موصوف قصر حقيقي ، فالسامع لا ينكر وجود المؤمنين مع نوح عليه السلام لكنه يجهل عددهم " ولعل ختم هذه الآية بهذه الجملة إشارة إلى قلة الصالحين " [٦] وفي هذا تسلية للرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ، والله أعلم .

والتعبير بالأفعال الماضية (جاء ، فار ، قلنا ، سبق ، آمن) لأن سياق الآية الحديث عن قصة وقعت في زمن مضى ، فهو إخبار عن أمة من الأمم السابقة .

وقد ذكر المفسرون أن جملة (وفار التنور) قد تحمل على الحقيقة ويكون المقصود به تنور الخبز ، وقد يكون مجازاً ، فهي إما أن تكون استعارة تصريحية حيث شبه الأماكن العالية على وجه الأرض بالتنانير في العلو والارتفاع، يقول الرازي : " الثاني : أن التنور أشرف موضع في الأرض وأعلى مكان فيها وقد أخرج إليه الماء من ذلك الموضع ليكون ذلك معجزة له ، وأيضاً المعنى أنه لما نبع الماء من أعالي الأرض ، ومن الأمكنة المرتفعة فشبهت لارتفاعها بالتنانير" [٧] ، أو تكون استعارة مكنية حيث شبه خروج الماء

---

[1] : المرجع السابق ١٧/ ١٨١

[2]: ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ٧٠/١٢ .

[3]: ينظر : الإتيان والمجيء ٢٢ .

[4]: ينظر : الكشاف ١٩٨/٣ .

[5]: الجامع لأحكام القرآن ٢٤/٢ .

[6]: ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ٧٣/١٢ .

[7] : التفسير الكبير ١٨٠/١٧ .

من التنور بشدة فوران الماء من القدر عند الغليان بجامع القوة والشدة في كل منهما، يقول البيضاوي : " (وفار التنور) نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور ، والتنور تنور الخبز ، ابتدئ منه النبوع على خرق العادة " [(١)] ، وقد تكون الجملة كناية عن اشتداد الأمر فهي تشبه (حمى الوطيس) فهي كناية عن صفة [(٢)] .

وقد ذكر الرازي أن الأولى حمل اللفظ على الحقيقة ، لأن الأصل حمل الكلام على حقيقته إذا لم يكن هناك امتناع في العقل [(٣)] .

٩٠ـ وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود:٤٣] .

هذه الآية تدور حول الحوار الذي دار بين نوح وابنه وما كان عند نوح عليه السلام من عاطفة الأبوة وما كان من ابنه من عصيان .

وقد جاء (الأمر) مفرد (الأمور) بمعنى (العذاب) ، يقول البغوي : " أي لا مانع من عذاب الله إلا الله الراحم " [(٤)] .

و قد جاء بين قوله تعالى :(لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ) وقوله :(قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) فصل لشبه كمال الاتصال ، حيث جاءت الجملة الثانية جواباً لسؤال تقديره : ماذا قال نوح ؟ " وقد فصلت جملة (قال سآوي) وجملة (قال لا عاصم) لوقوعها في سياق المحاورة "[(٥)] .

والتعبير بالأفعال المضارعة (سآوي ، يعصمني) لاستحضار الصورة التي كان عليها ابن نوح وما كان منه من عصيان ، والأفعال الماضية (قال ، حال ، كان) في سياق الإخبار عنه .

٩١ـ ثم قال سبحانه : ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود:٤٤] .

وقد جاء الأمر فيها مفرد (الأمور) بمعنى : وجب هلاك القوم وعذابهم، يقول البغوي "(وقضي الأمر) فرغ من الأمر وهو هلاك القوم " [(٦)] .

---

1 : تفسير البيضاوي ١٦٤/٥ .

2 : ينظر : التفسير الكبير ١٨٠/١٧ ، والتحرير والتنوير مج٥ ٧٠/١٢ .

3 : ينظر : التفسير الكبير ١٨٠/١٧ .

4 : تفسير البغوي ٣٨٥/٢ .

5 : ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ٧٦/١٢ .

6 : تفسير البغوي ٣٨٦/٢ .

والمقصود أن الله سبحانه أهلك قوم نوح على تمام وإحكام [١] ، وقد أطبق علماء البلاغة علـــى أن هذه الآية الشريفة بالغة من الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه الثابتو الأقدام في علم البيان الراســـخون في علم اللغة، فقد بلغت هذه الآية من أسرار الإعجاز غايتها، فاشتملت على الإيجاز والمجاز والتمثيل وأنواع البديع [٢] ، فقوله: (يا أرض) و:(يا سماء) ناداهما بأداة النداء (يا) وأمرهما بما يؤمر به أهل العقول والتمييز ، ولا شك أن الأرض والسماء من أعظم مخلوقات الله ، فنداؤهما وأمرهما ومن ثم انقيادهما وامتثالهمـــا بالأمر فيه دلالة على عظمة الخالق ﷻ [٣] ، وقد قدمت الأرض على السماء لأن انتفاع الخلق فيهـــا ، ومنها ابتدأ الطوفان ، وفيها غرق القوم ، وهي مستقر للماء والسفينة [٤] .

وفي قوله :(وقيل بعداً للقوم الظالمين) احتراس ، حتى لا يتوهم السامع أن الهلاك قد عـــمّ مـــن لا يستحق الهلاك ، فجاء سبحانه ــ بالدعاء على الهالكين ليعلم أنهم مستحقو الهلاك [٥].

وقوله :(واستوت على الجودي) إيجاز ، إذ التقدير : واستوت السفينة على الجودي ، فأضمر المسند إليه اعتماداً على فطنة المخاطب ، " كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن" [٦] .

وقوله :(يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) استعارة مكنية ، حيث شبه الأرض والسماء بالمأمور المنقاد بجامع الطاعـــة في كل منهما [٧] ، وقوله: (يا أرض ابلعي) يقول الزمخشـــري : " البلع : عبارة عـــن النشف " [٨]، استعير البلع الذي هو من فعل الحيوان للنشف ، حيث شبه غور الماء في الأرض و النشف بالبلع ، فهي استعارة تصريحية ، وفيها دلالة على أن هذا النشف ليس كالنشف المعتاد الكائن على سبيل التدرج ، وفيه دلالة على قدرته وعظيم أمره سبحانه [٩].

وفي قوله (يا سماء) مجاز مرسل علاقته المكانية ، والتقدير : يا مطر السماء [١٠].

وبين قوله :(ابلعي) و(أقلعي) جناس تصريف لأنه لا تفاوت بينهما إلا بحرف ، وفيه دلالة على قـــوة الطوفان ، والله أعلم .

1: ينظر : فتح القدير ٢/٥٠٠ .

2: ينظر : دلائل الإعجاز ٤٥ ، فتح القدير ٢/٥٠٠ ، والإبداع البياني في القرآن العظيم ١٤٠ للشيخ محمد علي الصابوني ط١ /١٤٢٦هـ المكتبة العصرية ، بيروت .

3: ينظر : دلائل الإعجاز ٤٥ .

4: ينظر : الطراز ٣/١٢٩ .

5: ينظر : معجم البلاغة القرآنية ٦٦ د . بدوي طباتة ط٤/ ١٤١٨هـ، دار ابن حزم ، بيروت .

6: دلائل الإعجاز ٤٦ .

7: ينظر : حاشية الشهاب ١٧١ .

8: الكشاف ٣/٢٠٣ .

9: ينظر : فتح القدير ٢/٥٠٠ .

10: ينظر : معجم البلاغة العربية ٦٦ والجدول في إعراب القرآن مج٣ ١٢ /١١٨٠

وقوله :(السماء) و(الأرض) طباق ، ذكر هنا للدلالة على عظمة أمر الله سبحانه ، حيث انقادت له أعظم المخلوقات وامتثلت لأمره سبحانه .

٩٢ـــ وقال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [هود:٥٨] .

سياق هذه الآية الحديث عن قصة هود ﷺ مع قومه وما كان منهم من تكذيب وعناد فتبرأ هود ﷺ من أصنامهم ، وتحداهم بأن يكيدوه ، وكانت هذه له معجزة [1]. والأمر في قوله (ولما جاء أمرنا) مفرد (الأمور) ويكون المراد به العذاب يقول الرازي : " اعلم أن قوله :(ولمّا جاء أمرنا) أي عذابنا ، وذلك هو مانزل بهم من الريح العقيم ، عذبهم الله بها سبع ليال وثمانية أيام تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وتصرعهم على الأرض على وجوههم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية "([2]). وقد يكون الأمر هنا مفرد (الأوامر) يقول الشهاب : " وقوله عذابنا على أن الأمر بمعنى الشأن واحد الأمور أو المأمور به ، والتفسير الآخر على أنه واحد الأوامر ، والإسناد على الثاني مجازي ، والأمر بالعذاب إما أمر الملائكة فهو حقيقي ، أو هو مجاز عن الوقوع على طريق التمثيل " ([3])، والأرجح ـ والله أعلم ـ أن الأمر هنا مفرد (الأمور) ويراد به العذاب ، وذلك بقرينة (نجينا) فالنجاة تكون من العذاب والهلاك.

و التعبير بالفعل (جاء) فيه دلالة على الصعوبة لما يحمل هذا العذاب من رهبة وخوف [4] .

والتعبير بالفعل الماضي (جاء) مجاز عن الوقوع ، حيث شبه قرب تحقق العذاب لقوم هود بالتحقق والانتهاء فالاستعارة تصريحية ، ولذلك عبُر بالفعل الماضي (جاء) ،يقول الشهاب : "التعبير بالماضي المفيد لتحققه حتى كأنه وقع ، أن يجعل باعتبار ذلك واقعاً في وقت النزول تجوزاً " ([5]) يقول الشيخ ابن عاشور : " استعمال الماضي في قوله :(جاء أمرنا) بمعنى اقتراب المجيء لأن الانجاء كان قبل حلول العذاب " [6] .

---

[1] : ينظر : المحرر الوجيز ٩٥٢ ، وروح المعاني مج ٧ ١٢/ ١٢٤

[2] : التفسير الكبير ١٨ / ١٣

[3] : حاشية الشهاب ٥ / ١٨٤

[4] : ينظر : الإتيان والمجيء ٣٠ .

[5] : حاشية الشهاب ٥ / ١٨٤

[6] : ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ١٠٣/١٢ .

وفي قوله : (عذاب غليظ) استعارة [1] ، حيث شبه العذاب وما فيه من شدة بشيء حسي خشن فهي استعارة مكنية ، فالغلظة ضد الرقة ، "وأصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير " [2] .

٩٣ـوقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود:٦٦]

سياق هذه الآية الحديث عن قصة صالح عليه السلام وقوله :(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) تركيب متشابه مع قوله في قصة هود : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) ، والأمر هنا إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد به (العذاب) و قد يكون مفرد (الأوامر) ، يقول أبو السعود : " (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا أو أمرنا بتروله " ([3]) ، وقوله (نجينا) يؤيد كون المراد بالأمر العذاب ، يقول الطاهر بن عاشور :" أي نجينا صالحاً عليه السلام ومن معه من عذاب الاستئصال ومن الخزي المكيف به العذاب فإن العذاب يكون على كيفيات بعضها أخزى من بعض " ([4]). وهذا تركيب متشابه مع قوله سبحانه : (ولما جاء أمرنا نجينا هوداً ...) إلا أنه في قصة صالح بدأت بالفاء ، أما قصة هود فبدأت بالواو ، وذلك لأن قصة صالح سبقها قوله :(فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) فالعذاب سيأتيهم بعد ثلاثة أيام ، والفاء دالة على التعقيب ، ولهذا جيء بها هنا ، أما قصة هود فلم يرد ما يستدعي التعقيب ، بل قبلها ما يقتضي أن ينسق ما بعده عليه بواو العطف ، ولذلك قال: (ولما جاء أمرنا) [5] .

وجملة (ومن خزي يومئذ) معطوفة على ما قبلها ، وهي إما أن تكون معطوفة على الفعل (نجينا) ويكون المعنى أن الله تبارك وتعالى نجّى صالحاً من العذاب وما يلحق به من خزي وفضيحة لأن سبب العذاب معصية الله سبحانه وتعالى[6] .

وقد ختم هذه الآية بجملة خبرية مؤكدة بثلاث مؤكدات (إن ، واسمية الجملة ، وضمير الفصل) وهي قوله تعالى : (إن ربك هو القوي العزيز) ، والخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لا

---

1 : ينظر : المرجع السابق مج٥ ١٠٤/١٢ .

2 : المفردات (غلظ)

3 : تفسير أبي السعود ٤ / ٢٢٣

4 : التحرير والتنوير مج ٥ ١٢ / ١١٤

5 ينظر : ملاك التأويل ٦٥٧/٢ .

6 ينظر : التفسير الكبير ٨/١٨ .

يشك ولا يتردد في قوة الله وعزته ، وإنما جاءت مؤكدة للتأكيد على هلاك الأعداء ، وفيـه تعـريض بمشركي مكة [1].

٩٤ــوقال تعالى : ﴿ يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود:٧٦] .

سياق هذه الآية ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة عندما جاءت لعذاب قوم لوط عليه السلام ، وجاء الأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى العذاب ، يقـول البغـوي : " أي عذاب ربك وحكـم ربك " [2] ، و يقول الزمخشري : " (إنه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة ، والعذاب نازل بالقوم لا محالة ، لا مردّ به بجدال ولا دعاء ولا غـير ذلـك " [3] ، وقضاء الله هنا هو العذاب الذي حلَّ بقوم لوط .

وقد بدأت هذه الآية بأسلوب النداء (يا إبراهيم) ، فالملائكة طلبت من إبراهيم عليه السلام عدم مجادلتهم ، فهم قد جاءوا لعذاب قوم لوط عليه السلام ، ولأنهم أشر قرية في الأرض عملاً ، يقول الزركشي : "و(يـا) الموضوعة للبعيد إذا نودي بها القريب الفطن قال الزمخشري : إنه لتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معتنى به جداً " [4] .

وبالتأمل في الآية نجد أن قوله : (إنه قد جاء أمر ربك) جملة خبرية مؤكدة بـ (إنّ) و(قد) التي دخلت على الفعل الماضي لتفيد التحقيق ، وكذلك استعمال الفعل (جاء) ، وكل هذا يدل على عظـم الأمـر وشدته وصعوبته .

٩٥ــوقال تعـالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ ﴾ [هود:٨٢] .

هذه الآية جاءت في قصة لوط عليه السلام وما كان من عذاب لقومه .

والأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى العذاب ، يقول البغوي : " (فلما جاء أمرنا) عذابنا [5] ".

---

1 ينظر: التحرير والتنوير مج٥ ١٢/١١٤ .

2 ينظر : تفسير البغوي ٢/٣٩٤ .

3 ينظر : الكشاف ٣/٢١٨ .

4 : البرهان في علوم القرآن ٢/٤١٥ .

5 تفسير البغوي ٢/٣٩٦ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢ /٥٤ ، وتفسير أبي السعود ٤/٢٣٠ .

أو يكون المراد (بالأمر) مفرد (الأوامر) ، وهذا المعنى رجّحه بعض المفسرين ([1]) ، لأن المراد ضد النهي، ولأنه لا يمكن حمل الأمر على العذاب ؛ لأن قوله (جعلنا عاليها سافلها) هو العذاب ، فالأمر شرط ، وهذا العذاب (جعلنا عاليها سافلها) جزاء ، والشرط غير الجزاء ، فدلّ هذا على أن الأمر لا يراد به العذاب ، وعليه يكون المراد بالأمر أمراً حقيقياً حيث أمر الله ﷻ ملائكته بتخريب وتعذيب القوم في أمر معين ، فلما جاء هذا الوقت نفذوا أمر الله لهم [٢] .

يقول الرازي : " في الأمر وجهان ، الأول : أن المراد من هذا الأمر ما هو ضد النهي ، ويدل عليه وجوه ، الأول : أن لفظ الأمر حقيقة في هذا المعنى مجاز في غيره دفعاً للاشتراك ، الثاني : أن الأمر لا يمكن حملة ههنا على العذاب ، وذلك لأنه تعالى قال: (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) وهذا الجعل هو العذاب ، فدلت هذه الآية على أن هذا الأمر شرط والعذاب جزاء ، والشرط غير الجزاء ، فهذا الأمر غير العذاب وكل من قال بذلك قال إنه هو الأمر الذي هو ضد النهي " [٣] .

وبناء على ما سبق أقول ــ والله أعلم ــ : لا يوجد مانع من حمل الأمر على المجاز ، ويكون المراد به العذاب ، وجعل قوله ، (جعلنا عاليها سافلها) إطناب إيضاح بعد الإبهام ، فالعذاب مجمل ، لا يتضح نوعه إلا بهذه الجملة .

وقد بدأت هذه الآيات بالفاء (فلما جاء أمرنا) وهي متفقة بذلك مع قوله تعالى :(فلما جاء أمرنا) في قصة صالح عليه السلام ؛ لأن الفاء تدل على التعقيب ، وموعد عذابهم الصبح ، فإذا جاء الصبح نزل لهم العذاب ، فالسامع يرتقب لهذا العذاب ، والفاء تدل على هذا المعنى [٤] .

وقوله سبحانه : (عاليها) و(سافلها) طباق يظهر فيه ﷻ شدة العذاب الذي وقع بهم ، فقد روي أن جبريل عليه السلام رفع المدائن بطرف جناحه حتى وصلت السماء فسمع من في السماوات نباح كلابهم وصياح الديكة ثم قلبها فجعل عاليها سافلها .

٩٦ـ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود:٩٤] .

---

[1] مثل : الرازي والشهاب

[2] ينظر : التفسير الكبير ٣٦/١٨ ، وحاشية الشهاب ٢٠٩/٥ .

[3] التفسير الكبير ٣١/١٨ .

[4] ينظر : ملاك التأويل ٦٥٧/٢ .

جاءت هذه الآية في سياق قصة شعيب عليه السلام ، وقوله :(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) تركيب متشابه مع قوله سبحانه في قصة هود عليه السلام:(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا)، وقد سبقت الإشارة إليه في الحديث عن قصة هود عليه السلام.

وقد بيّنت الآية نوع العذاب الذي حلّ بقوم شعيب عليه السلامفقال : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [هود:٩٤]، لهذا عطف الجملة على ما قبلها لوجود المناسبة بينهما .

٩٧ـوقال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [هود:١٠١] .

جاءت هذه الآية بعد الانتهاء من قصص الأنبياء ـعليهم السلام ـ ليبين الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ما فعله بتلك الأمم لما خالفوا رسلهم ، وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت له .

وقد ذكر بعض المفسرين [1] أن الأمر هنا مفرد (الأمور) بمعنى العذاب ، يقول الزمخشري :" (أمر ربك) عذابه ونقمته " [2] .

وقد جاء (الأمر) مضافاً إلى (الرب) سبحانه وتعالى تعظيماً وتفخيماً له ، فهذه الآية تحذير للمشركين وتعريضاً لهم بعبادتهم لأصنام لا تنفع ولا تضر ، لأنه سبحانه يقول : (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) .

واستعمال الفعل (جاء) في هذه الآية لأن سياقها الحديث عن عذاب الله لتلك الأمم العاصية ، والعذاب أمر صعب فيه شدة ورهبة وخوف لذلك جيء بالفعل (جاء) ليناسب هذا السياق ، والله أعلم .

٩٨ـوقال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد:١١] .

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى الأسباب الداعية إلى العذاب في قوله تعالى :(ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) ذكر هنا ما من شأنه الحيلولة دون عذاب الله بحكمته ومشيئته ، وهو عمل الملائكة الموكلين بحفظ البشر.

[1] ينظر مثلاً : تفسير البغوي ٤٠٠/٢ ، والكشاف ٢٣٤/٣ ، والتفسير الكبير ٤٦/١٨ ، وتفسير أبي السعود ٢٤/٤ .
[2] : الكشاف ٢٣٤/٣ .

و(الأمر) في قوله (يحفظونه من أمر الله) مفرد (الأمور) بمعنى (العذاب) ، يقول الزمخشري : " أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب " (١) .

واستعمال الفعل المضارع (يحفظونه) يفيد الاستمرار التجددي ، وهذا يتناسب مع عمل الملائكة الموكلين بالآدميين [٢].

ومن خلال التأمل في سياق هذه الآية يلحظ أنها صدرت بجملة اسمية (له معقبات) وختمت بجملة اسمية (فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) ، وفي هذا تأكيد لمضمون الآية [٣] ، وهو ما شأنه الحيلولة دون عذاب الله بمشيئته من عمل الملائكة الموكلين بحفظ البشر .

٩٩ـ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٢] .

سياق الآية الحديث عن يوم القيامة وما يكون فيه من جدال بين أهل الضلال والشيطان . والأمر هنا بمعنى العذاب ، وقد بُني الفعل (قضي) لما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب ، وقد جاءت الجملة (إن الله وعدكم وعد الحق) مؤكدة بـ(إن) وصرح بالمسند إليه (الله) لتعظيم وعد الله ، والإشارة إلى صدق وتحقق الوعد ، وعطف عليها (ووعدتكم فأخلفتكم) لإثارة بغض الشيطان في نفوس الكفار ، وإظهار ما سيكون من الحسرة والندم يوم القيامة ، وفي هذا تحذير منه .

وفي هذه الجملة إيجاز حذف ، والتقدير : إن الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ، والحذف هنا لدلالة المذكور عليه ، وهو (فأخلفتكم) [٤].

ولما كان الأمر عذاباً ناسبه أن تأتي الأخبار معه مؤكدة في قوله سبحانه : (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) و (إني كفرت بما أشركتموني من قبل) و (إن الظالمين لهم عذاب أليم) وفي هذه المؤكدات تحذير من اتباع الشيطان ، وبيان مكره وعداوته ، وفي ختم الآية بقوله: (إن الظالمين لهم عذاب أليم) " إيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم " [٥] .

---

[1] الكشاف ٣٣٨/٣ ، وينظر : تفسير البيضاوي ٣٩٢/٥ ، وتفسير أبي السعود ٨/٥ .
[2] ينظر : النظم القرآني في سورة الرعد ٨٨ د . محمد الدبل ، عالم الكتب .
[3] ينظر : المرجع السابق.
[4] ينظر : تفسير البيضاوي ٤٦١/٥ .
[5] المرجع السابق ٤٦١/٥ .

وفي قوله :(إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) مقابلة بين وعد الله ﷻ ووعد الشيطان ، والغرض منه إعمال العقول بالتأمل في الوعدين وما تؤول إليه عاقبتهما .

١٠٠_قال تعالى :﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحجر:٦٦] .

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة قوم لوط عليه السلام .

والأمر في قوله :(وقضينا إليه ذلك الأمر) مفرد (الأمور) بمعنى العذاب ، وإلى هذا المعنى أشار بعض المفسرين (١) ، وهو المعنى المناسب للسياق ، يقول أبو السعود : " والتعبير عن العذاب بالأمر والإشارة إليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على فخامة الأمر وفظاعته ما لا يخفى " (٢) ، ويقول ابن عاشور : " و (ذلك الأمر) إيهام للتهويل ، والإشارة للتعظيم ، أي الأمر العظيم " (٣) .

وقد فصلت جملة (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) عما قبلها (وقضينا إليه ذلك الأمر) لأن الأمر مبهم ، وجملة (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) مفسرة للأمر ،فالفصل لكمال الاتصال ، وفي قراءة (إن) بالكسرة والكلام استئنافٌ يكون الفصل لشبه كمال الاتصال ، يقول الزمخشري : " وقرأ الأعمش : (إن) بالكسر على الاستئناف كأن قائلاً قال : أخبرنا عن ذلك الأمر ، فقال : إن دابر هؤلاء " (٤)، ولا شك أن هذا الإبهام والتفسير يزيد الكلام إعجاباً وفخامة ، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب ، ففيه تفخيم الأمر وتعظيماً لشأنه (٥) .

١٠١_وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل:٣٣] .

هذه الآية رد على منكري النبوة الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يترل عليهم ملكاً من السماء يشهد على صدق نبوته [٦] . والأمر في قوله :(أو يأتي أمر ربك) مفرد (الأمور)، ويراد به أحد معنيين ، إما

---

[1]: ينظر مثلاً : التفسير الكبير ٢٦٠/١٩ ، وتفسير أبي السعود ٨٥/٥ .

[2]: تفسير أبي السعود ٨٥/٥ .

[3]: التحرير والتنوير مج٦ ٦٥/١٤ .

[4]: الكشاف ٤١٣/٣ .

[5]: ينظر : الطراز ٤٤/٢ .

[6]: ينظر : التفسير الكبير ٢٢/٢٠ .

العذاب وإما القيامة ، يقول البغوي : " (أو يأتي أمر ربك) يعني يوم القيامة ، وقيل : العـــذاب " [١] .
ويرى أبو السعود أن (الأمر) هنا بمعنى العذاب الدنيوي لا القيامة ، لأن قوله (فأصابهم سـيئات مـا عملوا) صريح في أن المراد به ما أصابهم من العذاب الدنيوي ، يقول : " والمراد بالأمر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لأن انتظارها يجامع انتظار إتيان الملائكة فلا يلائمه العطف بأو لأنها ليست نـصاً في العناد إذ يجوز أن يعتبر منع الخلو ويراد بإيرادها كفاية كل واحد من الأمرين في عذابهم بـل لأن قولـه تعالى فيما سيأتي :(ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم ...الآية) صريح في أن المراد به ما أصـابهم من العذاب الدنيوي " [٢] . وقد رجح الآلوسي أن المراد بالأمر هنا القيامة ، ويؤيد هذا المعنى التعبير بـ(يأتي) دون يأتيهم ، وقيل المراد بإتيان الملائكة إتيانهم للشهادة بصدق النبي ﷺ وأن الجمهور علـى هذا المعنى ، يقول : " (أو يأتي أمر ربك) أي القيامة كما روي عمن تقدم أيضاً ، وقال بعضهم المراد به العذاب الدنيوي ... ويؤيد إرادة الأول التعبير بيأتي دون يأتيهم ، وقيل : المراد بإتيان الملائكة إتيانهم للشهادة بصدق النبي ﷺ أي : ماينتظرون في تصديقك إلا أن تنزل الملائكة تشهد بنبوتك ، فهو كقوله تعالى : (لولا أنزل عليه ملك) والجمهور على الأول " [٣] .
وسواء كان المراد بالأمر هنا (العذاب) أو (القيامة) فإن المعنيين كل منهما مرتبط بالآخر ، فـسياق الآية التهديد والوعيد لهؤلاء المنكرين .
وقد فصل قوله :(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) عما قبلها ، لأنها جاءت جوابـاً لسؤال مقدر في قوله تعالى : (قد مكر الذين من قبلهم) فكأن سائلاً يسأل عن إبان حلول العـذاب على هؤلاء كما حل بالذين من قبلهم ، فقيل : ما ينظرون إلا أحد الأمرين : مجيء الملائكة ، والعذاب أو القيامة [٤] ، فبين الجملتين شبه كمال اتصال .

وبالتأمل في نظم الآية يلحظ استعمال الأفعال المضارعة (ينظرون ، تأتيهم ، يظلمون) مسندة إلى منكري النبوة ، وهي أفعال تفيد التجدد والاستمرار على فعل القبائح ، وفي ذلك تحذير للمشركين .

وقوله (لا إله إلا أنا) أسلوب قصر ، فقد قصر صفة الألوهية على نفسه ﷻ وهو قصرحقيقي [٥]، والغرض من هذا القصر التعريض بالمشركين الذين ظهرت لهم دلائل وحدانيته ﷻ ومع ذلك يـشركون في عبادته أصناماً لا تنفع ولا تضر .

---

[1]: تفسير البغوي ٦٨/٣ ، وينظر : الكشاف ٤٣٤/٣ .
[2] : تفسير أبي السعود ١١١/٥ .
[3] : روح المعاني مج٨ ١٩٨/١٤ .
[4]: ينظر : التحرير والتنوير مج٦ ١٤٥/١٤ .
[5] : ينظر أسلوب القصر ١٦ .

١٠٢ــوقال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٢٧] .

سياق هذه الآية الحديث عن قصة نوح عليه السلام .

والتركيب في هذه الآية متشابه مع قوله تعالى في سورة هود : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) [هود:٤٠] والأمر فيها إما أن يكون مفرداً لأمور ويراد به العذاب والهلاك [(١)]. قال الزمخشري : " و (أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة " [(٢)] .

وقد جاء التعبير هنا بــ(فاسلك فيها) ، وفي سورة هود (احمل فيها) ؛ لأن سياق هذه الآية الأمر بركوب السفينة ، أما قوله (احمل) السياق الإخبار بما يحمل نوح عليه السلام في السفينة ، وإعدادهم للركوب معه ، ومنهم من حضر عليه استصحابه ، (فاحمل) أوسع مواقع في اللغة وأكثر تصرفاً في الكلام [(٣)] .

١٠٣ــوقال تعالى : [وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] [القمر:١٢] .

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة نوح عليه السلام وإهلاك قومه بالطوفان .

والأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) ويراد به العذاب والهلاك ، جاء في الكشاف : " وقيل : على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون ، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان " [(٤)] ، وفي قوله :(وفجرنا الأرض عيوناً) التفجير يكون للعيون معنى ، وأوقع على الأرض لفظاً لإفادة الشمول ، فقد جعلها كلها كأنها عيون تتفجر ، وأن الماء يفور من عيون متفرقة من الأرض [(٥)] . وفيه دلالة على قوة الطوفان، وشدة العذاب ، والله أعلم .

1: ينظر : المحرر الوجيز ١٣٢٨ ، وتفسير أبي السعود ١٣١/٦ .
2: الكشاف ٤٣٤/٣ .
3: ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل ٢٢٠ للإسكافي ، وملاك التأويل ٦٥٥/٢ للغرناطي .
4: الكشاف ٦٥٧/٥ .
5: ينظر : دلائل الإعجاز ١٠٢ و الكشاف ٦٥٧/٥ .

وفي هذه الآية استعارة حيث شبه الماء النازل من السماء والخارج من الأرض بطائفتين جاءت كل واحدة منهما من مكان فالتقتا في مكان واحد كما يلتقي الجيشان ، حذف المشبه به وأتى بما يدل عليه وهو (الالتقاء) فهي استعارة مكنية ، فيها إشارة إلى قدرة الله عز وجل [1] .

الأمر الذي يراد به الشأن مجرداً عن المعاني الأخرى :

استعمل الأمر بمعناه العام الشامل لجميع الشؤون ــ متجرداَ عن المعاني الأخرى ــ في عشرين شاهداً ، وهي :

١٠٤ــقوله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ آل عمران١٠٩]

بعد أن ذكر ﷻ يوم القيامة وتعذيب الكفار بكفرهم وتنعيم المؤمنين بإيمانهم ، وأنه ﷻ لا يريد ظلماً للعباد ، ذكر تعالى الحجة القاطعة في ملكه جميع المخلوقات وأن الحق لا يُعترض عليه [2].

وقد جاء الأمر هنا جمع (الأمور) ويراد به جميع الشؤون ، يقول الشيخ العثيمين : " وقوله (ترجع الأمور) يعم كل أمر ، والأمور هنا جمع أمر بمعنى الشأن ، ولأن كلمة (أمر) يراد بها الشأن .. " [3] .

وقد وصل هذه الآية بما قبلها ، وهي قوله تعالى : (وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ) وكذلك وصل بين الجملتين في هذه الآية لاتصالهما في المعنى ، لأن في قوله تعالى : (وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ) نفى الظلم عن نفسه ﷻ ، فالظلم لا يصدر إلا من جاهل أو عاجز وهذا محال على الله مالك السماوات والأرض ، وله ترجع شؤون الخلائق [4] ، يقول القرطبي: " وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين وأنه لا يريد ظلماً للعالمين ، وصله بذكر اتساع قدرته وغناه عن الظلم لكون ما في السماوات وما في الأرض له حتى يسألوه ويعبدوه ولا يعبدوا غيره " [5] .

وفي قوله (ولله ما في السماوات وما في الأرض) تقدم الجار والمجرور للاختصاص ، فقد قصر ملكية ما في السماوات والأرض على الله ﷻ [6] ، فهو قصر موصوف على صفة .

وكذلك قوله تعالى : (وإلى الله ترجع الأمور) أيضاً ، قصر عن طريق تقديم الجار والمجرور، فقد قصر رجوع جميع شؤون الخلائق على الله وحده [7] ، فهو قصر موصوف على صفة .

---

[1]: ينظر : التحرير والتنوير مج١١ ١٨٣/٢٧ .
[2]: ينظر : المحرر الوجيز ٣٤١ .
[3]: تفسير القرآن العظيم ٣٨/٢
[4]: ينظر التفسير الكبير ٣٩٥/٨
[5]: الجامع لأحكام القرآن ٣٩٥/١
[6]: ينظر : تفسير القرآن العظيم ٣٨/٢
[7]: ينظر :المرجع السابق ٣٩/٢

١٠٥ـقـــال تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩] .

الخطاب في هذه الآية موجه للمؤمنين يأمرهم فيها بطاعة الولاة ، وقد جاءت هذه الآية بعد أمر الولاة بالأمانة والعدل في ولايتهم . [١]

والأمر هنا مفرد (الأمــــور) ، ويراد به جميع الشؤون والأحوال ، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : " والأمر هو الشأن ، أي ما يهتم به من الأحوال والشؤون ، فأولو الأمر من الأمة ومن القوم هم الـــذين يسند الناس إليهم تدبير شؤونهم ويعتمدون في ذلك عليهم فيصير الأمر كأنه من خصائصهم "[٢] .

وقد عطف هذه الجملة على ما قبلها وهي قوله :(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لأن أمـــراء الحـــق طاعتهم واجبة ولذلك عطفت على طاعة الله ورسوله [٣] .

وقوله تعالى : (وأطيعوا) مسند ، والمسند إليه هو واو الجماعة ، وكرر المسند (الطاعة) مع أن مقتـــضى الظاهر أن يقول : (وأطيعوا الله ورسوله) وذلك "اعتناء بشأنه ﷺ وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال مـــا ليس في القرآن وإيذاناً بأن له ﷺ استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره " [٤] .

[٧٢]ـوقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود:٩٧].

الأمر في قوله : (وما أمر فرعون برشيد) مفرد (الأمور) ، ويراد به الشأن والحال الضال التي كان عليها فرعون ، وفيه " تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره ، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيـــه أدنى مسكة من العقل ، وذلك أنه ادّعى الإلهية وهو بشر مثلهم ، وجاهر بالعسف والظلم والشر الـــذي لا يأتي إلا من شيطان مارد " [٥] .

وإسناد الرشد إلى الأمر إسناد مجازي لأن الرشيد الآمر لا (الأمر) ، وإنما أسند الرشـــد إلى الأمـــر مبالغة في اشتمال الأمر على مايقتضيه انتفاء الرشد فكان الأمر هو الموصوف بعدم الرشد ،يقول الطاهر

---

[1]: ينظر التفسير الكبير ١٠ / ١١٥
[2] : التحرير والتنوير مج٢ ٥/٩٧
[3]: ينظر الكشاف ٢/٩٥
[4] : ينظر : روح المعاني مج٤ ٥ /٤١
[5] : الكشاف ٣ / ٢٣٣

ابن عاشور : " وأجري وصف رشيد على الأمر مجازاً عقلياً ، وإنما الرشيد الآمر مبالغة في اشتمال الأمر على ما يقتضي انتفاء الرشد " ([1]) .

١٠٧ ــوقال تعــالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود:١٢٣] .

هذه الآية ختمت بها سورة هود ، فكانت خاتمة شريفة جامعة لكل المطالب ، والأمر في هذه الآية يراد به جميع الشؤون والأحوال، لأن (أل) في الأمر للجنس فتشمل جميع الأفراد ، ثم أكد الشمول بقوله تعالى :(كله) ، يقول الآلوسي : " (يرجع الأمر) أي : الشأن "([2]) ، فجميع الشؤون ترد إلى الله وحده لا شريك له ، يقول الطاهر بن عاشور : " ومعنى إرجاع الأمر إليه أن أمر التدبير والنصر والخذلان وغير ذلك يرجع إلى الله ، أي إلى علمه وقدرته وإن حسب الناس وهيؤوا فطالما كانت الأمور حاصلة على خلاف ما استعد إليه المستعد ، وكثيراً ما اعتز العزيز بعزته فلقي الخذلان من حيث لا يرتقب ، وربما كان المستضعفون بمحل العزة والنصرة على أولي العزة والقوة "([3]) .

وقد جاء الأمر في أسلوب الاختصاص عن طريق تقديم الجار والمجرور في قوله : (ولله مافي السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله) ، فتقديم المجرورين في هاتين الجملتين يفيد الاختصاص فقد قصر موصوفاً على صفة ونفاها عمن سواه ، فـ (لله) ﷻ وحده الغيب ورجوع أحوال وشؤون الخلائق لا إلى غيره ، ولعل الغرض من ذلك التعريض بالمشركين الذين أشركوا بالله أصناماً لا تنفع ولا تضر .

وقوله : (فاعبده وتوكل عليه) ، قدم العبادة على التوكل لأن التوكل لا ينفع إلا العابد فتقديم العبادة بالذكر على التوكل يشعر بعلو الرتبة أو الوقوع ([4]).

وختم هذه الآية بقوله : (وما ربك بغافل عما تعملون) وفيها إظهار في موضع الإضمار فلم يقل ، وما هو بغافل ، إظهاراً لعظمته سبحانه وقدرته .

١٠٨ ــوقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [النحل:٧٧]

---

1 : التحرير والتنوير مج ٥ ١٢ / ١٥٥

2: روح المعاني مج ٧ ٢٥٢/١٢

3 : التحرير والتنوير مج٥ ١٩٦/١٢

4: ينظر تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب ٢٥٧/٥

في هذه الآية أخبر الله ﷻ أن الغيب له يملكه ويعلمه ، وهذا حجة على الكفار [1] ، يقول البغوي :" نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء "[2] ، والأمر في هذه الآية يراد به شأن الساعة العظيم ، يقول الطاهر بن عاشور : "وأمر الساعة : شأنها العظيم ، فالأمر : الشأن المهم ، كما في قوله تعالى : (أتى أمر الله) وقول أبي بكر رضي الله عنه : ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، أي شأن وخطب "[3] .

وقد عطف جملة (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ) على جملة : (ولله غيب السموات والأرض) ، وهذا من عطف الخاص على العام ، فعلم الغيب يشمل علم الساعة وغيرها ، وفي هذا إظهار قدرة الله ﷻ وعظيم علمه ، يقول الشهاب :" وذكر أمر قيام الساعة بعد غيب السموات كذكر جبريل عليه السلام بعد الملائكة " [4] .

وهذه الجملة فيها أسلوب قصر عن طريق النفي والاستثناء ، فقد قصر أمر قيام الساعة على ما يشبه لمح البصر في سرعة الإنجاز وتحقق الوقوع ، والقصر حقيقي ، وهو قصر موصوف على صفة.
وهو كناية عن سرعة زوال الدنيا وقيام الساعة [5] .

وفي قوله : (لِلهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أسلوب قصر — أيضاً — عن طريق تقديم الجار والمجرور ، فقد قصر علم غيب السموات والأرض عليه وحده ﷻ، فهو قصر موصوف على صفة.

وختم هذه الآية بجملة مؤكدة ، فقال:(إن الله على كل شيء قدير) وفصلها عما قبلها لأنها مؤكدة لها ، يقول الزمخشري :" (إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات" [6].

وفي قوله :(إلا كلمح البصر) تشبيه ، حيث شبه أمر قيام القيامة كطرف العين ، ووجه الشبه : سرعة تحقق قدرته سبحانه [7] . والغرض من هذا التشبيه بيان مقدار حال المشبه ، أي : أن الساعة لما كانت آتية ولا بد ، جُعِلت من القرب بمثابة لمح البصر ، بل هو أقرب لأن الله تعالى يقول: كن فيكون ، وهذا تمثيل لسرعة مجيئها [8] .

---

1 : ينظر المحرر الوجيز ١١٠٨

2: تفسير البغوي ٧٩/٣

3 : التحرير والتنوير مج٦ ٢٥٧/١٤

4 : حاشية الشهاب ٦٣/٥

5 : ينظر أسلوب القصر في محكم النظم ٧١

6 : الكشاف ٤٥٧/٣

7: ينظر : التفسير الكبير ٧١/٢٠

8: ينظر : البلاغة القرآنية ٣٠٦ د محمد القاسم

١٠٩_قال الله تعالى :﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

الخطاب في هذه الآية موجه للرسولﷺ وسبب نزول هذه الآية أن ملأ مرَّ على الرسول ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت بهؤلاء ، أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا لو طردت هؤلاء لاتبعناك ، فأنزل الله فيهم قرآناً [(١)] .

والأمر هنا هو شأنهم وحالهم الضال ، يقول البغوي : " قيل : معناه ضيع أمره وعطل أيامه "[(٢)] ويقول الطاهر بن عاشور : " والأمر : الشأن والحال "[(٣)] . والوصل بين هذه الجمل بالواو دون الفاء لأن سياق الآية تعداد صفات الشخص الذي نهى الرسولﷺ عن طاعته ، ومن أغفل الله قلبه عن ذكره فقد غفل قلبه فكأنه قال:(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف:٢٨] ومن هنا كانت الواو في مكانها [(٤)] .

وفي قوله :(يريدون وجهه) كناية عن صفة الرضا ؛ لأن من رضي على من أطاعه يقبل عليه ، ومن غضب يعرض عنه [(٥)] .

وقوله :(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) الإغفال [(٦)] هنا قد يكون فيه استعارة لجعل ذكر الله تعالى الدال على الإيمان به كالسمة لأنه علامة للسعادة ، كما جعل ثبوت الإيمان في القلب بمترلة الكتابة ، فالاستعارة تصريحية حيث شبه عدم وسم بالإيمان في قلوبهم بالإغفال [(٧)] ، وقد يراد بالإغفال هنا الغفلة المستمرة المستفادة من جعل الإغفال من الله تعالى كناية عن كونه في خلقه تلك القلوب [(٨)] .

[1]: ينظر : لباب النقول في أسباب الترول ١٠١ و ١٤٤ تأليف جلال الدين السيوطي ، مكتبة إسلامية .
[2]: تفسير البغوي ١٥٩/٣
[3]: التحرير والتنوير مج ٦ ٣٠٦/١٥
[4]: ينظر : من بلاغة القرآن ١٣٩
[5]: ينظر : حاشية الشهاب ١٦٦/٦
[6]: يقال : نعم أغفال : لا سمات عليها ، وفلان غفل لمن لم تسمه التجارب ، ومصحف غفل :جرد عن العواشر وغيرها ، وكتاب غفل : لم يسم واضعه (أساس البلاغة ٤٥٣ غفل.) وجاء في المفردات " وإغفال الكتاب تركه في معجم ، وقوله (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . أي تركناه " ، المفردات ٤٠٥ غفل
[7]: ينظر : حاشية الشهاب ١٦٨/٦
[8]: ينظر: التحرير والتنوير مج٦ ٣٠٦/١٥

١١٠ــوقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحج:٧٦] .

قيل إن هذه الآية نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة : (أأنزل عليه الذكر من بيننا) فأخبر الله أنه يصطفي بالرسالة من يشاء ، فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .[1]

و(الأمور) هنا جاءت جمعاً ويراد به جميع الشؤون والأحوال فهي ترد إليه ﷻ وحده لا إلى أحد غيره ، وفي هذا رد على من أنكر أن يكون الرسول ﷺ من البشر ، يقول الزمخشري :" ثم ذكر أنه ــ تعالى ــ دراك للمدركات ، عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر ، ولا تخفى عليه منهم خافية ، وإليه مرجع الأمور كلها ، والذي هو بهذه الصفات ، لا يسأل عما يفعل ، وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله " ([2]) .

وقد جاء الأمر في أسلوب قصر (وإلى الله ترجع الأمور) عن طريق تقديم الجار والمجرور ، فإلى الله لا إلى غيره ، فهو قصر موصوف على صفة قصر حقيقي [3] ، وفيه إشارة إلى قدرته التامة وتفرده بالألوهية والحكم [4] .

وبناء الفعل (ترجع) لما لم يسم فاعله ، لأنه معلوم لدى المخاطب لا يشك فيه ؛ لأنه الله فجميع شؤون المخلوقات ترجع لله وحده ، لا شريك له سبحانه .

وفي قوله (ما بين أيديهم وما خلفهم) استعارة لما يظهرونه ، فقد شبه ما يظهرونه من عداوة وعناء بشيء أمام أيديهم بجامع الظهور ، وشبه ما يخفونه في بواطنهم بشيء خلفهم بجامع الخفاء ، فالاستعارة تصريحية ، أو يكون قد شبه أحوال المستقبل بشيء بين يدي الشخص أي أمامه ، وشبه الأحوال الماضية بشيء خلفهم ([5]) ، والاستعارة أيضاً تصريحية .

---

[1]: ينظر : المحرر الوجيز ١٣٢٣

[2] : الكشاف ٤ / ٢١٢

[3] :ينظر : تفسير أبي السعود ٦/ ١٢١ ، والتحرير والتنوير مج٧ ١٧ / ٣٤٤

[4] ينظر : التفسير الكبير ٦٢/٢٣

[5] : ينظر : التحرير والتنوير مج ٧ ١٧ / ٣٤٥

١١١ــوقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النور:٦٢] .

روي أن هذه الآية نزلت في وقت حفر الرسول ﷺ خندق المدينة ، وذلك أن بعض المؤمنين كان يستأذن لضرورة وكان المنافقون يذهبون دون استئذان [١] .

ويراد بالأمر هنا الشأن المهم الذي يجتمع له كالحرب والجمعة والأعياد ، يقول البغوي : " (على أمر جامع) يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل "[٢] .

وجاء في الكاشف عن المحصول : " وذلك الأمر وهو الشأن ، وهو الإجماع على محاربة الكفار ، وهو الذي دعاهم النبي ﷺ إليه "[٣] .

ولما كان الشأن هنا مهم وجلل ومما يجتمع له ناسب التعبير عنه بالأمر ــ والله أعلم ــ يقول الزمخشري : " أنه خطب جلل لا بد لرسول الله ﷺ فيه من ذوي رأي وقوة ، يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته ، فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه ، فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان "[٤] .

وفي قوله سبحانه : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) أسلوب قصر بــ (إنما) ، حيث قصر الإيمان الحقيقي على الإيمان بالله ورسوله وعدم الانصراف من جمع دعاهم الرسول إليه حتى يستأذنوه فيأذن لهم ، وهو قصر موصوف على صفة ، فقد جعل وصف الاستئذان علامة مميزة للمؤمنين الأحقاء عن المنافقين [٥] ، ثم فصل قوله :(إن الذين يستأذنوك أولئك الذي يؤمنون بالله ورسوله)؛ لأنها جاءت مؤكدة لمضمون الجملة السابقة عليها ، ومآل الجملتين واحد وهو التنويه بفضل الاستئذان [٦] ، فبين الجملتين كمال اتصال .

وقد ختم الآية بقوله :(إن الله غفور رحيم)، وهي جملة خبرية مؤكدة لمعنى ما قبلها ، وهو أن عدم الانصراف أولى ، وهذا يفيد تعظيم الأمر ، فإذا أذنت لهم وانصرفوا فإن الله كثير المغفرة والرحمة .

---

1 : ينظر المحرر الوجيز ١٣٧٣
2 : تفسير البغوي ٣/٣٥٩
3 : الكاشف عن المحصول ٣/١٦٢
4 : الكشاف ٤/ ٣٢٧
5 : ينظر: التحرير والتنوير مج٨ ١٨/٣٠٦ وأسلوب القصر ٢٤٥
6 : ينظر: سورة النور دراسة وتحليل ٥٥٤

وفي قوله: (أمر جامع) مجاز عقلي ؛ حيث أسند الفعل إلى غير فاعله ، يقول الكشاف : " والأمر الجامع : الذي يجمع له الناس ، فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز " [1] وعلاقته السببية ، لأن الأمر يسبب الجمع [2] . وقد يكون المجاز لغوياً ، حيث شبه الأمر بإنسان يجمع الناس للتشاور فالاستعارة مكنية ، يقول الشهاب :" وهو مجاز عقلي ، أو استعارةمكنية " ([3]).

ومن خلال التأمل في نظم الآية الكريمة يلحظ استعمال الأفعال المضارعة (يذهبوا، يستأذنوه ، يستأذنونك ، يؤمنون) في سياق مدح المؤمنين حقاً ، وهي أفعال تدل على الاستمرار والتجدد ، فدلت هذه الآية على أن هذه الأفعال ديدنهم ، فهي العلامة المميزة لهم عن المنافقين ، والله أعلم .

١١٢_وقـــال الله تعـــالى : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان:٢٢] .

في هذه الآية يبين الله حال المسلم المستسلم لأمر الله ﷻ والأمور في قوله :(وإلى الله عاقبة الأمور) جمع يراد به جميع الشؤون ، فجميع الشؤون صائرة إليه ، يقول الآلوسي :" (وإلى الله عاقبة الأمور) أي : هي صائرة إليه ﷻ لا إلى غيره جل جلاله ، فلا يكون لأحد سواه جل وعلا تصرف فيها بأمر ونهي وثواب وعقاب ، فيجازي سبحانه هذا المتوكل أحسن الجزاء " [4] .

وقد عطف جملة (وإلى الله عاقبة الأمور) على ما قبلها (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ؛ لأن سياق الآية مدح المسلمين الذين أسلموا جميع شؤونهم للخالق ، فهو وحده ﷻ الذي ترجع له جميع الأمور ، ولذلك جاء أسلوب القصر بتقديم الجار والمجرور ، فقد قصر عاقبة الأمور على الله وحده ونفى هذه الصفة عن غيره وذلك للرد على المشركين وعبادهم الضالة ، فهو قصر موصوف على صفة ، يقول الشهاب :" وتقديم إلى الله إجلالاً للجلالة ورعاية للفاصلة ، ويجوز أن يكون للحصر رداً على الكفرة في زعمهم مرجعية آلهتهم لبعض الأمور "[5].

وبناء الفعل (ترجع) لما لم يسم فاعله لأنه معلوم لدى المخاطب لا ينصرف الذهن إلا إليه ﷻ وفي تسليم ذاته كناية عن تسليم جميع أموره لله وحده لا شريك له . وقوله : (فقد استمسك بالعروة الـــوثقى) استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال المتوكل على الله المشتغل بالطاعة المتعلق بأمر الله بحال من يترقى إلى

---

[1] : الكشاف ٤/ ٣٢٧

[2] : ينظر: التحرير والتنوير مج ٨ ٣٠٧/١٨

[3] : حاشية الشهاب ٧ / ٩٢

[4] : روح المعاني مج ١٢ ١٤٤/٢١

[5] : حاشية الشهاب ٧/ ٤٢٦

جبل شاهق ، فاحتاط لنفسه بأوثق عروة من حبل متين ، وهذه الاستعارة فيها دلالة واضحة على أنه لا نجاة لأي شخص إلا بتمسكه وتعلقه بالله وحده لا شريك له فلا ملجأ منه إلا إليه وحده[١] .

١١٣_قــــال تعــــالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الـــــشورى: ٥٢ -٥٣].

نزلت هاتان الآيتان بسبب خوض الكفار في معنى تكليم الله ﷻ موسى عليه السلام ونحو ذلك فقد ذهبت قريش واليهود في ذلك إلى تجسيم ونحوه ،فنزلت هذه الآية مبينة كيفية تكليم الله ﷻعباده.[2] و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور)و يراد به (الشأن) يقول الطاهر بن عاشور : "ومعنى (من أمرنا) مما استأثر الله بخلقه وحجبناه عن الناس ،فالأمر المضاف إلى الله بمعنى الشأن العظيم ،كقولهم : أمر أمر فلان ، أي شـــأنه " [٣] أما قوله سبحانه :(ألا إلى الله تصير الأمور)فإن (الأمور)عام لجميع الشؤون والأحوال في السماوات والأرض ترد إلى الله وحده لا شريك له ، يقول الرازي :"ثم قال (ألا إلى الله تصير الأمور)وذلك كالوعيد و الزجر،فبين أن أمر من لا يقبل هذه التكاليف يرجع إلى الله تعالى أي إلى حيث لاحاكم سواه فيجازى كلاً منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب "[٤] . ويقول الطاهـــر بن عاشـــــور :"والأمور : الشؤون والأحوال والحقائق وكل موجود من الذوات والمعاني "[٥]، ـــ والله سبحانه أعلم ـــ يقول أبو السعود :"ففيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين "[٦]

وقد جاء (الأمر) في أسلوب القصر ، حيث قصر رجوع الشؤون إليه وحده ونفاها عن غيره ، فهو قصر موصوف على صفة يراد به تقريع من يظن شيئاً من الأمور يرجع إلى البشر ، يقول ابن عطـــية : " ولكن جاءت هذه العبارة مستقلة تقريعاً لمن في ذهنه أن شيئاً من الأمور إلى البشر "[7] . وقد عطف جملة (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) على قوله (و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من

[1] : روح المعاني مج١٢ ٢١/ ١٤٤
[2] ينظر المحرر الوجيز ١٦٧٣
[3] : التحرير والتنوير مج ١٠ ٢٥ / ١٥٢
[4] التفسير الكبير ٢٧/١٦٤
[5] التحرير والتنوير مج ١٠ ٢٥/١٥٦
[6] تفسير أبي السعود ٧/٣٨
[7] المحرر الوجيز ١١٦٧٤

وراء حجاب .....) الآية ؛ لأنه سبحانه لما بين طرق الوحي للأنبياء ، بين ﷻ أنه بهذه الطرق ومن هذا الجنس أوحى الله إليه ﷺ وفي هذا رد على قريش واليهود الذين قالوا له ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ؟! [1] ، ويقول الطاهر بن عاشور : " عطف على جملة (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ....) الآية ، وهذا دليل عليهم أن القرآن أنزل من عند الله أعقب به إبطال شبهتهم التي تقدم لإبطالها قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) الآية ،" [2] وقد ختـــم هذه الآية بقـــوله :(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) جملة خبرية مؤكدة وتأكيد الخبر هنا للاهتمام به ؛ لأن الخبر مستعمل في تثبيت قلب النبي ﷺ . [3]

١١٤ــوقال الله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤ ﴾ [فاطر:٤]

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول ﷺ تعزية وتسلية عندما كذبه قومه .

وجاء التعبير (بالأمر) هنا عن جميع الشؤون والأحوال التي ترجع إلى الله وحده لا شريك له ، يقول ابن عطية : " و(الأمور) تعم جميع الموجودات المخلوقات، إلى الله مصير جميع ذلك اختلاف أحوالها ، وفي هذا وعيد للكفار ، ووعد للنبي ﷺ" [4] ، ويقول أبو السعود : " (وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الأحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم "[5] .

وتقديم الجار والمجرور (إلى الله) يفيد الاختصاص ، فقد قصر رجوع الأمور إليه وحده ﷻ ونفى هذه الصفة عن غيره ، فهو قصر موصوف على صفة ، يقول أبو السعود : " (وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى غيره ، فيجازي كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الأحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع إبهام الجزاء ثواباً وعقاباً من المبالغة في الوعد والوعيد مالا يخفى " [6] .

---

1 ينظر فتح القدير ٥٤٥/٤

2 التحرير والتنوير مج ١٠ ١٥٠/٢٥

3 ينظر المرجع السابق ١٥٥/٢٥

4 : المحرر الوجيز ١٥٤٥

5 : تفسير أبي السعود ٧/ ١٤٣

6 تفسير أبي السعود ١٤٣/٧

وقد عطفت جملة (وإلى الله ترجع الأمور) على قوله :(فإن كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) لأنها تذكير بعاقبة مضمونها بأن أمر المكذبين وأمر الرسل في جملة الأمور الراجعة إلى الله ﷻ ، وتنكير (رسل) للتكثير والتعظيم وهذا تسلية للرسول ﷺ ليتأسى بمن قبله في الصبر [1] .

وفي الآية إيجاز حذف ، فقد استغنى بذكر السبب (فقد كذبت) عن المسبب (للتأسي) لدلالته عليه ، والتقدير : وإن يكذبوك فلا يحزنك تكذيبهم فقد كذبت رسل من قبلك [2] .

١١٥ــوقال الله تعــالى : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر:٤٤] .

الحديث في هذه الآية على لسان مؤمن آل فرعون .

والأمر هنا يراد به الشأن والحال ، يقول الشيخ ابن عاشور :" ومساق هذه الجملة مساق الانتصاف منهم لما أظهروه له من الشر ، يعني : أني أكل شأني وشأنكم معي إلى الله فهو يجزي كل فاعل بما فعل ، وهذا كلام منصف ، فالمراد بـــ (أمري) شأني ومهمي "[3].

و سياق الآية الالتجاء إلى الله ﷻ في رفع المكروه ، وفي هذا التوعد لهم وتخويفهم بالله ، يقول الرازي : " ثم قال :(وأفوض أمري إلى الله) ، وهذا كلام من هدد بأمر يخافه ، فكأنهم خوفوه بالقتل ، وهو أيضاً خوفهم بقوله :(فستذكرون ما أقول لكم)، ثم عول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال: (وأفوض أمري إلى الله)" [4] .

وقد عطف جملة (وأفوض أمري إلى الله) على ما قبلها ، لأنه لما ذكر جملة تحمل معنى التوعد بالعذاب التجأ هنا إلى الله وتوكل عليه في رفع المكروه الذي توعدوه به .

وختم الآية بجملة خبرية مؤكدة علم الله بأحوال عباده ، وجاء الإظهار في موضع الإضمار ، فلم يقل : إنه بصير بالعباد ، لتقرير المسند إليه في ذهن السامع ؛ لأن سياق الآية توعد بالعذاب ،والله أعلم .

١١٦ــوقال الله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدُخان ٤-٥] .

---

[1] ينظر : الكشاف ٥/ ١٤٠ وتفسير البيضاوي (من حاشية الشهاب) ٧/ ٥٧٠

[2] ينظر المرجع السابق

[3] التحرير والتنوير مج ٩ ٢٤/ ١٥٦

[4] التفسير الكبير ٢٧/ ٦٣

هاتان الآيتان تتحدثان عن ليلة القدر التي خصها الله بنـــزول القرآن فيها ، فشرفها على سائر الأوقات . والأمر في قوله :(كل أمر حكيم) مفرد (الأمور) ، يراد به جميع الشؤون التي كتبها الله للعباد ، يقول الزمخشري :" ومعنى (يفرق) يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة "[1] ، ويقول أبو السعود : " ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى الأخرى "[2] .

و(الأمر) في قوله : (أمراً من عندنا) هو الشأن أيضاً، والتكرار هنا لبيان فخامته ، يقـــول أبو السعود :" أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية "[3] .ويقول الطاهر بن عاشور :"وإعادة كلمة (أمراً) لتفخيم شأنه " [4] .

١١٧ــوقال الله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ ﴾ [ق:٥]

هذه الآية إضراب تبع الإضراب في قوله (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفضع من تعجبهم [5] .

و(الأمر) هنا هو الشأن والحال المضطرب ، فهم يقولون عن الرسول ﷺ مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ، فلا يثبتون على شيء واحد ، يقول الزمخشري : " (فهم في أمر مريج) مضطرب ، يقـــال : مرج الخاتم في إصبعه وجرج ، فيقولون تارة : شاعر ، وتارة : ساحر ، وتارة : كاهن ، لايثبتون علـــى شيء واحد " [6]، يقول الطاهر بن عاشور : "و(أمر) اسم مبهم مثل شيء ، ولما وقع هنا بعد حرف (في) المستعمل في الظرفية المجازية تعين أن يكون المراد بالأمر الحال المتلبسون به تلبس المظروف بظرفه "[7] . وقد أسند (مريج) إلى المصدر (أمر) إسناداً مجازياً للمبالغة بجعل المضطرب الأمر نفسه ، والحقيقـــة أن يسند الاضطراب إلى صاحب الأمر، يقول الشهاب :" قوله (مضطرب) فالإسناد مجازي مبالغة بجعـــل المضطرب الأمر نفسه وهو في الحقيقة صاحبه " [8] ، فالمجاز عقلي علاقته سببية لأنهم هم سبب هـــذا الاضطراب .

---

[1] الكشاف ٥/ ٤٦١

[2] تفسير أبي السعود ٥٨/٨

[3] تفسير أبي السعود ٨/ ٥٨

[4] التحرير والتنوير مج ٧ ٢٥ /٢٨٠

[5] ينظر الكشاف ٥٩٢/٥

[6] : المرجع السابق

[7] التحرير والتنوير مج١٠ ٢٨٤/٢٦

[8] : حاشية الشهاب ٥٧١/٨

وعطف جملة (فهم في أمر مريج) على قوله :(بل كذبوا بالحق لما جاءهم) للدلالة على الترتيب فالإضراب في (بل كذبوا) تابع للإضراب في (بل عجبوا) ، وهذا الإضراب ناتج عن شكهم في رسول الله ﷺ، فهذه المراتب (الشك والعجب والتكذيب) ترتب عليها اضطراب حالهم [1] .

١١٨ــوقال الله تعالى :﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥ ﴾ [الحديد:٥]

سياق الآية الحديث عن قدرة الله ﷻ .

ويراد بـــ (الأمور) جميع الشؤون التي تُرجع إليه ﷻ يقول الطاهر بن عاشور :" فالأمور جمع أمر ، واشتهر في اللغة أن الأمر اسم للشأن والحادث فيعم الأفعال والأقوال " [2] .

وقد عطفت جملة (وإلى الله ترجع الأمور) على قوله : (له ملك السماوات والأرض) من عطف الخاص على العام ، فالأمور تتعلق بما يجري في الدنيا وترجع لله يوم القيامة ،

وقوله :(له ملك السماوات والأرض) تقدم الجار والمجرور للحصر [3] ، فقد قصر ملكية السماوات والأرض له وحده ﷻ وهو قصر حقيقي إذ لا مالك لهما إلا هو .

وقول الله تعالى : (السماوات والأرض) طباق للدلالة على قدرته ﷻ فملك السماوات والأرض بالنسبة إلى كمال ملكه أقل من الذرة ، بل لا نسبة إلى كمال ملكه ، وإنما ذكرت هنا لأنها شيء مشاهد محسوس قد ترتقي بها العقول الضعيفة من عالم المحسوس إلى عالم المعقول . [4]

١١٩ــوقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١ ﴾ [الطَّلَاق:١]

---

1 ينظر التفسير الكبير ١٢٣/٢٨

2 : التحرير والتنوير مج ١١ ٢٧ / ٣٦٦

3 : ينظر : المرجع السابق

4 ينظر التفسير الكبير ١٨٢/٢٩

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول ﷺ وحكمها عام لأمته وقد وجه الخطاب إليه ﷺ لتشريفه وإظهار جلالة منصبه ، وتحقيق دخوله – صلى الله عليه وسلم في هذا الحكم [(١)] .

والأمر في هذه الآية يراد به شأن الرغبة في الرجعة ، وتقليب قلب الزوج عما هو عليه من حال البغض والكره إلى حال المحبة ، يقول القرطبي :" لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليها فيراجعها . وقال جميع المفسرين : أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة " [(٢)] .

وقد فصل جملة (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) للاستئناف البياني ، فقد بين في هذه الجملة العلة لما أجمله في قوله :(فطلقوهن لعدهن) ، يقول الطاهر بن عاشـــور : "هذه الجملة تعليل لجـــملة (فطلقوهن لعدهن) وما ألحق بها مما هو إيضاح لها وتفصيل لأحوالها ، ولذلك جاءت مفصولة عن الجمل التي من قبلها "[(٣)] ، فبين الجملتين شبه كمال اتصال .

١٢٠ــوقـــال الله تعـــالى : ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ﴾ [الطَّلاق:٤] .

وهذه الآية فيها حكم من أحكام الله ﷻ . والأمر في هذه الآية يراد به جميع شؤونه في الدنيا والآخرة ، ومنها شأن التيسير في الطلاق ، يقول الرازي : " أي : ييسر الله عليه في أمره ويوفقه للعمل الصالح ، وقال عطاء : يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة "[(٤)] ، ويقول البيضاوي :" يسهل عليه أمره ويوفقه للخـــير " [(٥)] .

١٢١ــوقال الله تعالى :﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ [النَّازعات:٥]

أقسم الله ﷻ في هذه الآية بالملائكة التي تترع الأرواح من الأجساد .

---

1 ينظر تفسير أبي السعود ٨/٢٦٠
2 الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٨
3 التحرير والتنوير مج ١١ ٢٨/٣٠٦
4 المرجع السابق
5 تفسير البيضاوي ٩/١٩٨

و(الأمر) هنا مفرد (الأمور) بمعنى الشؤون عامة ، يقول الزمخشري : "أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تترع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أن تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها و بالطوائف التي تسبح في مضيها ، أي : تسرع فتسبق إلى ما أمروا به ، فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم " [1] ويقول ابن عطية : " وأما (المدبرات) فلا أحفظ خلافاً أنها الملائكة ومعناها أنها تدبر الأمور التي يسخرها الله تعالى لها وصرفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات" [2] .

وقد عطفت هذه الآية على ما قبلها بالفاء ، لأنه صفة متفرعة عن الوصف الذي عطفت عليه وهو (فالسابقات سبقاً) فالملائكة تسبق إلى أمر الله عز وجل وهي أسبق إلى أمر الله وأقوم بأمر الله من بني آدم [3] .

والتعبير بلفظ (التدبير) مجاز عن التنفيذ ، فقد شبه تنفيذها ما نيط بها من أمور على أكمل وجه بفعل المدبر المتثبت ، يقول الطاهر بن عاشور : " فمعنى تدبيرها تنفيذ ما نيط بعدها على أكمل ما أذنت به ، فعبر عن ذلك بالتدبير للأمور لأنه يشبه فعل المدبر المتثبت " [4] ، والجامع إجراء الأعمال على ما يليق بها فهي استعارة تصريحية .

الأمر بمعنى القضاء :

١٢٢_وقال تعالى :﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨ ﴾ [آل عمران:١٢٨] .

سياق الآية الحديث عن غزوة أحد ، يقول السيوطي عن سبب نزول هذه الآية : " قوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) الآية ، روى أحمد ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد ، وشُجَّ في وجهه حتى سال الدم على وجهه ، فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ، فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية "[5] .

---

[1] الكشاف ٣٠٤/٦

[2] : المحرر الوجيز ١٩٤٤

[3] ينظر : المرجع السابق

[4] : التحرير والتنوير مج١٢ ٣٠ /٦٥

[5] لباب النقول في أسباب الترول للسيوطي ٥٧ ، وينظر : صحيح البخاري في كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم (٦٨٨

والأمر في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأمور) ، ويراد به شأن الحرب ومافيها من توبة ونصرة أو هزيمة وهلاك ، يقول الزمخشري : " والمعنى : أن الله مالك أمرهم فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء " [1] ، أو يكون الأمر مفرد (الأوامر) ، يقول الرازي : " قوله (ليس لك من الأمر شيء) ففيه قولان ، الأول : أن معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شيء ..... والقول الثاني : أن المراد هو الأمر الذي يضاد النهي ، والمعنى ليس لك من أمر خلقي شيء إلا إذا كان على وفــق أمري "[2] ، إلا أن القول الأول هو الأرجح ـــ والله أعلم ـــ ، فالأمر هنا مفرد (الأمور)، لأن جميع الشؤون بيد الله وحده وليس للرسول ﷺ منها شيء ، أما الأوامر التي للرسول ﷺ منها شيء فهي كما ذكر الشيخ العثيمين حين قال : " وقوله (من الأمر) يعني الأمر الكوني ، أمّا الأمر الشرعي فإن الرسول ﷺ له منه شيء ، لقوله تعالى : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[النساء:٨٠] أمَّا الأمر الكوني فلا " [3] .

١٢٣ــقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء:٤٧] .

الخطاب في هذه الآية موجه لليهود والنصارى ، وفيها وعيد شديد وتهديد لتركهم الإيمان بما جــاء به الرسول ﷺ.[4] والأمر في قوله تعالى : (وكان أمر الله مفعولاً) بمعنى القضاء ، وما فيه مـــن وعيـــد سيحل بهؤلاء إن لم يؤمنوا ، يقول البيضاوي :" (وكان أمر الله مفعولا) بإيقاع شيء أو وعيده أو مـــا حكم به وقضاه "[5] .

أو يكون مفرد (الأوامر) ، ويكون الأمر ضد النهي ، إلا أن (الأمر) مفرد (الأمور) بمعنى القضاء هو الأقرب والأظهر ، يقول ابن عطية : " و (أمر الله) في هذا الموضع واحد الأمور دال على جنـــسها لا واحد الأوامر ، فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعنة هنا أو ما اقتضاه كل موضع يختص به " [6]

---

[1] : الكشاف ١ / ٦٢٤

[2] التفسير الكبير ٨ / ١٩١

[3] تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٤٤

[4] ينظر المحرر الوجيز ٤٤٣

[5] تفسير البيضاوي ٣/ ٢٨٤

[6] المحرر الوجيز ٤٤٣

. ويقول الآلوسي : " ويحتمل أن يراد به الأمور ولعله الأظهر ، أي كان وعيده أو ما حكم به وقضاه "(١) .

وقد عطف جملة (وكان أمر الله مفعولاً) على ما قبلها لأنه " لا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا " (٢) ، فلا راد لقضائه ولا ناقض لحكمة سبحانه . وقد أضيف الأمر هنا إلى الله ، ولعل في ذلك تعظيماً للوعيد الشديد وتخويفاً لليهود . وقد بدأت هذه الآية بأسلوب النداء (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) ، واستعملت أداة النداء (يا) وهي أداة تستخدم لنداء البعيد ، أو من هو بمترلته ، فاليهود لم يكونوا بعيدين عن الرسولﷺ لكن نزلوا مترلة البعيد لغفلتهم ، يقول الرازي :" بعد أن حكى عن اليهود أنواع مكرهم وإيذائهم أمرهم بالإيمان وقرن بهذا الأمر الوعيد الشديد على الترك " (٣) ، يقول الدكتور أحمد بدوي : " لم يستخدم القرآن من أدوات النداء سوى (يا) ، ويكون النداء لطلب إقبال المدعو ليصغو إلى أمر ذي بال ، ولذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي " (٤) ، ولا شك أنه سبحانه أمرهم بشيء عظيم لذلك كان التوعد والتهديد شديداً .

وقول الله تعالى : (نطمس وجوهاً) يحتمل أن يكون على الحقيقة ، ويكون المعنى ، محو آثار وجوههم بما فيها من أنف وعين وفم وحاجب وجعلها كالأقفاء ، جاء في لسان العرب : " طَمَسَ الطريق وطَسَمَ يطمُسُ طُموساً : درس وامّحى أثره " [5] ، وفي هذه عقوبة من الله لما فيه من التشويه والمثلة والفضيحة (٦) ، أو يكون المراد بالطمس هنا المجاز لا الحقيقة فيكون فيها استعارة ، فإذا كان المراد بالطمس زوال الهدى والبقاء في الضلال ، فإنه شبه عدم قبول الإيمان والارتقاء به وزوال الهدى من قلوبهم بالرجوع إلى الوراء ، يقول البغوي :" وقال مجاهد أراد بقوله (نطمس وجوهاً) أي : نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب ، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة" [7] ، وذلك أن الإنسان يولد في عالم الحس وينتقل تدريجياً إلى عالم الروح بالإيمان بالله

---

[1] روح المعاني مج٤ ٥/ ٧٦

[2] الكشاف ٢/ ٨٩

[3] التفسير الكبير ١٠/ ٩٧

[4] من بلاغة القرآن ١٣٠ .

[5] : لسان العرب ٨/ ١٦٢ (طسم) .

[6] ينظر تفسير البغوي ١/ ٤٣٨ والكشاف ٢/ ٨٩ والتفسير الكبير ١٠/ ٩٧

[7] : تفسير البغوي ١/ ٤٣٩

وكتبه ورسله ، فإذا لم ينتقل الإنسان إلى هذه المرحلة فإنه سيعود إلى الوراء إلى حيث ولد في عالم الحس (١) . والاستعارة هنا تصريحية .

أو يكون في (الطمس) " كناية عن إخراجهم من ديارهم إلى أذرعات أرض الشام " ٢ .

وفي قوله (أو نلعنهم) التفات إلى الغيبة (٣) . وذلك لأن الضمير عائد على أهل الكتاب ، فالخطاب موجه إليهم في قوله : (يا أيها الذين أوتوا الكتاب)، ولعل في ذلك إشارة إلى غباوة اليهود وبلادهم فترلهم مترلة البعيد ــ والله أعلم ــ ، أو لا يكون فيها التفات إذا كان الوعيد منتظراً و لم يتحقق ، وأنه لابد أن يتحقق قبل قيام الساعة (٤) .

١٢٤ــ وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [يونس:٣] .

جاءت هذه الآية لتقرير قدرة الله وتفرده بالألوهية في سياق الرد على المشركين الذين أنكروا ما جاء به النبي ﷺ وادعوا أنه سحر .

و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ، ويراد به القضاء ، يقول البغوي :" (يدبر الأمر) يقضيه وحده " (٥) . ويقول الزمخشري " لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره " (٦) .

واستعمال المضارع (يدبر) للدلالة على الاستمرار التجددي (٧) ، فتدبيره لشؤون الخلائق مستمر إلى قيام الساعة ، وفي ذلك تأكيد على عظمته ﷻ وقد جاءت جملة (يدبر الأمر) لزيادة الدلالة على عظمة شأنه وملكه لخلق السماوات والأرض في قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ) (٨) ولذلك فصلها عنها لأنها مؤكدة لمعنى الأولى ومقررة

---

[1] ينظر التفسير الكبير ١٠/ ٩٨ وحاشية الشهاب ٣/ ٢٨٣ والتحرير والتنوير مج٢ ٥/ ٧٨

[2] :حاشية الشهاب ٣ / ٢٨٤

[3] ينظر الكشاف ٢/ ٨٩ وحاشية الشهاب ٣/ ٢٨٤

[4] ينظر الكشاف ٢/ ٨٩

[5] تفسير البغوي ٢/ ٣٤٣

[6] الكشاف ٣/ ١١٤

[7] ينظر تفسير أبي السعود ٤/ ١١٨

[8] ينظر الكشاف ٣/ ١١٤

لها ، وقد تكون " لبيان حكمة استوائه على العرش وتقرير لعظمته " (١) . وفي قوله :(ما من شفيع إلا من بعد إذنه) أسلوب قصر عن طريق النفي والاستثناء ، قصر صفة الشفاعة على من أذن له — وهو محمدﷺ فهو قصر صفة على موصوف فيه دليل على العزة والكبرياء (٢) " ، وفي ذلك إثبات الشفاعة لمحمدﷺونفيها عن آلهتهم " (٣) ، فالمشركون يدركون أن هناك شفاعة لكنهم ينسبونها إلى غير أهلها .

وبالتأمل في هذه الآية يلحظ أنها بدأت بأسلوب خبري مؤكد (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) ؛ وذلك لأنها جاءت في سياق الرد على المشركين الذين يزعمون أن أصنامهم ستشفع لهم يوم القيـــامة " .

وقوله : (السماوات والأرض) طباق ، وقد خص السماوات والأرض بالذكر دون غيرهما من المخلوقات لإظهار قدرته وعظمته ، ولأن قضاءه يجري فيهما بقدرته وعظمته سبحانه .

١٢٥ــوقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١] .

سياق الآية الرد على المشركين والتوبيخ وإثبات الألوهية لله وحده لا شريك له ,وقد جاءت جملة (يدبر الأمر) نظير الآية السابقة الأمر مفرد أمور بمعنى القضاء ، يقول البغوي :"(ومن يدبر الأمر) أي : يقضي الأمر " (٤) .

وفي هذه الجملة إطناب بذكر العام بعد الخاص ، فقد ذكر سبحانه وتعالى من عجائب قدرته أنه خلق الخلق ورزقهم من السماء والأرض ، وجعل لهم السمع والأبصار ، وحفظهم من الآفات ، وأخرج الحي من الميت والميت من الحي ، وكل هذه الحالات خاصة ، ثم بين قدرته أنه يدبر جميع هذه الأحوال ، وهي أحوال لا نهاية لها ، يقول الزمخشري : "جاء بالعموم بعد الخصوص "(٥) ، ويقول الرازي : " فلما ذكر بعض تلك التفاصيل لا جرم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي "(٦) .

---

[1] حاشية الشهاب ٥/ ٨

[2] ينظر : أسلوب القصر ٧٠

[3] التحرير والتنوير مج٥ ١١/ ٨٨

[4] تفسير البغوي ٢/ ٣٥٢

[5] الكشاف ٢/ ١٣٥

[6] التفسير الكبير ١٧/ ٢٧

وبالتأمل في نظم هذه الآية يلحظ فيها استعمال الأفعال المضارعة (يرزقكم ، يملك ، يخرج ، يدبر ، فسيقولون ، تتقون) ؛ لأن المضارع يدل على الاستمرار والديمومة فهي أفعال متجددة يقضيها الله ﷻ ويقدرها إلى قيام الساعة .

وقوله :(أمن يملك السمع والأبصار) جاء بالسمع مفرداً وبالأبصار جمعاً ، يقول السيوطي : " لأن السمع غلب عليه المصدرية فأفرد بخلاف البصر ، فإنه اشتهر في الجارحة ولأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة ، ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة فأشار في كل منهما إلى متعلقه "[1] .

وقد جاء الطباق في قوله : (السماء والأرض) و: (السمع والأبصار) والمقابلة في قوله :(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) وذلك للتعجب من حالهم وعظمة قضائه، فمن كانت هذه صفاته وقدرته فإن حقه – سبحانه – إفراده بالربوبية والألوهية .

١٢٦_وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف:٢١] .

هذه الآية تتحدث عن قصة يوسف عليه السلام مع عزيز مصر وامرأته زليخا .

وقد جاء (الأمر) في قوله : (والله غالب على أمره) مفرد (الأمور) ، والمراد بالأمر هنا القضاء ، فهو سبحانه "لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي "[2] . فإذا كان الضمير عائداً على الله ﷻ كان المراد : أن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد ، يقول الطاهر بن عاشور : " و (أمر الله) هو ما قدره وأراده فمن سعى إلى عمل يخالف ما أراد الله فحاله كحال المنازع على أن يحقق الأمر الذي أراده ويمنع حصول مراد الله ، ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى ، فشأن الله تعالى كحال الغالب لمنازعه "[3] .

وإذا كان الضمير عائداً على يوسف عليه السلام كان المراد به أن الله سبحانه غالب على أمر يوسف عليه السلام، يدبره ولا يكله إلى غيره ، وفي هذه الجملة إشارة إلى أن الأمر كله بيد الله ﷻ وحده لا شريك له [4] .

---

[1] الإتقان للسيوطي ٤٦١

[2] الكشاف ٢٦٦/٣

[3] التحرير والتنوير مجـ ٢٤٧/١٢

[4] ينظر : تفسير البغوي ٤١٧/٢ ، والكشاف ٢٦٦/٣ ، والتفسير الكبير ٨٨/١٨

وقد عطف قوله :(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) على ما قبلها ، لأن معنى (والله غالب على أمره) أنه متمم ما قدره ، لذلك عقبه بهذا الاستدراك على ما يقتضيه هذا الحكم [(١)] .

وفي قوله (أكرمي مثواه) مجاز لغوي إما أن يكون مجازاً مرسلاً علاقته المحلية ، حيث أطلق المحل (المثوى) وأراد الحال به (يوسف عليه السلام) ؛ لأن المثوى لا يكرم بل الحال فيه هو الذي يكرم ، يقول الطاهر بن عاشور : "والمثوى : حقيقته المحل الذي يثوي المرء ، أي يرجع إليه "[(٢)] .

وقد يكون المجاز استعارة كما ذكر ابن عطية ، حيث شبه المثوى بالشخص الذي يكرم ، فالاستعارة مكنية ، يقول ابن عطية :" والمثوى : مكان الإقامة ، والإكرام إنما هو لذي المثوى ، ففي الكلام استعارة "[(٣)] .

١٢٧ــوقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ [الرعد:٢] .

هذه الآية جاءت بعد توبيخ الكفرة بقوله :(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) ، والمقصود بها ذكر الأدلة الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وأنه لا معبود بحق إلا هو سبحانه وتعالى.

وجاء (الأمر) مفرد (الأمور) بمعنى القضاء ، يقول البغوي : " (يدبر الأمر) : يقضيه وحده " [(٤)]، ويقول الآلوسي :" والمراد أن الله سبحانه يقضي ويقدر ويتصرف في ذلك على أكمل الوجوه و إلا فالتدبير بالمعنى اللغوي لاقتضائه التفكر في دبر الأمور " [(٥)] .

والمقصود أنه لما ذكر سبحانه وتعالى دلائل قدرته من خلق السماوات والأرض وما بينهما ذكر سبحانه وتعالى أنه قادر على تدبير شؤون جميع هذه المخلوقات وأن هذا لا يكون إلا له سبحانه وتعالى لأن طبيعة المخلوقات إذا انشغلت بشأن من الشؤون تركت الشأن الآخر ، فدل هذا على ربوبيته وألوهيته [(٦)] .

وفصل جملة (يدبر الأمر) عما قبلها لأنها جاءت مؤكدة لها ، فقد ذكر سبحانه وتعالى دلائل قدرته من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش ، وتسخير الشمس والقمر ، ثم أكد على عظيم قدرته بتدبيره

---

1 ينظر التحرير والتنوير مج ٥ ٢٤٧/١٢

2 :المرجع السابق

3 المحرر الوجيز ٩٨٦

4 تفسير البغوي ٦/٣ ، وينظر : الوجوه والنظائر ٤٢ ، ونزهة الأعين النواظر ٦٠

5 روح المعاني مج٨ ١٢٨/١٣

6 ينظر التفسير الكبير ١٧٨/١٨

لشؤونها ، فصار بين الجملتين كمال اتصال ، ثم فصل هذه الجملة عما بعدها ، وهي (يفصل الآيات) لأنه لما ذكر ﷻ دلائل قدرته في الموجودات الباقية الدائمة كالأفلاك والشمس والقمر والكواكب ذكر هنا الموجودات الحادثة المتغيرة ، وهي الموت بعد الحياء ، والفقر بعد الغنى ...[(١)] . وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن ترك العطف بين هاتين الجملتين لتكون على أسلوب التعـــداد والتوفيـــق وذلـــك اهتمـــام باستقـــلالها [(٢)] .

١٢٨ــوقال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم:٢١] .

هذه الآية " تدل على قدرة الله ﷻ وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير ، وإنما تأثيرها بقدر الله "[(٣)]، والأمر هنا مفرد (الأمور) بمعنى القضاء ، يقول بن عطية : " والأمر هنا واحد الأمور وليس بمصدر : أمر يأمر " (٤)، والتعبير بلفظ المفعول (مقضيا) ومسبوقاً بـــ(كان) دلالة على ذلك مقدراً في الأزل وأنه واقع لا محالة ـــ والله أعلم ـــ ، يقول البيضاوي : " أي تعلق به قضاء الله في الأزل أو قدر وسطر في اللوح أو كان أمراً حقيقياً بأن يقتضي ويفعل لكونه آية ورحمة " [(٤)] .

وفي قوله :(ولنجعله آية للناس ورحمة منا) إيجاز حذف دل عليه المقام ، تقديره : ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك [(٥)] ، والسياق يقتضي هذا الحذف ، لأن مريم ـــ عليها السلام ـــ كانت في وضع نفسي صعب لا يتسع لبسط الكلام والإطالة فيه .

---

[1] ينظر المرجع السابق

[2] :ينظر : التحرير والتنوير مج٦ ١٣/٨١

٤ : تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

[3] المحرر الوجيز ١٢٢٣

[4] تفسير البيضاوي ٦/ ٢٦٠

[5] ينظر: أضواء البيان ٦٣٣ .

وعطف (ورحمة منا) على (آية) لأن الله ﷻ خلق عيسى من غير أب ليكون آية دالة على قدرته ﷻ ورحمة لمن اتبعه " وتنكير (رحمة) للتعظيم ، أي رحمـــة عظيمة كائنة لمن تبعه " [1] ، وقد يكون المراد من تنكير (رحمة) التعميم ، كما ذكر الشيخ السعدي ، حيث ذكر أن هذه رحمة بعيسى حينما خصه بالوحي وبوالدته لما حصل لها من الفخر والثناء الحسن والمنافع العظيمة ، ورحمة بالناس حينما أنعم عليهم أن بعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم . [2]

والتعبير بالجملة الاسمية (وهو علي هين) دلالة على ثبوت هذه الصفة ولزومها لله ، وهذا دلالة على قدرته ﷻ أما الجملة الفعلية (ولنجعله آية للناس ورحمة) فدلالة على التجدد، فالله سبحانه يرسل الآيات للناس لعلهم يؤمنون [3] .

١٢٩ــوقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم:٣٥] .

بعد أن ذكر ﷻ قدرته على خلق عيسى عليه السلام من غير أب ، وذكر صفاته عليه السلام وأنه كلمة الحق ألقاها على مريم ، أبطل في هذه الآية قول النصارى بأن عيسى ابن الله ، فليس له ﷻ أن يتخذ من عباده ولداً .

و (الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى القضاء ، يقول ابن عطية : " وقوله (أمراً) أي : واحداً من الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر ، فمعنى قضى أوجد وأخرج من العدم " [4] ، ويقول أبـــو السعـــود :" وقوله تعالى : (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمراً من الأمور أن يعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد " [5] .

---

[1] ينظر : تفسير أبي السعود ٥/ ٣٦١

[2] ينظر : تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

[3] ينظر: روح المعاني مج٩ ١٦/ ١١٥

[4] المحرر الوجيز ١٢٢٨

[5] تفسير أبي السعود ٥/ ٢٦٥

وقوله :(فإنما يقول له كن فيكون) أسلوب قصر ، حيث قصر أمره على الكينونة وهو قصر موصوف على صفة وهناك احتمال أن يكون من الصفة على الموصوف إذا نُظر إلى أنه من قصر سرعة التكوين على الله ﷻ.

١٣٠ــوقال الله تعالى : ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ ﴾ [الرُّوم:٤] .

في هذه الآية بشر الله عباده بأن الروم سيغلبون ، وتكون لهم الدولة في الحرب ، ذلك لأن المشركين سُروا عندما هزمت الروم وانتصر الفرس ، وقالوا : أنتم والنصارى أهل كتاب ، ونحن وفارس أميون ، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم [1] .

(والأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى القضاء والقدر ، والمعنى :" أن ما في العالم غلبة وغيرها إنما هو منه وبإرادته وقدرته "[2] ، يقول البغوي : " فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره " [3]، وقد حذف المضاف إليه في هذه الجملة ، وتقديره : من قبل الأشياء ومن بعدها ، وهذا من الإيجاز [4] ، والحذف هنا اعتماداً على فطنة المخاطب لفهم المحذوف لدلالة المذكور عليه .

وفي تقديم الجار والمجرور (لله الأمر) قصر ، حيث قصر تقدير الأمور والتصرف فيها على الله وحده لا شريك له ، فهو قصر موصوف على صفة ، والغرض منه إبطال تطاول المشركين الذين هجهم غلب الفرس لأنهم عبدة أصنام مثلهم [5] .

وقد عطفت جملة (ويومئذ يفرح المؤمنون) على جملة (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) لاتصالهما في المعنى ، فالمؤمنون يفرحون بنصر الله إياهم على الذين كانوا غلبوهم من قبل ، وهذا التعاقب في النصر إنما هو لحكمة من حكم الله – سبحانه [6] .

---

1 ينظر المحرر الوجيز ١٤٧٠ ، وتفسير أبي السعود ٧/ ٤٩

2 المحرر الوجيز ١٤٧١ وينظر : عجائب القرآن ٤١ للإمام فخر الدين الرازي أت: عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي ١٤٢٧هـ المكتبة العصرية - بيروت .

3 تفسير البغوي ٣/ ٤٧٧

4 ينظر ، الطراز ٢/ ٥٨

5 ينظر : التحرير والتنوير مج٨ ٢١/ ٤٦

6 ينظر : المرجع السابق مج٨ ٢١/ ٤٧

وقيل : إن قوله (ويومئذ) عطف على قوله (من قبل ومن بعد) وكأنه بذلك حصر الأزمنة الثلاثة الماضي والمستقبل والحاضر [1] ، وفيه دلالة على أنه لا يعجزه ﷻ من شاء أن ينصر في أي وقت من الأوقات .

١٣١ــوقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٧]

الحديث في هذه الآية عن قصة زينب بنت جحش مع زيد بن حارثة ، وما كان من أمرهما .

وقد جاء الأمر في قوله :(وكان أمر الله مفعولاً) واحد (الأمور) ويراد به (القضاء) ، يقول البغوي " أي : كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً ، وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ"[2]. ويقول الشهاب : " وقوله (أمره الذي يريده) الأمر واحد الأمور ، أي مايريده من الأمور يوجد لا محالة " [3]

وقد ذكر ابن عطية أن هذه المعنى فيه بُعد ، وأن (الأمر) هنا يراد به الحقيقة ، يقول : " وقول الله تعالى : (وكان أمر الله مفعولا) فيه حذف مضاف تقديره (وكان حكم أمر الله) أو (مضمن أمر الله) ، وإلا فالأمر قديم لا يوصف بأنه مفعول ، ويحتمل على بُعد – أن يكون (الأمر) واحد (الأمور) التي شأنها أن تفعل "[4] .

وسواء كان المراد بالأمر الحقيقة أو المجاز فإن المقصود منه (تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش) وقد تحقق [5] . وجملة (وكان أمر الله مفعولاً) تذييل لجملة (زوجناكها) مقرراً تزويج زينب رضي الله عنها [6] .

---

[1] ينظر روح المعاني مج٨ ٢١/ ٣٢

[2] : تفسير البغوي ٣/ ٥٣٣ وينظر الكشاف ٥/ ٧١

[3] : حاشية الشهاب ٧ / ٤٩٢

[4] : المحرر الوجيز ١٥١٤

[5] : ينظر: التحرير والتنوير مج ٩ ١٢ /٤٠

[6] : ينظر: روح المعاني مج١٢ ٣٨/٢٢

وفي قوله :(تخفي) و(مبديه) طباق ، لأن سياق الآية عتاب للرسول ﷺ فقد كان يعلم أنه سيتزوج زينب بعد طلاقها من زيد ، ومع ذلك قال لزيد : أمسك عليك زوجك ، مخفياً في نفسه ما أبداه الله له .

١٣٢ـوقال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ﴾ [الأحزاب:٣٨] .

بعد أن بين الله تعالى أن أمره كان واقعاً لا محالة ، ذكر في هذه الآية أن ما كان من قصة زينب وزيد والرسولﷺ إنما هو من السنن الثابتة في الأنبياء أن ينالوا ما أحل الله لهم ، أي : سن لمحمد ﷺ التوسعة عليه في النكاح هي سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان [١] ، عليهما السلام .

والأمر في قوله :(وكان أمر الله قدرا ً مقدوراً) كالأمر في قوله :(وكان أمر الله مفعولاً) ، فالأمر يراد به القضاء ،يقول البغوي : " (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) قضاء مقضياً كائناً ماضياً "[٢] . وقد ذكر الإمام الرازي فرقاً بين الأمر المفعول والأمر المقدور ، فقد جاء الأمر المفعول بعد قوله (زوجناكها)؛ ذلك لأن تزويج زينب للرسول ﷺ كان مقصوداً ، أما الأمر المقدور جاء حكماً تبعياً غير مقصود [٣] ؛ لأن السياق الحديث عن سنة الله لأنبيائه للرد على المنافقين الذين قالوا : تزوج الرسول ﷺ امرأة ابنه .

١٣٣ـقـــال الله تعـــالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ ﴾ [غافر:١٥] .

سياق الآية ذكر صفات الجلال والعظمة للواحد القهار ، وقد جاء الأمر في قوله(من أمره) بمعنى القضاء [٤] ، يقول البغوي :" (من أمره) قال ابن عباس : من قضائه ، وقيل : من قوله ، وقال مقاتل : بأمره " [٥] وقد يكون الأمر مفرد (الأوامر) يقول بن عاشور : "و(من) ابتدائية في (من أمره) ، أي بأمره ، فالأمر على ظاهره ، ويجوز أن تكون (من) تبعيضية ظرفاً مستقراً صفة الروح ، أي بعض شؤونه التي لا

---

[1] : ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٦٥

[2] : تفسير البغوي ٣ /٥٣٣

[3]: فرق الإمام الرازي بين القضاء والقدر ، فذكر أن القضاء مقصود في الأصل والقدر يكون تابعاً له ، وضرب على ذلك مثالاً : أن من أراد الـــذهاب إلى مدينة فتزل بطريق تلك المدينة بخان أو قرية يصح منه في العرف أن يقول في جواب من يقول له : لم جئت إلى هذه القرية ؟ إني ما جئت إلى هـــذه وإنمـــا قصدت المدينة الفلانية وهذه وقعت في طريقي – ينظر التفسير الكبير ٢٥/١٨٤

[4] ينظر : تفسير البغوي ٤/٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٩٧وفتح القدير ٤/٤٨٥

[5] : تفسير البغوي ٤/ ٩٤

يطلع عليها غيره إلا من ارتضى ، فيكون الأمر بمعنى الشأن ، أي الشؤون العجيبة ، وقيل (من) بيانية وأن الأمر هو الروح وهذا بعيد " [1] .

يقول ابن عطية : " وقول الله تعالى : (من أمره) إن جعلت جنساً للأمور ، و(من) للتبعيض ، أو لابتداء الغاية ، وإن جعلنا الأمر من معنى الكلام فــ (من) إما لابتداء الغاية ، وإما بمعنى الباء ، ولا تكون للتبعيض بتة "(٢) .

وقوله :(يلقي الروح) استعارة ، حيث شبه الوحي بالروح ، فمن لم ينتفع بهذا الوحي ونوره ، فهو كالميت لا روح له . فالاستعارة تصريحية (٣) .

وقد يكون المجاز مرسلاً حيث ذكر المسبب (الروح) وأراد السبب (الوحي) فحياة الروح تتوقف على الإيمان بالوحي ، فقد ذكر الزرعي أن الحياة حياتان ، حياة البدن بالروح ، وحياة الروح والقلب بالنور ، ولهذا سمى الله الوحي روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه (٤) .

١٣٤ــوقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطَّلاق:٣] .

الحديث في هذه الآية عن حكم من أحكام الطلاق .

والأمر في هذه الآية جاء بمعنى القضاء ، يقول البغوي : "أي منفذ أمره ممض في خلقه قضاءه"(٥) ، وفي هذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه (٦) ، والتعبير بالأفعال المضارعة (يرزقه) ، (يحتسب) ، (يتوكل) للدلالة على الديمومة ، أما قوله :(إن الله بالغ أمره) جملة اسمية تفيد الاستمرارية ، ولعل التعبير بما يدل على الاستمرار يفيد أن كل شيء عنده ﷻ بمقدار " والطلاق كذلك فيجب احصاؤه وضبطه" (٧) — والله أعلم .

---

[1] : التحرير والتنوير مج ٩ ٢٤ / ١٠٧

[2] المحرر الوجيز ١٦٣١

[3] ينظر : الأمثال في القرآن ١٩/١٠ لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ت:إبراهيم محمد ط١٤٠٦/١ هــ ، مكتبة الصحابة ، طنطا .

[4] ينظر : المرجع السابق

[5] تفسير البغوي ٣٥٨/٤

[6] الكشاف ٤٥/٦

[7] حاشية الشهاب ١٩٦/٩

١٣٥ـوقال الله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ ﴾ [القدر:٤]

هذه الآية ذكرت فضيلة من فضائل ليلة القدر ، وهي نزول الملائكة وجبريل إلى الأرض .

و (الأمر) هنا مفرد (أمور) بمعنى (القضاء) – والله أعلم – ، يقول الزمخشري :" أي تتزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل "[١] ، ويقول الرازي :" وعم لفظ الأمر ليعم خير الدنيا والآخرة بياناً منهم أنهم يتزلون بما هو صلاح المكلف في دينه ودنياه " [٢] ، " وتنوين (أمر) للتعظيم ، أي بأنواع الثواب على الأعمال في تلك الليلة " [٣] ، ولأن ليلة القدر ليلة عظيمة لذلك ناسب التعبير عنها بلفظ الأمر ، والله سبحانه أعلم .

وقد فصل هذه الآية عما قبلها لأنها جاءت بياناً لمناط فضلها على تلك المدة المديدة [٤] ، فبين الجملتين كمال اتصال ، وفي الآية إطناب بذكر الخاص بعد العام في قوله :(تتزل الملائكة والروح فيها) فالروح وهو جبريل عليه السلام خصه الله بالذكر لشرفه وفضله .[٥]

الأمر بمعنى القدرة :

١٣٦ـقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

الحديث هنا عن وحدانية الله والامتنان بخلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار ، وذلك في سياق الرد على المشركين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرقم الحياة الدنيا .

---

[1] الكشاف ٦/٤١٠

[2] التفسير الكبير ٣٢/٣٥

[3] التحرير والتنوير مج١٢ ٣٠ /٤٦٤

[4] ينظر : تفسير أبي السعود ٩/١٨٣

[5] ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٧٥

وقد جاء الأمر في هذه الآية مرتين ، كلاهما مفرد (الأمور) ويـــراد بـــه القـــدرة يقـــول البيضـــاوي :" (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بقضائه وتصريفه " [1].

وفي (الأمر) هنا استعارة مكنية ، حيث شبه هذه الأشياء بشيء يصرفه الأمـــر والمـــشيئة فكأنهـــا مأمورات ، والأمر عادة يكون للعقلاء ، يقول الزمخشري :" سمي ذلك أمراً علـــى التـــشبيه ، كـــأنهن مأمورات بذلك " [2] ، ويقول الشهاب :" وفي الكشاف بمشيئته وتصريفه وسماه أمراً على التشبيه ، أي على سبيل الاستعارة إذ جعل هذه الأشياء لكونها تابعة لتدبيره وتصريفه كما يشاء ،كأنهن مـــأمورات منقادة لأمره " [3]، والتعبير بلفظ (الأمر) دون (القدرة) جاء لنكتة بلاغية مرتبطة بالسياق ، ذكرهـــا العلوي : " وإنما قال (بأمره) ولم يقل : بقدرته مع تحقق الحاجة إلى (القدرة) أكثر من الحاجـــة إلى (الأمر) لأنه لما ذكر التسخير وفيه معنى الطاعة والانقياد عقبه بذكر الأمر ، لما كانت الطاعة من لوازم الأمر وإحكامه " (٤) . وقد يكون الأمر على حقيقيته ويكون المعنى لأن جميع هذه المخلوقات منقـــادة لأوامره له أن يأمرهم بما أراد (٥) .

وقد بدأت هذه الآية بجملة خبرية مؤكدة بـــ (إن) وذلك لأن سياق الآية الحديث عن المشركـــين ، وهم يثبتون الربوبية لله ، ولكن لشدة إعراضهم عن عبادته ، وتشريك غيره في الألوهية نزل هؤلاء منزلة المترددين الشاكين (٦) .

وفي قوله :(والشمس والقمر والنجوم) إطناب بذكر العام بعد الخاص ، فالشمس والقمر من النجـــوم ، وأفردها بالذكر لما فيها من مزيد الإشـــراق والنـــور ، و بسيرهما في المنازل تعرف الأوقات (٧) .

وقدم الشمس على القمر لأنها أسنى منه وأسمى مكاناً بناء على ما قيل من أن الـــشمس في الـــسماء الرابعة والقمر في السماء الأولى (٨) .

وفي الآية طباق بين قوله :(السماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار) وفيه إظهار لقدرة الله ﷻ والرد على المشركين الذين أشركوا معه في عبادته إلهاً آخر .

[1] : تفسير البيضاوي ٤ / ٢٩٢
[2] : الكشاف ٢ / ٤٤٩
[3] : حاشية الشهاب ٤ / ٢٩٢
[4] الطراز ٨٠/١
[5] ينظر : حاشية الشهاب ٢٩٢/٤ وروح المعاني مج٥ ٢٠٤/٨
[6] ينظر : التحرير والتنوير مج٤ ١٦١/٨
[7] ينظر روح المعاني مج٥ ٢٠٥/٨
[8] ينظر المرجع السابق

١٣٧ــوقال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود:٧٣] .

هذه الآية جاءت في سياق الإخبار عن (سارة) زوج إبراهيم عليه السلام عندما سمعت بشارة الملائكة لإبراهيم بإسحاق ــ عليهما السلام ــ ، وكانت عجوزاً عقيماً ، وإبراهيم عليه السلام شيخاً كبيراً مما أثار تعجبها فقالت : (إن هذا لشيء عجيب) .

و (الأمر) هنا مفرد (الأمور) يراد به القدرة ، يقول أبو السعود : " (قالوا أتعجبين من أمر الله) أي : قدرته وحكمته أو تكوينه أو شأنه أنكروا عليها تعجبها من ذلك لأنها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي " [١] ، فالله سبحانه وتعالى مكن سارة من الحمل والولادة وهي عجوز إظهاراً لقدرته .

وقد فصل بين جملة: (قالوا أتعجبين من أمر الله) وما قبلها لشبه كمال الاتصال ، فقد جاءت جواباً لسؤال مقدر [٢] ، فكأن أحداً يسأل : ماذا قالت الملائكة لها ؟ فكان الجواب .

وقد ختم هذه الآية بقوله :(إنه حميد مجيد) جملة مؤكدة اشتملت على صفتين من صفات الله على صيغ تناهي الكمال ، فهو ــ سبحانه ــ فاعل ما يستوجب الحمد ، كثير الإحسان إلى عبده ، وفي هذا بيان أن ما قدره الله من إنجاب سارة للولد على كبر إنما هو لحكمة يعلمها ، ويستوجب الحمد والثناء عليها .

١٣٨ــوقـــال الله تعـــالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد:٣١] .

في هذه الآية إخبار عن المشركين الذين لم يؤمنوا حتى وإن نزل عليهم ما طلبوا [٣] .

و (الأمـــــر) مفرد (الأمور) وهو بمعنى (القدرة) ، يقول البغوي : " (بل لله الأمر جميعاً) أي : في هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل " [٤] ، ويقول الزمخشري : " (بل لله الأمر جميعاً) على

---

[1] تفسير أبي السعود٤/٢٢٦
[2] ينظر : فتح القدير ٢/٥١١
[3] ينظر : تفسير البغوي ٣/٢٠
[4] تفسير البغوي ٣/٢٠ وينظر : الكشاف ٣/٣٥٢ والتحرير والتنوير مج٦ ١٣/١٤٤

معنين : أحدهما : بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها " [1] ، وقد عبر عن (القدرة) بالأمر لأن قدرته ﷻ تظهر بأمره ، وهي جزء منه ، فإنزال قرآن تسير به الجبال وتقطع به الأرض أو يكلم به الموتى كل هذه جوانب من قدرته سبحانه ولا تظهر هذه الجوانب إلا بأمره سبحانه.

وفي هذه الآية إيجاز حذف ، فقد حذف جواب (لو) اختصاراً ولعلم المخاطب به ، وتقديره (لكان هذا القرآن) [2] .

ومن خلال التأمل في هذه الآية يلحظ غلبة الأفعال المضارعة عليها (يزال ، تصيبهم ، تحل ، يأتي ، يخلف) والمضارع يدل على الاستمرارية والتجدد ، وفي هذا تهديد ووعيد للمشركين ، وبناء الأفعال (سيرت ، قطعت ، كلم) لما لم يسم فاعله ؛ لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب ولا ينصرف الذهن إلا إليه ﷻ وفيه دلالة على قدرته ﷻ .

وقوله :(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) مجاز ؛ لأن " القرع هو ضرب شيء على شيء " [3] ؛ ولأن القرع يظهر صوتاً مفاجئاً ، فقد شبه ما يحل بهم بغتة ومفاجأة بالقرع بجامع الانزعاج ، فالاستعارة تصريحية ، يقول الطاهر بن عاشور : " والمراد هنا الحادثة المفجعة بقرينة إسناد الإصابة إليها ، وهي مثل الغارة والكارثة تحل فيهم فتصيبهم عذاباً ، أو تقرع بالقرب منهم فيصيبهم الخوف من تجاوزها إليهم فليس المراد بالقارعة الغزو والقتال لأنه لم يتعارف إطلاق اسم القارعة على موقع القتال " [4] .

١٣٩ـ وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [النحل:١٢] ..

هذه الآية إظهار لعظيم صنع القادر ﷻ وامتنانه على عباده بتسخير مخلوقاته لهم.

و(الأمر) في هذه الآية إما مفرد (الأمور) ويراد به القدرة ، يقول الرازي : " سخر لنا هذه الأشياء حال كونها مسخرة تحت قدرته وإرادته ، وهذا هو الكلام الصحيح " [5] ، وقد يكون (الأمر) مفرد (الأوامر) ، يقول الآلوسي : " وجوز أن يكون واحد الأوامر ويراد من الأمر التكويني عند من لا

[1] الكشاف ٣/٣٥٣
[2] ينظر : تأويل مشكل القرآن ١٣٦
[3] المفردات ٤٤٨ (قرع)
[4] التحرير والتنوير مج٧ ٣١٧/١٧
[5] التفسير الكبير ٥/٢٠

يقول بإدراك النجوم " [1] ، وكما جاء في التفسير الكبير : " ما معنى قوله (مسخرات بأمره) والمؤثر في التسخير هو القدرة لا الأمر ؟ ، والجواب : أن هذه الآية مبنية على أن الأفلاك والكواكب جمادات أم لا ، وأكثر المسلمين على أنها جمادات ، فلا جرم حملوا الأمر في هذه الآية على الخلق والتقدير ، ولفظ الأمر بمعنى الشأن والفعل كثير قال تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [النحل:٤٠]، ومن الناس من يقول إنها ليست جمادات فها هنا يحمل الأمر على الإذن والتكليف والله أعلم " [2] .

وقوله :(والنجوم مسخرات بأمره) عبر بالجملة الاسمية لأن منافع النجوم لهم لم تكن بمثابة منافع ما قبلها ، ولذلك لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد أنها تحت ملكوته من غير دلالة على شيء آخر ، ولذلك عبر بهذه الجملة الدالة على الثبوت والاستمرار [3]، وختمت هذه الآية بقوله : (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) جملة مؤكدة جمع فيها (آيات) ، وعبر هنا (بالعقل) ، على عكس الآية التي سبقتها (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أفرد فيها (آية) وعبر بالتفكر ؛ لأن الأولى تتحدث عن آثار علوية فيها عظيم القدر والعلم والحكمة على الوحدانية ، وهي أمور تدرك ببديهة العقل ، أما الثانية تتحدث عن أمور سفلية تحتاج إلى تفكر فيها لاستنادها على الأمور العلوية " [4] .

وفي قوله :(الليل والنهار) و :(الشمس والقمر) طباق فيه إظهار قدرة الخالق ﷻ في تذليل الأمور العلوية لمنافع ومصالح الناس .

١٤٠ ــ وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج:٦٥].

سياق الآية التذكير بنعم الله ﷻ على عباده ، فهو ﷻ الحق وأن ما يدعونه الباطل، والخطاب موجه لكل من تصلح له الرؤية [5] .

---

[1] روح المعاني مج٨ ١٦١/١٤
[2] التفسير الكبير ٥/٢٠
[3] ينظر : تفسير أبي السعود ١٠٢/٥
[4] ينظر : تفسير أبي السعود ١٠١/٥ وحاشية الشهاب ٥٥٩/٥
[5] ينظر : التحرير والتنوير مج٧ ٣١٧/١٧

و (الأمر) في قوله :(والفلك تجري في البحر بأمره) مفرد (الأمور) ، ويراد به القدرة ،يقول الرازي : " وإنما قال (بأمره) لأنه سبحانه لما كان المجري لها بالرياح نسب ذلك إلى أمره توسعاً ، لأن ذلك يقيد تعظيمه بأكثر مما يقيد لو أضافه إلى فعله بناء على عادة الملوك في هذه اللفظة " [1] ، وجملة (والفلك تجري في البحر بأمره) معطوفة على ما قبلها ، فإذا كانت معطوفة على (ما) يكون في الآية إطناب بذكر الخاص قبل العام ، تنبيهاً على غرابة تسخيرها وكثرة منافعها ، [2] أو تكون معطوفة على الاسم الجليل (الله سخر لكم ما في الأرض) والتقدير وسخر لكم الفلك ، ويرى الرازي أن هذا الوجه هو الأقرب [3] ، وقد ذكر الآلوسي أنه خلاف الظاهر [4] . وقد عطف إمساك السماوات على تسخير ما في الأرض وتسخير الفلك ؛ لأن إمساك السماوات ضرب من التسخير [5] ، ولذلك ختم الآية بقوله : (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) وجاءت مفصولة عما قبلها لأنها معللة له ، فالله ﷻ سخر أعظم مخلوقاته (السماء والبر والبحر) رأفة ورحمة بالناس [6] .

وبالتأمل في نظم الآية يلحظ التعبير بالأفعال المضارعة (ترى ، تجري ، يمسك، تقع) وهي أفعال تدل على الاستمرار التجددي ، فكلما رأى الإنسان خلق الله وتأمل فيه يجد الخالق ﷻ قد سخر برحمته ، فلولا رحمة الله لسقطت السماء على الأرض فأهلكت من عليها ، ولولا رحمته لما جرت الفلك في البحر ، فهذه الأفعال في هذا السياق تدل على أنها أفعال خالدة إلى أن يشاء الله .

ولفظ (السماء) قد يكون على حقيقته ويراد بها السماء التي تقابل الأرض ويكون إمساكه لها ﷻ بمعنى أنه جعل لها نظاماً يمنعها من الخرور على الأرض ، أو يكون المراد بها (المطر) ويكون مجازاً مرسلاً علاقته السببية ، وقد يراد بالسماء جميع الموجودات العلوية من كواكب وشهب وصواعق و برد وكل ما علا الأرض ، وهذا المعنى هو الأنسب للإعجاز .[7]

وبين (السماء) و (الأرض) طباق فيه امتنان على الخلق بأن سخر لهم أعظم مخلوقاته ، والله أعلم.

١٤١_وقال تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرُّوم:٢٥].

---

[1] التفسير الكبير ٢٣/٥٥

[2] ينظر : روح المعاني مج١٠ ٢٨٦/١٧

[3] ينظر : التفسير الكبير ٢٣/٥٥

[4] ينظر : روح المعاني مج١٠ ٢٨٦/١٧

[5] ينظر : التحرير والتنوير مج٧ ٣٢٢/١٧

[6] ينظر : الإكسير ٢٨٩

[7] ينظر :التحرير والتنوير مج٧ ٣٢٤/١٧

سياق هذه الآية الحديث عن قدرة الله ﷻ .

والأمر في هذه الآية مفرد (الأمور)، ويراد به القدرة ، لأن سياق الآية الحديث عن قدرته ﷻ ببقاء السماء فوق رؤوسنا بغير عمد وبقاء الأرض تحت أقدامنا ، وبعثنا منها يوم القيامة ، كما أن الآيات السابقة لهذه الآية كلها تتحدث عن قدرته في الخلق ، فقال : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ....) الآية ، و :(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ....) الآية ، و :(ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ...) الآية ، يقول أبوالسعود : " أي بإرادته تعالى لقيامهما ، والتعبير عنها بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادئ والأسباب ،وليس المـــراد بإقامتهما إنشاءهما لأنـــه قد بين حاله بقوله تعالى : (ومن آياتـــه خلق السماوات والأرض ...) "[1].

١٤٢ ــوقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرُّوم:٤٦] .

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن تفرده بالألوهية والربوبية ، وقد جاءت معطوفةعلى الآيات السابقة التي ذكر فيها ﷻ دلائل قوته .

و(الأمر) في (ولتجري الفلك بأمره) مثل الأمر في الآية السابقة ، يراد به القدرة والإرادة ، يقول الزمخشري : " وإنما زاد (بأمره) لأن الرياح قد تهب ولا تكون مؤاتية[2] "، فلابد من انضمام إرادته تعالى وأمره سبحانه للرياح حتى يتأتى المطلوب ، فربما عصفت الرياح فأغرقت السفن بأمره [3] .

والتعبير بالأفعال المضارعة (يرسل، ويذيقكم ، وتجرى ، وتبتغوا) للدلالة على الاستمرار التجددي ، فهبوب الرياح بما ينفع الناس آية من آيات قدرته مستمرة إلى قيام الساعة ، فهذه الأفعال خالدة لا تنتهي عند زمن معين، يقول الطاهر بن عاشور : " والتقييد بقوله (بأمره) تعليم للمؤمنين وتحقيق المنة ، أي : لولا تقدير الله ذلك وجعله أسباب حصوله لما جرت الفلك ، وتحت هذا معان كثيرة يجمعها إلهام الله البشر لصنع الفلك وتهذيب أسباب سيرها "(٤).

وفي قوله : (يرسل الرياح مبشرات) صورتان بيانيتان ، حيث شبه وصول الرياح بالمنافع إلى بلد محتاج بالشيء المرسل بجامع الوصول وفق نظام معين ، ووقت محدد ، فالاستعارة تصريحية ، وكذلك في

---

[1] تفسير أبي السعود ٥٧/٧

[2]: الكشاف ٥٨٤/٤

[3] : ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/٣ ، وروح المعاني مج١٢ ٧٩/٢١

[4] : التحرير والتنوير مج٨ ١١٩/٢١

قوله (مبشرات) استعارة أيضاً ، حيث شبه الرياح محملة بمنافع الناس بشخص موجه بأخبار سارّة ، فالاستعارة مكنية ، وكلتا الاستعارتين تتمثل فيها إرادة الله وقدرته فالرياح قد تهب ولا تحصل منها منافع ما لم يرد الله ذلك (١) .

١٤٣ــوقال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ص:٣٦]

الحديث في هذه الآية عن قصة سليمان عليه السلام وما كان من تسخير الرياح له ، والأمر هنا مفرد (الأمور) يراد به الإرادة ، يقول البيضاوي : " (تجري بأمره رخاء) لينة من الرخاوة ولا تزعزع ، أو لا تخالف إرادته كالمأمور المنقاد "[2] .

وقد جاء التعبير بلفظ (الريح) مفردة في سياق الحديث عن ملك سليمان ، لبيان عظمة ملكه بتذليل الرياح له وانقيادها لأمره ، فالريح إذا جاءت مفرداً فإنها تدل على العذاب والقوة ، لذلك جاء في الحديث (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) [3] .

ومن خلال التأمل في سياق الآية يظهر نكتة أخرى في سر مجيء (الريح) مفرداً لا جمعاً ، وهو أن الريح كانت مسخرة لسليمان عليه السلام حسب الوجهة التي يرغب ، فلو كانت رياحاً متلاطمة في اتجاهات شتى لن يستطيع سليمان عليه السلام الوصول إلى الوجهة التي يرغب ، والله أعلم .

ومجيء الفعل (سخّر) بالتشديد على وزن (فعل)لدلالة هذا الوزن على القوة فيناسب قوة الريح وما يصاحبها ــ والله أعلم ــ وكذلك استعمال قوله (رخاء) للدلالة أيضاً على قوة الريح ، فإن الضمة على الراء تعني انضمام الشفتين على حرف ليس من أحرف اللين ، واستدارة الشفتين تتطلب جهداً ، وفي هذا قوة الريح ، ثم يأتي الانتقال من الضم إلى الفتح على الخاء ، لتدل على التدرج من الصعب إلى السهل ، مما يمثل طواعية الريح لسليمان عليه السلام. [4]

١٤٤ــوقال تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الجاثية:١٢] .

---

1 : ينظر : التحرير والتنوير مج٨ ١١٨/٢١

2 : تفسير البيضاوي ١٥٣/٨

3 : الفتوحات الربانية لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٧٧ و ينظر الإتقان ٤٦٠

4 : ينظر : جماليات المفردة القرآنية ٣٢ د/ أحمد ياسوف ط٢/ ١٤١٩هـــ ، دار المكتبي ، بيروت .

سياق الآية الحديث عن قدرة الله ﷻ وهذه الآية تتحدث عن العبرة في جريان السفن [١] .

و (الأمر) في قوله :(لتجري الفلك فيه بأمره) مصدر (أمور) يراد به القدرة ، يقول بن عطية :" أناب القدرة والإذن مناب أن يأمر البحر والناس بذلك "(٢) ، يقول البيضاوي : "(لتجري الفلك فيه بأمره) بتسخيره وأنتم راكبوها." [٣]

والتركيب في قوله :(لتجري الفلك بأمره) متشابه مع قوله :(والفلك تجري في البحر بأمره) ، أمّا الأفعال (تجري ، تبتغوا ، تشكرون) فقد جاء مضارعة للدلالة على الاستمرارية والدوام ، فهي أفعال لا تقف عند مرحلة زمنية معينة بل هي مستمرة وخالدة إلى أن يشاء الله . وفي هذه الآية لف ونشر ، فقد لفّ نعمه في قوله : (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك بأمره) ثم نشر ما يترتب على هذه النعم في قوله (ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [٤] .

١٤٥ــوقال تعالى : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٥] .

سياق الآية ذكر قصة عاد وما أنزل الله بهم من العذاب بالريح .

وجاء (الأمر) في قوله :(بأمر ربها) مفرد(الأمور) ويراد به القدرة ، يقول الزمخشري : "فإن قلت : ما فائدة إضافة الرب إلى الريح ؟ قلت : الدلالة على الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته ، لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده ، وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته ﷻ يعضد ذلك ويقويه " [٥] ، والتشديد في (تدمّر) يدل على شدة التدمير الذي حلّ بقوم هود ، وبناء (لا يُرى) لما لم يسم فاعله ، لأن الخطاب موجه لكل من يصح توجيه الخطاب إليه ، يقول الزمخشري :" (لا يرى) الخطاب للرائي من كان " [٦]، ومجيء هذا الفعل على صيغة المضارع في سياق قصه وقعت في الماضي وذلك لاستحضار حالة دمارهم العجيبة ، حتى كأن الآية نزلت في وقت الحادثة [٧] . وفي هذا تهديد ووعيد للمشركين

---

1 : ينظر : المحرر الوجيز ١٦٩٩
2 : المرجع السابق
3 : تفسير البيضاوي ٤٤٥/٨
4 : ينظر: حاشية الشهاب ٤٤٥/٨
5 : الكشاف ٥٠٧/٥
6 : المرجع السابق ٥٠٥/٥
7 : ينظر : التحرير والتنوير مج١٠ ٥١/٢٦

لذلك قال : (كذلك نجزي القوم المجرمين) و(كذلك) هنا بمعنى (مثل) ، أي : بمثل هذا العذاب الذي حلّ بعاد نجزي هؤلاء المجرمين[(١)].

الأمر بمعنى الدين :

١٤٦ــقال الله تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأعراف:٧٧] .

سياق هذه الآية الحديث عن قصة صالح مع قومه ، وما كان منهم من عتو واستكبار .

و(الأمر) في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأمور) بمعنى (الدين) ، وقد يكون الأمر مفرد (الأوامر) ، والأمر هنا حقيقي ، فالمعنى أنهم تولوا واستكبروا عما أمرهم الله به على لسان صالح عليه السلام فالعتو صدر عن أمر ربهم ، يقول الزمخشري :" وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله: (فذروها تأكل في أرض الله) أو شأن ربهم وهو دينه "[(٢)] .

واختار البيضاوي (الأمر) مفرد (الأوامر) ، فقال : " واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله (فذروها)" [(٣)] ؛ فضمن (عتا) معنى (استكبر) لأنه ثبت عنده تعديته بـ (عن) [(٤)] ، يقول الشهاب : " وإن كان الثاني فالمعنى تولوا واستكبروا عن شأن الله أي : دينه وهو بعيد " [(٥)].

وقد عطفت هذه الآية على ما قبلها بحرف العطف (الفاء) الدال على التعقيب ، وذلك لأنهم حين استكبروا ، وقالوا : (إنا بالذي آمنتم به كافرون) كانوا قد عزموا على نحر الناقة .

وعطف قوله : (وعتوا عن أمر ربهم) على ما قبلها ، وهو (فعقروا الناقة) بالواو ، والواو تدل على الجمع ، فهم قد جمعوا بين عقر الناقة والعتو عن أمر الله في الوقت نفسه ، فعقرهم للناقة إنما هو عتو واستكبار عن أمر الله سبحانه وتعالى الذي قال لهم : (ذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) وجاءت الأفعال (عقروا ، وعتوا ، وقالوا) أفعالاً ماضية لأنها جاءت في سياق الإخبار عن قصة قوم وقعت في الماضي .

ومجيء الفعل (ائتنا) على صيغة الأمر ، ومجيء الأمر من (أتى) دون (جاء) ؛ لأن مادة (أتى) تدل على السهولة ، والأمر في (ائتنا) للتعجيز وليس للاستعجال كما ذهب إلى ذلك الشهاب ، يقول

1: ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٨٠/٣

2 الكشاف ٤٦٦/٢

3 تفسير البيضاوي ٣١٢/٤

4 ينظر : حاشية الشهاب ٣١٢/٤

5 حاشية الشهاب ٣١٢/٤وينظر : روح المعاني مج ٥ ٢٤٦/٨

:" (ائتنا بما تعدنا) أمر للاستعجال لأنهم يعتقدون أنه لا يأتي ذلك ،ولذا قالوا : (إن كنت من المرسلين) "(١) .

وإسناد الفعل (عقر) إلى واو الجماعة مع أن العقر صادر من شخص واحد اختلف في اسمه (٢) ، وذلك لأن الفعل كان برضاهم ، فقد روي أن قداراً لم يعقر الناقة إلا بعد أن شاور الرجال والنساء والصبيان ، فلما أجمعوا تعاطى فعقر ، وفي إسناده إلى واو الجماعة تهويل الأمر وتفظيعه بحيث أصابت عقوبته الكل (٣)، والمجاز هنا مرسل علاقته الكلية ، حيث أسند الفعل إلى الكل والمراد الجزء ، يقول الآلوسي : " وإسناده إلى الكل مع أن المباشر البعض مجاز لملابسة الكل " ٤ .

١٤٧_وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكهف:٢١] .

ما زال الحديث عن قصة أصحاب الكهف عندما عثر عليهم .

وقد جاء (الأمر) مفرد (الأمور) بمعنى (الدين) يقول الزمخشري :" أي : أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث ، فكان بعضهم يقول : تبعث الأرواح دون الأجساد ، وبعضهم يقول : تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف "(٥) .

أما الأمر الثاني في قوله :(قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) فهو الشأن عموماً ، فالموصول (الذين) يراد بهم الولاة والملوك لأنهم هم أصحاب شؤون رعاياهم ، يقول الآلوسي : " ومعنى غلبتهم على أمرهم أنهم إذا أرادوا أمراً لم يتعسر عليهم و لم يحل بينه وبينهم أحد كما قيل في قول الله تعالى : (والله غالب على أمره) "(٦) .

وبالتأمل في نظم الآية يلحظ أن الأمر الأول جاء مسبوقاً بفعل مضارع ، والثاني مسبوقاً بماض ؛ لأن الأول جاء في سياق الحديث عن أمر متجدد مستمر وهو التنازع في أمر الدين من بعث أو غيره ، أما الثاني فجاء في سياق الماضي ؛ لأن الحديث فيه عن الولاة والأمراء ، وقولهم ليس مما يستمر ويتجدد، لذلك عبر بالماضي (٧) .

---

[1] حاشية الشهاب ٣١٢/٤

[2] قيل إن اسمه قدار بن سالف

[3] : ينظر : الكشاف ٣ / ٥٧٤

[4] : روح المعاني مج٨ / ٢٤٥

[5] الكشاف ٥٧٤/٣

[6] روح المعاني مج٩ ١٥/ ٢٤١

[7] ينظر : تفسير أبي السعود ٢١٤/٥

وفي قوله :(أعثرنا) مجاز مرسل علاقته السببية ، فقد أطلق السبب (العثور) وأراد المسبب عنه (الاطلاع والعرفان) [١] أو يكون فيها استعارة تصريحية ، حيث شبه من اطلع على شيء ودل عليه

بالعثور على شيء ، والغرض من هذه الاستعارة تألق المعنى وقوة الإيضاح [٢] .

148_وقال الله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٣].

لما كرر ﷻ قصص الأقوام السابقة أشار هنا إلى ملة الإسلام الواجب على الناس الالتزام بها وعدم التفرق .

وقد جاء (الأمر) مفرد (الأمور) ويراد به الدين ، يقول البغوي : " أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً "[٣] .

ويقول ابن عاشور :" وأسند التقطيع إليهم لأنهم جعلوا أنفسهم فرقاً فعبدوا آلهة متعددة ، واتخذت كل قبيلة لنفسها إلهاً من الأصنام مع الله ، فشبه فعلهم ذلك بالتقطيع" [٤] .

وقد عطف جملة (وتقطعوا أمرهم بينهم) على جملة (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:٩٢] .أي أعرضوا عن قولنا واختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً[٥] .

وفي (تقطعوا) التفات من الخطاب إلى الغيبة ، والأصل : وتقطعتم ، فكأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ، ويقبح عندهم فعلهم [٦] . وفصل جملة (كل إلينا راجعون) من جملة (وتقطعوا أمرهم بينهم) لشبه كمال الاتصال ، يقول الطاهر بن عاشور : "وجملة (كل إلينا راجعون) مستأنفة استئنافاً بيانياً لجواب سؤال يجيش في نفس سامع "[٧] ، وفي هذه الآية استعارة ، حيث شبه تفرقهم واختلافهم في الدين بحال من اختلفوا على ثوب مزقوه وفرقوه بينهم بجامع عدم الانتفاع في كل ، فالاستعارة تمثيلية ، يقول الزمخشري :" والمعنى : جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا النصيب ولذاك النصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه ، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى "[٨] .

---

[1] ينظر : التفسير الكبير ٨٩/٢١ وحاشية الشهاب ١٥٢/٦

[2] ينظر : في التذوق الجمالي لسورة الكهف دراسة نقدية إبداعية ٦٦ د/محمد علي أبو حمدة ط١٤٢٢/١هـ دار عمار ، عمان .

[3] تفسير البغوي ٢٦٨/٣ وينظر: نزهة الأعين النواظر ٦٠

[4] التحرير والتنوير مج٧ ١٤٢/١٧

[5] ينظر : تفسير البغوي ٢٦٨/٣ والتحرير والتنوير مج٧ ١٤١/١٧

[6] ينظر الكشاف ١٦٤/٤

[7] التحرير والتنوير مج٧ ١٤٣/١٧

[8] الكشاف ١٦٤/٤ وقد ذكر الزمخشري أنها نزلت في كفار خزاعة فقد روي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغير هما قالوا للمسلمين :مالكم . تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل الله ! يعنون الميتة .

١٤٩ــوقال الله تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحج:٦٧] .

الخطاب في هذه الآية موجه للرسولﷺ على طريقة الإلهاب والتهييج ، يراد به تهييج حميته وإلهاب غضبه لدين الله [١] .

وقد جاء (الأمر) في قوله تعالى : (فلا ينازعنك في الأمر) مفرد (الأمور) بمعنى (الدين) يقول الزمخشري : " هو نهي لرسول الله ﷺ أي : لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله ﷺ بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة " [٢] .

وقد عطفت جملة (وادع إلى ربك) على جملة (فلا ينازعنك في الأمر) لأنه ﷻ نهى عن منازعة المكابرين وأمر بما هو أعم فائدة للناس وهو الدعوة إلى الله ﷻوقد حذف مفعول (ادع) للتعميم والاختصار [٣] ، وقوله (فلا ينازعنك) ينازع يدل على المشاركة بين طرفين ، والتعبير عنه بطريق الكناية ، فإن ترك الرسول ﷺ منازعتهم يستدعي ترك منازعتهم للرسول ﷺ فهي كناية عن نهي فاعل آخر [٤]، والتعبير بلفظ (النزع) مع تشديد النون يفيد معنى المبالغة في التثبيت على الدين [٥] .

وفي قوله (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) تشبيه ، حيث شبه الهدى والدين بالطريق المستقيم بجامع الوصول إلى الغاية ، وفي هذا تعريض بالمشركين وتثبيت للمسلمين ، فدين الإسلام أيسر الشرائع في الإيصال إلى الكمال الذي هو غاية الأديان [٦] .

١٥٠ــوقال تعالى :﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٣] .

الحديث في هذه الآية عن اليهود والنصارى والمجوس الذين اختلفوا وتفرقوا فجعلوا دينهم قطعاً مختلفة

---

1 ينظر : الكشاف ٢١٠/٤

2 الكشاف ٢٠٩/٤

3 ينظر : التحرير والتنوير مج١٠ ١٢٩/١٧

4 ينظر: حاشية الشهاب ٥٤٣/٦

5 ينظر :المرجع السابق

6 ينظر : حاشية الشهاب ٥٤٣/٦ والتحرير والتنوير مج١٠ ١٢٩/١٧

والأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى (الدين) ، يقول البغوي : " فتقطعوا أمرهم : دينهم " [1] ، يقول الرازي :" أما قوله تعالى : (فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً) فالمعنى فإن أمم الأنبياء عليهم السلام ، تقطعوا أمرهم بينهم ، وفي قوله (فتقطعوا) معنى المبالغة في شدة اختلافهم والمراد بأمرهم ما يتصل بالدين " [2] .

وقد عطف جملة (فتقطعوا أمرهم) على ما قبلها بالفاء الدالة على التعقيب لإفادة أن تفرقهم واختلافهم في الدين كان عقب تبليغ الرسل ودعوتهم إلى عبادة الله وحده [3] .

وفي قوله: (تقطعوا) استعارة[4] ، حيث شبه تفرقهم واختلافهم في أمور دينهم بتقطع الحبل ، لإظهار المبالغة في شدة تفرقهم ، وحذف المشبه (التفرق والاختلاف) وذكر المشبه به (التقطع)، فالاستعارة تصريحية ، و جاء في لسان العرب : " القطع مصدر قطعت الحبل قطعاً فانقطع ..... واقتطعه فانقطع وتقطع شدد للكثرة ، (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي تقسموه " [5] .

١٥١ــوقال تعالى :﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية:١٧+١٨] .

سياق الآية الحديث عن بني اسرائيل ، وما أنعم الله به عليهم من نعم كثيرة ، ومع ذلك حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد .[6]

و(الأمر) في قوله (بينات من الأمر) و (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) بمعنى الشأن ، [7] والمراد به شأن الدين ،يقول البغوي : " (من الأمر) من الدين "([8]).

ويحتمل أن يكون (الأمر) في قوله :(ثم جعلناك على شريعة من الأمر) أمراً حقيقياً من أمر يأمر ، يقول ابن عطية : " ويحتمل أن يكون مصدراً من أمر يأمر ، أي : على شريعة من الأوامر والنواهي ، فسمى الله تعالى جميع ذلك أمراً " [9] . وفي قوله ــ سبحانه ــ :(فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم

---

1 تفسير البغوي ٣٠١/٣
2 التفسير الكبير ٩٢/٢٣
3 ينظر : التحرير والتنوير مج٨ ٧٢/١٨
4 ينظر: حاشية الشهاب ٥٨٦/٦
5 لسان العرب ٢٢٠/١١(قطع)
6 ينظر : التفسير الكبير ٢٢٧/٢٧
7 ينظر التحرير والتنوير مج١٠ ٣٤٦/٢٥و٣٤٨
8 : تفسير البغوي ٤ / ١٥٩
9 المحرر الوجيز ١٧٠٠

الحق) أسلوب قصر ، حيث قصر الاختلاف بينهم على مجيء ما يوجب زوال الخلاف وهو العلم ،[1] وهو من قصر الصفة على الموصوف لأن الاختلاف صفة ، وهو المقصور ، والمقصود من هذا القصر التعجب من حالهم ، لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف ، أما بني اسرائيل فصار مجيء العلم لهم سبباً لحصول الاختلاف بينهم [2] ، وجملة (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة في ما كانوا فيه يختلفون) مستأنفة استئنافاً بيانياً ، ولذلك فصلها عما قبلها ، فحال بني إسرائيل عجيب يثير في نفس سامعه تساؤلات عن هذه الأفعال ، فجاء هذا الجواب فيه إجمال لتهويل ما سيقضي به بينهم في الخير والشر ، [3] والفصل هنا لشبه كمال الاتصال .

و تنكير (شريعة) للتعظيم ، أي : جعلناك على شريعة عظيمة ثابتة ، فلا تتبع أهواء الجهال ودينهم الباطل ، وتسمية الدين بالشريعة [4] ، مجاز ؛ لأن حقيقة الشريعة هي مواضع الماء ، جاء في لسان العرب : " الشريعة والشراع والمشرعة : المواضع التي يُنحدر إلى الماء منها " ([5])، حيث شبه الشريعة الإسلامية بشريعة الماء بجامع حصول المنافع في كل منهما ، [6] ، استعير اسم الشريعة للطريقة الإلهية تشبيهاً بشريعة الماء ، ووجه الشبه ما في الماء من المنافع وهي الري والتطهير " ([7]) فالاستعارة مكنية .

١٥٢ــ وقال تعالى : ﴿ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الذاريات:٤٤] .

سياق الآية الحديث عن قصة ثمود وما حل بهم من العذاب ، و (الأمر) في هذه الآية إما أن يكون مفرداً (الأمور) ويراد به (الدين) ، يقول الزمخشري : " (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله " [8] ، ويقول الطاهر بن عاشور : " فأعرضوا عما أمرهم الله على لسان رسوله صالح عليه السلام" [9].

و (الفاء) في قوله :(فعتوا عن أمر ربهم) لتفصيل قصتهم ، فكأنه قيل : وجعلنا في زمان قولنا ذلك لثمود آية , وبين الآية بقوله (فعتوا عن أمر ربهم) [10] .

---

[1] ينظر: أسلوب القصر ٢١٨

[2] ينظر : التفسير الكبير ٢٢٨/٢٧

[3] ينظر : التحرير والتنوير مج١٠ ٣٤٧/٢٥

[4] ينظر: المرجع السابق

[5] : لسان العرب ٧ /٨٨ (شرع) .

[6] : ينظر : التحرير التنوير مج١٠ ٢٥ /٣٤٨

[7] ينظر: المفردات : ٢٩٠

[8] : الكشاف ٥ / ٦١٨

[9] التحرير والتنوير مج١١ ١٣/٢٧

[10] ينظر : حاشية الشهاب ٥٩٩/٨ وروح المعاني مج١٥ ٢٥/٢٧

وفي قوله :(فأخذهم الصاعقة) شبه إصابة الصاعقة لهم بأخذ العدو عدوه فالاستعارة تصريحية ، وذلك لتوضيح شدة الصاعقة ، والعذاب الذي حل بهم [1] .

١٥٣ــوقال تعالى : ﴿ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ ﴾ [القمر:٣] .

هذه الآية إخبار عن حال المشركين وتكذيبهم ومكابرتهم .

و (الأمر) هنا مفرد (الأمور) ويراد به (الدين) الذي هو شأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول الزمخشري : " أي كل أمر لابد أن يصير إلى غاية يستقر عليها ، وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق ، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته " [2] .

وعطف الماضي (وكذبوا) على المضارع (يعرضوا) لأن الإعراض يستلزم التكذيب والتعبير بالماضي (كذبوا) لبيان عادتهم إذا شاهدوا الآيات ، وأما الفعل المضارع (يعرضوا) يدل على تجدده منهم [3] .

وفي قوله :(وكل أمر مستقر) إيجاز ، فهي ثلاث كلمات اشتملت على عواقب الدنيا والآخرة ،[4] فكل شيء إلى غاية الحق ظاهر و الباطل زاهق [5] . وفيها استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال تردد آثار ماهية أمر رسول الله بين ظهور وخفاء إلى إبان التمكن من ظهور آثارها بحالة السائر يسير إلى المكان المطلوب في مختلف الطرق بين بعيد وقريب إلى أن يستقر في المكان المطلوب ، وهي استعارة تمثيلية مكنية فقد حذف المشبه به ، وذكر ما يدل عليه (مستقر) [6] .

الأمر بمعنى الرأي :

١٥٤ــقال تعالى : ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣ ﴾ [الأنفال:٤٣] .

سياق الآية الحديث عن معركة بدر ، وما منّ الله به على المسلمين في تلك المعركة .

---

[1] ينظر : التحرير والتنوير مج١١ ١٢/٢٧

[2] الكشاف ٥/٦٥٤

[3] ينظر: حاشية الشهاب ٩/٢٦

[4] ينظر :كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ١٧٦ لأبي هلال العسكري ، ت:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ١٤١٩هــ المكتبة العصرية بيروت .

[5] ينظر: المحرر الوجيز ١٧٨٩

[6] ينظر : التحرير والتنوير مج١١ ١٧٣/٢٧

و(الأمر) في هذه الآية مفرد (أمور) بمعنى (الرأي) ، يقول الزمخشري :" و(لتنازعتم) في الرأي ، وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم ، وترجحتم بين الثبات والفرار "[1]، فالتنازع في الأمر يعنى اختلاف الرأي في الحرب والقتال وإعداد الخطة ، لأن سياق الحديث الحرب وما يكون فيها من إعداد الخطة واتفاق الرأي والكلمة ، ولا يكون الأمر هنا على حقيقته بمعنى (أمر الله ورسوله) للمسلمين بالحرب كما ذكر ذلك ابن زمنين ، حيث قال : " (ولتنازعتم في الأمر) أي : اختلفتم في أمر الله ورسوله "[2]؛ لأن أمر الله ورسوله واجب النفاذ ولا اختلاف فيه لقوله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ؛ ولأن المعنى الأول اتفق عليه معظم المفسرين [3] .

وقد عطفت جملة (ولتنازعتم) على جملة (ولفشلتم) الواقعة جواباً للشرط بعد (لو) الامتناعية الدالة على امتناع الجزاء (الفشل والاختلاف) لامتناع الشرط (الرؤيا الدالة على الكثرة) فدّل المعنى هنا على انتفاء الأمرين [4] وفي إراءهم إياه ﷺ قليلين حكمة، وهي تثبيت المسلمين إذا أخبرهم بذلك ، وقوله (إذ يريكهم الله في منامك) جاء التعبير بالفعل المضارع (يريكهم) في سياق الماضي لاستحضار حالة الرؤيا العجيبة [5] .

وقوله :(في منامك) إما أن يكون على حقيقته ، ويكون المعنى أن الله ﷻ قد منّ على رسوله بتلك الرؤيا لتشجيع المسلمين وتثبيتهم ، فكان ذلك سبباً من أسباب النصر ، وهذا هو الظاهر المتبادر والذي عليه الجمهور ، وقد روي عن الحسن أنها مجاز مرسل علاقته الحالية ، لأنه أطلق الحال (النوم) وأراد المحل (العين) وقد نقله عنه البغوي [6] في تفسيره ، إلا أن الزمخشري استبعد ذلك فقال : " وهذا تفسير فيه تعسف " [7] ، وتبعه في ذلك الآلوسي ، وذكر أن ذلك تعقيد ولا نكتة فيه [8] ، ويثبت صحة ما ذهب إليه علماؤنا المفسرون [9] الآية التي تليها وهي قوله تعالى : (وإذ يريكموهم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ...) ، فقد ذُكر هنا العين لا المنام ، فلم يقل: (في منامكم ، في منامهم) وهذا يدل

1 :الكشاف ٥٨٦/٢

2: ينظر تفسير ابن زمنين ١٨٠/٢ لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن زمنين ،ت : أبو عبدالله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكتر ط١ ١٤٢٣هـ دار الفاروق الحديثة ، القاهرة .

3 : ينظر مثلاً الكشاف ٥٨٦/٢ والتفسير الكبير ١٣٦/١٥ وتفسير البيضاوي ٤٨٢/٤ والتحرير والتنوير مج ٥/ ٢٤/١٠

4 : البرهان في علوم القرآن ٣٦٤/٤

5 : التحرير والتنوير مج٥ ٢٣/١٠

6: ينظر : تفسير البغوي ٢ / ٢٥٢

7 : الكشاف ٥٨٦/٢

8 : ينظر روح المعاني مج٦ ١٢/١٠

9: ينظر الكشاف ٥٨٦/٢ وروح المعاني مج٦ ١٢/١٠

على أن المنام في الآية السابقة على حقيقته ، وأن العين هنا على حقيقتها، فهناك رؤيا وهنا رؤية ، فالرسول ﷺ رأى رؤيا ، ورؤيا الأنبياء حق ، ثم تحققت هذه الرؤيا .

وفي قوله :(قليلاً ، كثيراً) طباق ، فيه إظهار لقدرة الله ومنته على رسوله ﷺ والصحابة بنصرهم وإذلال عدوهم .

١٥٥ ــ وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل:٣٢] .

الحديث هنا عن قصة بلقيس وما كان منها تجاه دعوة سليمان عليه السلام لها ، و(الأمر) في قوله : (أفتوني في أمري) و: (ما كنت قاطعة أمراً) مفرد (الأمور) يراد به الرأي ، يقول الزمخشري :" والمراد بالفتوى ههنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير"(١) والتعبير بلفظ (الأمر) مجـــاز ، حيث شبه الآراء بالأوامر بجامع الامتثال والاستجابة ، فالأمر استعارة تصريحية ــــ والله أعلم ــــ أو يكون الأمر بمعناه الحقيقي مصدر أمر يأمر ، كما أشار إلى ذلك الشهاب حين قال : " والأمر في النظم بمعناه المعروف أو بمعنى الشأن "[٢] إلا أن الأقرب ــــ والله أعلم ــــ أن الأمر هنا بمعنى (الرأي) ، لأن سياق الآية يشير إلى سياسة بلقيس في مملكتها ، وهي سياسة تعتمد على مبدأ الشورى ، والتعبير بالأمر هنا عن الرأي لأنه جاء في سياق الحديث عن أمر مهم عظيم جمعت من أجله أهل المشورة، أو لأن الرأي يصدر من الملكة ، فأطلق الأمر مجازاً على الرأي ، وقد ذكر أبو السعود في تفسيره ما يشير إلى أن (الأمر) هنا بمعنى (الرأي) ، وذلك حينما ذكر جمع الأمر فقال :"أي من الأمور المتعلقة بالملك "[٣] .

وقد جاء بين هذه الآية وما قبلها شبه كمال اتصال حيث جاءت هذه الآية جواباً لسؤال مقدر يفهم من الأولى ، فكأن أحداً يسأل عن موقف بلقيس من كتاب سليمان ، والتعبير بـــ (تشهدون) على صيغة المضارع ليفيد الاستمرار التجددي ، وفيه إشارة إلى سياستها التي قامت عليها مملكتها ، ثم فصل بين هذه الجملة وما بعدها (قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) [النمل:٣٣] لأنها جاءت أيضاً جواب لسؤال مقدر فكأن السؤال : ماذا أجاب قومها ؟ فقيل : (قالوا نحن أولو قوة ....) الآية .

---

[1] : الكشاف ٤/٤٥٢

[2]: حاشية الشهاب ٧/٢٤٣

[3]: تفسير أبي السعود ٦/٢٨٤

والأمر في قوله :(والأمر إليك) إما أن يكون مفرداً لأمور بمعنى الرأي ، يقول الطاهر بن عاشور : "ومع إظهار هذا الرأي فوضوا الأمر إلى الملكة لثقتهم بأصالة رأيها لتنظر ما تأمرهم فيمتثلونه "[1] ، أو يكون مفرداً لأوامر ويكون بمعناه الحقيقي [2] ، فهو مثل الآية السابقة لأن سياق الآيتين واحد .

١٥٦ـ وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف:٨٢] .

هذه الآية تتحدث عن قصة موسى عليه السلام مع الخضر ، وفيها تفسير للحكمة من بناء الجدار لليتيمين .

و(الأمر) في قوله :(وما فعلته عن أمري) مفرد (الأمور) ويراد به (الرأي) ، يقول البغوي :" (وما فعلته عن أمري) أي : باختياري ورأيي ، بل فعلته بأمر الله وإلهامه (٣)" ، ويقول البيضاوي : " (عن أمري) عن رأيي " [4] ، وقد عبر بالأمر مجازاً لأن النفس كأنها تأمره بذلك [5] . يقول الشهاب :" قوله : (عن رأيي) يعني أن الأمر هنا واحد أمور والمراد به الرأي لا أنه بمعنى الرأي ، وظاهر كلام الراغب أن الأمر يطلق على الرأي وما يخطر بالبال كأن نفسه تأمره به ولذا تسمى أمارة "[6] . ففيه استعارة تصريحية .

وقد عطف قوله : (وما فعلته عن أمري) على ما قبلها ، لأن فعله لتلك الأفعال التي رآها موسى عليه السلام لم تكن باجتهاد ورأي منه ، وإنما وحي وإلهام منه سبحانه وتعالى.

وفي قوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما) أسند الفعل (أراد) إلى الرب عز وجل وأضاف الرب إلى ضمير الخطاب لأن سياق هذه الآية الحديث عن مصالح اليتيمين ، وأنه سبحانه المتكفل بمصالحهم .

---

1 : التحرير والتنوير مج٧ ٢٦٥/١٦

2 : ينظر : روح المعاني مج١٠ ٢٩٥/١٩

3 : تفسير البغوي ١٧٧/٣

4 : تفسير البيضاوي ٢٢٥/٦

5 : ينظر: حاشية الشهاب ٢٢٥/٦

6 : حاشية الشهاب ٢٢٥/٦

والتعبير بـــ (تسطع) بحذف التاء هنا ، وبـــ (تستطع) في الآية السابقة بدون حذف التاء ، لأن الأولى قد أزيل فيها ما أشكل على موسى ﷺ ، ولأن المقام مقام مفارقة و لم يتكلم بعدها ، أمَّا الثانية بدون حذف ؛ لأن الإشكال لا زال قائماً في نفس موسى ﷺ، ولأن المقام مقام شرح وإيضاح وتبيـــين [1] .

١٥٧ــوقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشُّورى:٣٨] .

قيل إن هذه الآية نزلت في الأنصار ، دعاهم الله للإيمان به وطاعته فاستجابوا له وآمنوا به وأطاعـــوا [2]. وقد ذكر ابن عطية أنها مدح لكل من اتصف بهذه الصفة [3].

و(الأمر) في هذه الآية مفـــرد (الأمور) يراد به (الرأي) ، ذكر الزمخشري عن هذه الآية أنها نزلت في الأنصار ، يقول :"وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم الرسول ﷺ المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم ، أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه "[4] .

وقد وصل بين الجمل في هذه الآية لأنها كلها صفات مدح للأنصار ، ولكل من اتصف بهذه الصفات ، والجمل في هذه الآية جمل فعلية ، تدل على التجدد ، أما قوله :(وأمرهم شورى بينهم) فهي جملة اسمية تدل على الثبوت ، فالشورى صفة ثابتة للأنصار قبل مجيء الإسلام ، يقول الزمخشري : "وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم الرسول ﷺ المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا "[5] ، يقول الآلوسي :" وجيء بالجملة الاسمية مع أن المعطوف عليه فعلية، للدلالة على أن التشاور كان حالهم المستمرة قبل الإسلام وبعده"[6] .

1: ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ١٩ د : فاضل صالح السامرائي ط٢ /١٤٢٥ هـــ دار عمار ، عمان
وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ٢٤٣ د: صلاح الخالدي ط١٤٢٥/٢هـــ دار عمار ، عمان

2: ينظر الكشاف ٤١٥/٥

3: ينظر المحرر الوجيز ١٦٧٠

4: الكشاف ٤١٥/٥

5: المرجع السابق

6: روح المعاني مج ١٤ ٧١/٢٥

١٥٨ـ وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات:٧] .

في هذه الآية نبّه الله ﷻ صحابة رسوله ﷺ من الكذب والبهتان ورسول الله ﷺ بينهم يتلقى الوحي من ربه ، فعليهم الحذر والاحتراز لأنه إن خفي كذبهم على الناس فلن يخفى على الله ورسوله ﷺ و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمـــور) ويراد به الرأي ، يقول البغـــوي :" (في كثير من الأمر) مما تخبرونه به فيحكم برأيكم "[١] .

ويقول البيضاوي : " والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي أنكم تريدون أن يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم أي : لوقعتم في الجهد من العنت "[٢] ، وفي قوله: (كثير من الأمر) إشارة إلى أنه لو أطاعهم في كثير لأصابهم الجهد ، يقول الرازي :" قال في كثير من الأمر ليعلم أنه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقاً لفائدة قوله تعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) [آل عمران:١٥٩] "[٣] ويقول الطاهر بن عاشور : " وهذا احتراز عن طاعته إياهم في بعض الأمر مما هو من غير شؤون التشريع كما أطاعهم في نزول الجيش يوم بدر على جهة يستأثرون فيها بماء بدر "[٤] .

وقوله :(يطيعكم) عدل عن الماضي (أطاعكم) إلى المضارع للدلالة على الاستمرار ، وهذا فيه توبيخ وتهجين لإرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه [٥] .

وقوله :(الكفر والفسوق والعصيان) فيها مراعاة النظير ، فهذه الثلاثة كلها تُخرج عن الطاعة وقد قابلها بالإيمان ، يقول ابن عطية : " وحكى الرماني عن الحسن أنه حبب الإيمان بما وصف من الثواب عليه ، وكرّ ه الثلاثة المقابلة للإيمان بما وصف من العقاب عليها " [٦] .

1: تفسير البغوي ٢١٢/٤
2 : تفسير البيضاوي ٥٥٣/٨
3 : التفسير الكبير ١٠٧/٢٨
4: التحرير والتنوير مج١٠ ٢٣٥/٢٦
5: ينظر: الكشاف ٥٦٨/٥ وروح المعاني مج ١٠ ٢٢٣/٢٦
6: المحرر الوجيز ١٧٤٣

الأمر بمعنى الحكم :

١٥٩ـوقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٥] .

سياق الآية الحديث عن حال آكلي الربا ، وكيف يبعثون يوم القيامة عقوبة لهم وتمقيتاً ، وقد جاء (الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ، ويراد به شأن الحكم ، يقول الزمخشري : " و(أمره إلى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة ، وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به "[١] ، ويقول الطاهر بن عاشور : "(وأمره إلى الله) أن أمر جزائه على الانتهاء موكول إلى الله تعالى وهذا من الإيهام المقصود منه التفخيم "[٢].

وفي قوله تعالى : (إنما البيع مثل الربا) قصر صفة الحل على الربا ، لأن حل البيع متفق عليه ، فهو قصر صفة على موصوف ، يقول الرازي : " وفي الآية سؤال : وهو أنه لِمَ لَمْ يقل : إنما الربا مثل البيع ، وذلك لأن حل البيع متفق عليه ، فهم أرادوا أن يقيسوا عليه الربا "[٣] .

وقد وصل قوله تعالى: (وأمره إلى الله) بما قبلها لأنها متصلة معها في المعنى ، فمن تاب عن الربا فشأنه بيد الله إن شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء ، وإن شاء خذله فيعود [٤] .

ومن خلال التأمل في نظم الآية يلحظ التعبير بالأفعال المضارعة في قوله (يأكلون ، يقومون ، يقوم ، يتخبطه) وذلك للدلالة على الاستمرار التجددي ، فهناك من يتعامل بالربا منذ ذلك الوقت إلى ما يشاء الله ، وفيها استحضار للصورة التي سيكون عليها هؤلاء يوم القيامة ، والغرض من ذلك التحذير والتنفير من الربا ، أما الأفعال الماضية (قالوا ، أحل ، حرم ، جاءه ، انتهى ، سلف ، عاد) فجاءت في سياق الحديث عن أمور حصلت في وقت ماض واستقرت وثبتت على تلك الحال في الدنيا [٥] .

---

[1] : الكشاف ٥٠٧/١

[2] : التحرير والتنوير مج٢ ٩٠/٣

[3] : التفسير الكبير ٨٠/٧

[4] : ينظر : تفسير البغوي ٢٦٣/١

[5] : ينظر : الفعل في سورة البقرة ٢٢٠

وفي هذه الجملة أيضاً تشبيه مقلوب ، حيث شبهوا البيع بالربا في الحل ، فجعلوا الربا هو الأصل ، وهو المشبه به ، أما البيع فهو الفرع وهو المشبه ، ووجه الشبه الحل ، وذلك إغراقاً منهم في المـــــبالـــغة . (١)

وفي هذه الآية تشبيه تمثيلي ، فقد شبه حال آكل الربا حين يبعث يوم القيامة فلا يستطيع النهوض والقيام بحال شخص أصابه مس من الشيطان لا ينهض واقفاً حتى يسقط ، والجامع بينهما الاضطراب والسقوط على الأرض ، والغرض من هذا التشبيه التنفير من الربا والإزراء بأهله حتى لا يعود له الإنسان مرة أخرى بعد أن تاب وآل أمره إلى الله ــ والله أعلم ــ ، وهو من التشبيه في الهيئات التي تقع عليها الحركات والذي قال عنه الشيخ عبد القاهر :" اعلم مما يزاد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات "(٢) ، وفي قوله : (أحل الله البيع) و: (حرم الربا) مقابلة ، لبيان الفرق الشاسع بينهما وإن كانا يجتمعان في أصل واحد ، وهو المعاملات المالية .

١٦٠ــقال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:٤٧] .

سياق هذه الآية الحديث عن قصة مريم وعيسى ــ عليهما السلام ــ وقدرة الله على خلق عيسى من غير أب ، فهي تدل على قدرته ﷻ التامة العظيمة التي لا تنسب قدرة الخـــلق إليها (٣) .

وقد جاء (الأمر) هنا يراد به خلق عيسى عليه السلام فهو شأن من الشؤون الكثيرة التي يقضيها الرب ﷻ، يقول الشيخ العثيمين : "(أمراً) مفرد ، جمعه أمور أم أوامر ؟ الجواب : أمور ، لأن المراد بالأمر هنا الشأن ، يعني إذا قضى شأناً ، أي شأناً من الشؤون فإنما يقول له : كن فيكون " (٤) .

وقد جاء الفصل بين قوله : (قالت ربي أنى يكون لي ولد و لم يمسسني بشر) وما قبلها لشبه كمال الاتصال ، لأن هذه الجملة جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى ، وكذلك في قوله : (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) ، يقول أبو السعود : "(قالت) استئناف مبني على سؤال ، كأنه قيل : فماذا قالت مريم حين قالت الملائكة ما قالت ؟ ، فقيل : قالت متضرعة إلى ربها : (رب أنى يكون لي ولد) "(٥) ،

---

1 : ينظر مفتاح العلوم١٦٣ والطراز ١٤٦/١ والبرهان ٤٢٧/٣ للزركشي
2 : أسرار البلاغة ١٨٠
3: ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٧٥/٢
4 : المرجع السابق .
5: تفسير أبي السعود ٣٧/٢

ويقول: "(قال) استئناف كما سلف" (١) ، وفصل بين قوله :(إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ؛لأنها جاءت مؤكدة لقوله : (الله يخلق ما يشاء) فبين الجملتين كمال اتصال .

وفي قوله : (فإنما يقول له كن فيكون) أسلوب قصر ، حيث قصر القول على التكوين ، وهو قصر حقيقي جاء في سياق الحديث عن قدرة الله على خلق عيسى ﷺ" فالقصر في هذه الآية بمترلة قصر القلب مترلة فيه مريم مترلة من يعتقد عكس الخبر لدهشتها وغرابته "[٢] ، ولأن مريم كانت في وضع نفسي صعب تحتاج فيه إلى من يثبت فؤادها ويطمئن قلبها ، استعمل (كذلك) لتثبيت وتقرير الأمر ، يقول الشيخ العثيمين : "وإنما تأتي هذه الصيغة للتقرير والتثبيت ، يعني الأمر مثلما وقع تماماً " [٣] .

١٦١ـ وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥ ﴾ [الطَّلاق:٥] .

هذه الآية تتحدث عن الالتزام بحكم الله وثواب من امتثل به ، و(الأمر) في قوله :(ذلك أمر الله) مفرد (الأمور) ويراد به الحكم ، يقول الزمخشري :" يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ، والمعنى ومن يتق الله ، في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم "[٤] .

ويقول الطاهر بن عاشور : " والأمر في قوله (أمر الله) حكمه وما شرعه لكم "[٥].

والتعبير بلفظ (الأمر) فيه حث على الامتثال بأمر الله ، يقول الطاهر بن عاشور : "وأعيد التحريض على العمل بما أمر الله بالوعد بما هو أعظم من الأرزاق وتفريج الكرب وتيسير الصعوبات في الدنيا "[٦].

وأيضاً في التعبير بالمضارع (يتق) و(يكفر) و(يعظم) دلالة على الاستمرارية ، وبهذا يتضح لي ــ والله أعلم ــ أن هذه الآية مع ما قبلها من آيات استعملت في الأفعال المضارعة التي تدل على الاستمرارية لأنها تتحدث عن حكم مستمر وهو حكم الطلاق .

1: المرجع السابق .
2 : أسلوب القصر في محكم النظم ٢٥١
3 : تفسير القرآن العظيم ٢/٢٧٥
4 : الكشاف ١٤٨/٦
5: التحرير والتنوير مج١١ ٣٢٤/٢٨
6: المرجع السابق

١٦٢_وقال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ ﴾ [الطّلاق:٨-٩] .

بعد أن بيّن أحكام الطلاق الكثيرة ووجوب الالتزام بها ، حذّر في هذه الآية من يخالفها أنه سيصيبه العذاب كما أصاب الأقوام السابقة [1]. و(الأمر) في قوله (عتت عن أمر ربها) إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد بها حكم الله وشرعه ، وذلك أن سياق الآية التحذير من مخالفة حكم الله ، أو يكون الأمر حقيقياً ، فيكون المعنى أن تلك القرى خالفت أمر الله وخالفت رسله فحلَّ بهم العقاب كما أشار إلى ذلك البغوي والرازي [2] .

الأمر بمعنى الوحي :

١٦٣_قال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [النحل:٢] .

بعد أن نزّه الله ﷻ نفسه عن الشريك في قوله :(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [النحل:١] قفّى ذلك بتبرئة الرسول ﷺ، فقال : (يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) و (الأمر) إما أن يكون مفرد (الأمور) ويكون بمعنى القدرة ، فالوحي يترل على الرسول ﷺ بقدرته ﷻ بواسطة الملائكة ، يقول الرازي : "في الآية فوائد : الفائدة الأولى : أن وصول الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء لا يكون إلا بواسطة الملائكة " [3] .

وفصل جملة (يترل الملائكة بالروح من أمره) عما قبلها وهي قوله: (سبحانه وتعالى عما يشركون) ؛ لأنها جاءت بياناً لتحتم التوحيد حسبما نبّه عليه تنبيهاً إجمالياً ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه [4] ، فبين الجملتين كمال اتصال ، وفصل قوله : (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) عما قبلها ؛ لأنها جاءت بدلاً من الروح والمعنى : أي : يترلهم متلبسين بأن أنذروا ، أو تكون مفسرة على أن تتريل

[1]: ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٠٨/٣

[2]: ينظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٦١ ، و التفسير الكبير ٣٠ / ٢٤

[3]: التفسير الكبير ١٧٦/١٩

[4]: ينظر: تفسير أبي السعود ٩٥/٥

الملائكة بالوحي ففيه معنى القول ، كأنه قيل : يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده أن أنذروا [1] ، فبين الجملتين كمال اتصال .

١٦٤ ــ وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٧٣]

سياق الآية ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وما أنعم الله به عليه من أولاد صالحين يهدون الناس إلى دينهم .

و(الأمر) في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأمور) بمعنى الوحي ، يقول الشيخ بن عاشور : "أي كونوا هادين بأمر الله ، وهو الوحي زيادة على الجعل " [2] .

أو يكون (الأمر) مفرد (الأوامر) ، ويكون (الأمر) على حقيقته كما أشار إلى ذلك الزمخشري عندما ذكر " أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله "(٣) ، ويقول الرازي : " (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وفيه قولان ، أحدهما : أي جعلناهم أئمة يدعون الناس إلى دين الله تعالى والخيرات بأمرنا وإذننا ، الثاني : قول أبي مسلم أن هذه الإمامة هي النبوة ، والأول أولى لئلا يلزم التكرار "[4] .

وقد عطف جملة (أوحينا إليهم فعل الخيرات ...) على (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) ؛ لأن من صلح ليكون قدوة في دين الله عليه أن يهتدي بنفسه ، لأن الانتفاع بهداه أعم ، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل [5] .

وفي الآية إطناب بذكر الخاص بعد العام في قوله :(وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) للدلالة على فضلها ، وتنويهاً بشأنهما ؛ لأنه بالصلاة صلاح النفس وبالزكاة صلاح المجتمع [6] .

1: ينظر: المرجع السابق
2: التحرير والتنوير مج ٧ ١١٠/١٧
3: الكشاف ١٥٦/٤
4: التفسير الكبير ١٦٦/٢٢
5: ينظر الكشاف ١٥٦/٤
6: ينظر تفسير أبي السعود ٧٧/٦ والتحرير والتنوير مج٧ ١١١/١٧

١٦٥ـ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤] .

جاءت هذه الآية في سياق قصة موسى عليه السلام والغرض من إيراد هذه القصة تسلية للرسول ﷺ، والمعنى : " لنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين "[1] .

و(الأمر) في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد به (الوحي) ، والمعنى : ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا ، يقول الطاهر بن عاشور: "والأمر يشمل الوحي بالشريعة لأنه أمر بها "[2] ، وقد يكون المعنى (التوفيق) ، يقول الشهاب : " قوله (بأمرنا إياهم به) أي : بأن يهدوا أي فالأمر واحد الأوامر ، وعلى مابعده واحد الأمور والمراد به التوفيق " [3] .

وقد يكون مفرد (أوامر) ويكون على حقيقته ، لأن سياق الآية الحديث عن علماء بني إسرائيل ، وهؤلاء العلماء قد أمرهم الله ــ سبحانه ــ بأن يرشدوا الناس إلى الكتاب ، يقول الزمخشري : " (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعوهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات "[4] .

وقد عطف جملة (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) على قوله :(وجعلناه هدى لبني إسرائيل) فقد جعل الله كتاب موسى هدى ، وجعل من بني إسرائيل أئمة ، وفي هذا تسلية للرسول ﷺ بأنه سبحانه وتعالى سيجعل القرآن هدى للناس ، ومن أمته صحابة يهدون إلى الحق . والتركيب في قوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) [سورةالسجدة : ٢٤] تركيب متشابه مع قوله سبحانه في سورة الأنبياء : (وَجَعَلْنَاهم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) [سورة الأنبياء : ٧٣] ففي التركيب الأول جاء بـ(من) التبعيضية ، لأنه جاء في سياق الحديث عن بني إسرائيل ، ومجيء (من) لتخصيص الحديث عن هؤلاء الأئمة وإخراجهم من الجماعة الضالة ، أما في سورة الأنبياء فسياق الآية الحديث عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وهؤلاء هم الأئمة ، لذا لم ترد (من) التبعيضية في هذا السياق ، يقول د: عبد المجيد ياسين

---

[1] : الكشاف ٥ /٣٨

[2] : التحرير والتنوير مج٧ ٢٣٧/٢١

[3] : حاشية الشهاب ٧ / ٤٥٣

[4] : الكشاف ٣٢/٥

عن هذه الآية: " تتحدث عن بني إسرائيل أيضاً ولكن بعد فرعون وبعد نزول التوراة ، وبعد تفرقهم فيها ، فجعل منهم أئمة من الذين صبروا وظلوا يوقنون بآيات الله ويؤمنون بها ويلتزمون بما فيها "([1])، ويقول عن الآية التي وردت في سورة الأنبياء :"تتحدث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام وابنيه إسحاق ويعقوب عليهم السلام قال تعالى :(ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين) [الأنبياء : ٧٢] فالأئمة هم إبراهيم وإسحاق ويعقوب " ([2]).

والتعبير بالأفعال المضارعة (يهدون) و(يوقنون) في سياق الحديث عن قصة ماضية لاستحضار الصورة التي كان عليها هؤلاء الأئمة ، والله أعلم .

١٦٦ــوقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطَّلاق:١٢] .

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى الوعيد الذي سيلحق بمن يخالف شرعه وحدوده ختم الله سبحانه وتعالى هذه السورة بما يدل على عظمته وقدرته ، فعلى الناس ألا يتعدوا حدوده ويتقوه [3] .

و(الأمر) هنا إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد به الوحي ، كما أشار إلى ذلك ابن عطية حين قال : "و(الأمر) هنا الوحي وجميع ما يأمر به تعالى من يعقل ومن لا يعقل ، فإن الرياح والسحاب وغير ذلك مأمور كله "[4] ، أو يكون بمعنى القضاء والقدر ، يقول أبو السعود : "أي يجري أمره وقضاؤه "([5])، ويقول الآلوسي : " والأكثرون على أنه القضاء والقدر كما سبق " [6] ، فجميع ما في السماوات والأرض من حياة أو موت أو نجاة أو هلاك إنما هي بقضاء الله وقدره [7].

أو يكون المراد بالأمر مفرد (الأوامر) ، والمعنى : أن الله سبحانه وتعالى يجري أمره من حياة أو موت وسلامة وهلاك وما إلى ذلك في كل سماء من سماواته وأرض من أرضه [8]، يقول الطاهر بن عاشـــور : " ومعنى

---

1 : المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ٢١٠
2 : المرجع السابق
3 :ينظر: التحرير والتنوير مج١١ ٣٣٩/٢٨
4 :المحرر الوجيز ١٨٧٠
5 :تفسير أبي السعود ٨/ ٢٦٥
6 : روح المعاني مج١٥ ٢٨/ ٢٠٩
7 : ينظر : زاد المسير ١٣٣٩
8 : ينظر: الكشاف ١٥٢/٦ ، والتفسير الكبير ٣٦/٣٠

(يتزل الأمر بينهن) أمر الله بالتكوين أو بالتكليف يبلغ إلى الذين يأمرهم الله به من الملائكة ليبلغوه ، أو لمن يأمرهم الله من الرسل ليبلغوه عنه ، أو من الناس ليعلموا بما فيه ، كل ذلك يقع فيما بين السماء والأرض " [١] .

وسواء أريد بالأمر مفرد (الأوامر) أو مفرد (الأمور) فإن الغرض منه إظهار عظمته وقدرته ﷻ وقوله :(الله الذي خلق السماوات والأرض) مبتدأ وخبره ، والتصريح بذكر المسند إليه مع أنه معلوم لدى المخاطب ، فلا خالق للسماوات والأرض إلا هو سبحانه ، لأن في ذكره "تعظيماً للمذكور "(٢) ، وتكرار المسند إليه لفظ الجلالة (الله) في قوله :(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) إظهار في موضع الإضمار ، فلم يقل: (إنه على كل شيء قدير) و لم يقل :(وأنه قد أحاط بكل شيء علماً)، وذلك لتقرير وتأكيد المسند إليه في ذهن السامع في سياق الحديث عن قدرته ﷻ . وقوله :(سبع سماوات ومن الأرض مثلهن) جاء استعمال بـــ(السماوات) جمعاً ، و(الأرض) مفرداً ، لأن سياق الآية الدلالة على سعة العظمة والكثرة ، وفي هذا دلالة على قدرته ﷻ يقول السيوطي :" وأما السماء ذكرت تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد لنكت تليق بذلك المحل ... والحاصل أنه حيث أريد العدد أتي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة "[٣] .

الأمر بمعنى الكفر:

١٦٧ــوقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحشر:١٥] .

الحديث في هذه الآية عن اليهود وما يتظاهرون به من قوة وبأس في حين إضمارهم الخـــوف مـــن المسلمين فمآلهم كمآل أهل بدر .

و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ، ويراد به (الكفر)، يقول أبوالسعود :" (ذاقـــوا وبـــال أمـــرهم) أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا " [4] ، ويقول الشهاب :" سوء العاقبة هو معنى الوبال

---

[1] :التحرير والتنوير مج١١ ٢٨/٣٤١

[2] :ينظر: مفتاح العلوم ٨٥ (الحالات التي تقتضي إثبات المسند إليه)

[3] : الاتقان للسيوطي ٤٥٩ ، وينظر صفاء الكلمة ١٢١

[4] : تفسير أبي السعود ٨ / ٢٣١

والكفر معنى الأمور " (١) أو يكون المراد بالأمر (القتل ببدر) يقول البغوي :" (ذاقوا وبال أمرهم) يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النظير " (٢).

وفي هذه الآية حذف ، فقد حذف المبتدأ تقديره (مثلهم) ، وهذا تشبيه تمثيلي ، حيث شبه حالهم المركبة من إظهار البأس مع إضمار الخوف من المسلمين ، والتفرق بينهم ، وخذلان المنافقين لهم بحال الذين كانوا من قبلهم (بني النظير) أظهروا الاستعداد للحرب وأبوا الجلاء فلم يحاربوا إلا في قريتهم إذ حصنوها وقبعوا فيها حتى أعياهم الحصار ثم اضطروا إلى الجلاء و لم ينفعهم المنافقون ولا إخوانهم من أهل الكتاب(٣).

نظير هذه الآية :

١٦٨ ـ قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ﴾ [التغابن:٥].

الأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) ويراد به الكفر ، يقول أبو السعود : " وأمرهم : كفرهم ، عبّر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة ، أي لم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا " (٤) .

وفي قوله: (ذاقوا وبال أمرهم) مجاز ، حيث شبه عاقبة كفرهم بطعام كريه ، حذف المشبه به وأتى بلازم من لوازمه وهو (الذوق) فالاستعارة مكنية ، يقول الطاهر بن عاشور : " والذوق مجاز في مطلق الإحساس والوجدان وشبّه ما حلّ بهم من العذاب بشيء ذي طعم كريه يذوقه من حل به ويبتلعه لأن الذوق باللسان أشد من اللمس باليد أو الجلد " (٥) .

١٦٩ ـ وقال تعالى : ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ۝٩ ﴾ [الطَّلاق:٩].

والأمر هنا مفرد (الأمور) ويراد به الكفر ، يقول البغوي :" (فذاقت وبال أمرها) جزاء أمرها ، وقيل : ثقل عاقبة كفرها "(٦) ، وفي (الذوق) مجاز مرسل علاقته السببية ، فالذوق يراد به الإحساس ،

---

1 : حاشية الشهاب ٩ / ١٤٥
2 : تفسير البغوي ٤ / ٣٢٢
3 : ينظر التحرير والتنوير مج١١ ٢٨/١٠٨ .
4 : تفسير أبي السعود ٨ / ٢٥٦
5 : التحرير و التنوير مج١١ ٢٨/ ٢٦٨
6 : تفسير البغوي ٤/ ٣٦١

أطلق السبب و أراد المسبب عنه وهو (الإحساس) ، يقول الطاهر بن عاشور : " والذوق : هنا الإحساس مطلقاً وهو مجاز مرسل " ([1]) .

١٧٠ـوقال تعـــالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد:٢٦] .

نزلت هذه الآية في بني إسرائيل ، فقد روي أن قوماً من بني قريظة وبني النضير كانوا يعدون المنافقين في أمر رسول الله ﷺ بنصر ومؤازرة[2] .

و(الأمر)في هذه الآية إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد به الكفر،والمعنى: نطيعكم في بعض شؤون الكفر ولا نطيعكم في جميع الشؤون حتى لا يفتضح أمرهم[٣].

وقد يكون المراد بـــ (الأمر) مفرد (الأوامر) ويراد به الأمر الحقيقي ، والمعنى: سنطيعكم في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والتعاون على عداوة محمد ﷺ [٤] ، يقول الزمخشري :"ومعنى (في بعض الأمر) في بعض ما تأمرون به ،أو في بعض الأمر الذي يهمكم" [٥] ، يقول ابن عاشور : " والأمر هو : شأن الشرك وما يلائم أهله ، أي نطيعكم في بعض الكفر ولانطيعكم في جميع الشؤون ، لأن ذلك يفضح نفاقهم أو المراد في بعض ما تأمروننا به من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول كالخلق على المخلوق " ([٦]) وقد فصلت هذه الآية عما قبلها، لأنها جاءت جواباً لسؤال يفهم مما قبلها ، فكأن سائلاً يسأل عن مظاهر تسويل الشيطان لهم ،فأجيب بأن الشيطان استدرجهم إلى الضلال فسول لهم أن يوافقوا أهل الشرك والكفر في بعض الأمور مسولاً أن تلك الموافقة في بعض الأمر لا تنقض اهتداءهم [٧] فبين الجملتين شبه كمال اتصال. ومجيء الفعل(نزل) ماضياً بالتشديد ليناسب سياق الآية ، فالمنافقون كارهون ما أنزل الله ،فهو ثقيل على أنفسهم ، فجاء التشديد ليناسب ما وقع في أنفسهم من شدة ـــوالله أعلم ـــ. أما الفعل المضارع (يعلم) المسند إلى الله ﷻ فهو فعل خالد مستمر إلى قيام الساعة ، فهو سبحانه علام الغيوب ، يعلم سر المنافقين في كل زمان ومكان.

1: التحرير والتنوير مج ١١ ٢٨ / ٣٣٥

2: ينظر المحرر الوجيز ١٧٢٥

3: ينظر التحرير والتنوير مج١٠ ١١٧/٢٦

4: ينظر تفسير البيضاوي ٥٠٥/٨

5: الكشاف ٥٢٧/٥

6: التحرير والتنوير مج ١٠ ٢٦ / ١١٧

7: ينظر المرجع السابق مج١٠ ١١٦/٢٦

الأمر بمعنى الحرب:

١٧١ــ وقـــوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٢] .

سياق الآية الحديث عن (أحد) وما كان فيها من خلاف بين الرماة حين انهزم المشركون . و(الأمر) هنا إما أن يكون مفرد (الأمور) ويراد به شأن الحرب [1] بقرينة سياق الآية .

أو يكون (الأمر) مفرد (الأوامر) ، ويراد به الأمر ضد النهي ، والمعنى أنهم اختلفوا في أمر الرسول ﷺلهم بالبقاء في أماكنهم ، يقول الرازي :" قوله (في الأمر) فيه وجهان ، الأول : أن الأمر ههنا بمعنى الشأن والقصة ، أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن ، والثاني : أنه الأمر الذي يضاده النهي ، والمعنى : تنازعتم فيما أمركم الرسول به من ملازمة ذلك المكان "[2] ، والمعنيان متلازمان كما قال الشيخ العثيمين :" والمعنيان متلازمان لأنهم لما اختلفوا في أمر الرسول تنازعوا في شأنهم أي في أمـــرهم "[3] .

وقد فصل قوله تعالى : (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ) عـــما قبـــلـــها ، لأنها جاءت تفصيلاً لتنازعتم وتبياناً لـــ عصيتم [4] ، فبين الجملتين كمال اتصال .

ومن خلال التأمل في أسلوب الآية يلحظ أنه أسلوب خبري ، وقد جاءت بعض الجمل مؤكدة بأكثر من مؤكد وذلك مثل قوله تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده) و :(ولقد عفا عنكم) ، ولعل في ذلك تطميناً لقلوب المؤمنين ، وتسكيناً لخواطرهم بعد تقريعهم على معصية الرسول ﷺ . واستعمال الأفعال

---

[1]: ينظر : روح المعاني مج٣ ٤/١٤٠
[2]: التفسير الكبير ٣١/٩
[3]: تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/٢
[4]: ينظر: التحرير والتنوير مج٢ ١٢٧/٤

المضارعة (تحسونهم ، تنازعتم ، تحبون ، يريد) جاءت في سياق الحديث عن أمور ماضية ، وذلك لاستحضار الصورة التي كان عليها المؤمنون يوم أحد .

ومجيء (إذ) للمضي وبعدها المضارع (تحسونهم) لإفادة التجدد ، أي لحكاية تجدد الحس في الماضي (١) , ومجيء (فضل) نكرة في قوله تعالى : (والله ذو فضل على المؤمنين) للتعظيم (٢) ، أي أن الله ذو فضل عظيم على المؤمنين فقد عفا عنهم عليه السلام بعدما ظهر منهم التوبة والندم .

وكذلك في قوله تعالى : (والله ذو فضل على المؤمنين) جاء الإظهار في موضع الإضمار لتشريفهم بهذا الوصف ، وللعموم لأن قوله (على المؤمنين) تشملهم وغيرهم (٣) .

وقوله تعالى : (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) مقابلة توضح الفرق بين الفريقين من الرماة حينما اختلفوا في أمر رسول الله ﷺ فمن اتبع أمره أراد بذلك الآخرة ، ومن خالفه أراد الدنيا والغنيمة .

١٧٢ـ وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

سياق الآية الحديث عن الحرب ، أمر الله فيها سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ بأوامر متدرجة ، وهي : العفو عن المؤمنين الذين فروا يوم أحد ، والاستغفار لهم ومشاورتهم في الحرب (٤) . وقد جاء (الأمر) مفرد (الأمور) ويراد به (الحرب) ، يقول الزمخشري : "يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم يترل عليك فيه وحي ، لتستظهر برأيهم"(٥) .

ويقول الشيخ العثيمين :"وكلمة الأمر : المراد بها واحد من الأمور لا واحد من الأوامر ، لأن الأوامر لا يستشير فيها أحداً ، الأوامر يؤمر بها شرعاً ...." (٦) .

1: تفسير أبي السعود ٢/٩٩
2: ينظر: المرجع السابق ، وتفسير القرآن العظيم ٢/٣١٢
3: ينظر: روح المعاني مج٣ ٤ /١٤٢
4: ينظر المحرر الوجيز ٣٧٦
5: الكشاف ١/٦٤٦
6: تفسير القرآن العظيم ٢/٣٦٦

وقد وصل بين قوله: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) ؛ لأن هذه الأمور مرتبطة ببعض ومتدرجة ، فقد أمر الله رسوله الكريم بالعفو عمَّا له في خاصته عليهم من تبعة وحق ، ثم يستغفر لهم فيما لله عليهم من حق ، فإذا صاروا إلى هذه الدرجة كانوا أهلاً للاستشارة [1] .

وتنكير (رحمة) للدلالة على التعظيم والتفخيم [2]، أي برحمة عظيمة من الله . وقوله (لانفضوا من حولك) فيه استعارة ، وذلك لأن أصل الفض معناه التفرق ، فشبه هيئة نفور الصحابة من الرسول ﷺ والدخول في دينه بالانفضاض من حوله أي الفرار عنه متفرقين ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به فهي تصريحية [3] . وقوله : (من حولك) أبلغ من قوله (منك) ؛ لأن قوله من حولك يعني أنهم ابتعدوا عنه وعن المكان الذي هو فيه ، فهم يبعدون كل البعد عنه ﷺ[4] . وبين قوله :(لنت لهم) و:(ولو كنت فظاً غليظ القلب) طباق " فالغلظ ضد اللين والرقة " [5] ، ومن هذا الطباق يتضح الحال التي كان عليها رسول الله ﷺ مع الصحابة .

١٧٣ــوقوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١] .

هذه الآية تصف حال المنافقين من كسل وفشل وحرص على فساد الدين وأهله [6] .

وقد جاء (الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى الحرب والقتال ، يقول الشوكاني : " (فإذا عزم الأمر) عزم الأمر جدّ الأمر ، أي : جدّ القتال ووجب وفرض"[7] ، وإسناد العزم إلى الأمر مجاز عقلي ، لأن العزم يسند إلى صاحب الأمر لا الأمر ، يقول الزمخشري :" (فإذا عزم الأمر) أي جد ، والعزم والجد لأصحاب الأمر ، وإنما يسند إلى الأمر إسناداً مجازياً " [8] .

وفي قوله :(عزم الأمر) مجاز لغوي ، حيث شبه (الأمر) برجل عزم على عمل ما ، وإثبات العزم له تخييل ، فالاستعارة مكنية [9] .

1: ينظر المحرر الوجيز ٣٧٦

2: ينظر : تفسير أبي السعود ١٠٥/٢

3: ينظر التحرير والتنوير مج ٢ ١٤٦/٤

4: ينظر تفسير القرآن العظيم ٣٦٤/٢

5: بصائر ذوي التمييز ١٩٤/٤

6: ينظر المحرر الوجيز ١٧٢٣

7: فتح القدير ٣٨/٥

8: الكشاف ٥٢٥/٥

9: ينظر: التحرير والتنوير مج١٠ ١١٠/٢٦

وفي الآية إيجاز حذف ، إما أن يكون المحذوف مبتدأ ، وتقديره : أمرهم طاعة وقول معـــروف ، أو يكون المحذوف خبراً لمبتدأ ، وتقديره : طاعة و قول معروف خير لهم ، والحذف هنا إشارة إلى خديعة المنافقين وتسللهم من الحرب إذا عزم الأمر [1]

الأمر بمعنى القيامة :

١٧٤_وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ ﴾ [النحل:١] .

قال السيوطي في سبب نزول هذه الآية :" أخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال : لما نزلت (أتى أمر الله) وغر أصحاب رسول الله ﷺ حتى نزلت (فلا تستعجلوه) فسكتوا " [2] .

و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ويراد به (القيامة) ، وهذا المعنى الذي عليه جمهور العلماء [3] . وقد عبّر بالأمر وأضيف إلى الله ﷻ للتفخيم والتهويل [4] . وقد عّبر بالفعل (أتى) دون (جاء) للدلالة على قربه وسهولته ، وأنه في حكم ما ألّم بكم . وفي اجتماع الفعل الماضي (أتى) مع النهي (فلا تستعجلوه) تقريع للكفار ، وإعلام بأن ما يستعجلونه سهل الوقوع [5] . وعبّر بالماضي عن المستقبل مجازاً للدلالة على أنه واجب الوقوع ، فهو بمترلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه [6] ، وإذا كان قوله :(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) بمعنى القيامة واقعة لا محالة وأهَا قريبة التحقق ، ومع ذلك مازال المشركون على تعنتهم وعبادهم لأصنام لا تنفع ولا تضر ، فكأهم بهذه الحال يدّعون أن هذه الأصنام تشفع لهم ، فتره نفسه ﷻ عن شركة الشركاء والأضداد والأنداد بقوله :(سبحانه وتعالى عما يشركون) [7] ، والتعبير بالفعل المضارع (يشركون) للدلالة على تجدد إشراكهم واستمراره [8] .

---

1 : ينظر : الكشاف ٥/٥٢٥ والمحرر الوجيز ١٧٢٣

2: لباب النقول ١٣٣

3: ينظر : تفسير البغوي ٣/٦١ و الكشاف ٣/٤٢٣ وتأويل مشكل القرآن ٢٧٦ والوجوه والنظائر ٤١

4 : ينظر : تفسير أبي السعود ٥/٩٤

5 : ينظر : الإتيان والمجيء ١٩

6 : ينظر : الكشاف ٣/٤٢٢ والتفسير الكبير ١٩/١٧٤

7 : ينظر: التفسير الكبير ١٩/١٧٤

8: ينظر: تفسير أبي السعود ٥/٩٤

١٧٥ـوقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [غافر:٧٨]..

سياق الآية مع ما قبلها الحديث عن المكذبين للرسل ، وفي هذه الآية تعزية للرسول ﷺ بما لقيه الرسل من قبله، " وفيها ردّ على العرب الذين قالوا : إن الله تعالى لا يبعث بشراً رسولاً واستبعدوا ذلك " [1].

والمراد بالأمر هنا القيامة ، يقول الزمخشري : " وأمر الله : القيامة "[2] ، وقد يكون المراد بالأمر هنا القضاء [3] ، أو العذاب في الدنيا والآخرة [4] ، أو يكون بمعنى إذن الله في ظهور الآيات الدالة على صدق محمد ﷺ ، وكل هذه المعاني مناسبة لهذا السياق ، فيوم القيامة يقضي الله فيه بين الأمم وفيه يعذب المكذبين للرسول ﷺ ، ويظهر صدقه ﷺ .

وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن العدول عن إذن الله إلى (أمر الله) تعريض بأن ما سيظهر الله من الإذن لمحمد ﷺ هي آيات عقاب لمعانديه [5] . وبالتأمل في هذه المعاني التي ذكرها المفسرون يلحظ أنها معان متقاربة وكلها مسببة عن أمر الله ﷻ ، والتعبير بالفعل (جاء) الدال على الصعوبة لأن سياق الآية وعيد للمكذبين بحلول العذاب لعنادهم واستكبارهم ، " فالموقف فيه شدة ورهبة وقهر"[6] .

وتنكير(رسلاً) للتكثير والتعظيم [7] . والتأكيد في قوله :(ولقد أرسلنا رسلاً) فيه تعريض بالمشركين المعاندين لرسول الله ﷺ فما كان لواحد من هؤلاء الرسل الكثير أن يأتي بآية أو معجزة إلا بإذنه ﷻ. وبناء الفعل (قضي) لما لم يسم فاعله لأن الفاعل معلوم لدى المخاطب لا يجهله ، وهو الله ﷻ. وفي قوله:(وخسر هنالك المبطلون) استعارة ، حيث شبه الضرر الذي سيلحق المكذبين إذا جاء أمر الله بخسارة التاجر الذي يريد الربح فيخسر [8] ، بجامع الندم وعدم الانتفاع ، فالاستعارة تصريحية .

1: المحرر الوجيز ١٦٤٤

2 : الكشاف ٥/ ٣٦٢ وينظر : المحرر الوجيز ١٦٤٤ والتفسير الكبير ٧٧/٢٧

3 : ينظر : تفسير البغوي ١٠٥/٤ وزاد المسير ١٢٥٠

4: ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/٣ وتفسير أبي السعود ٧/ ٢٨٥

5 : ينظر : المرجع السابق .

6 : ينظر : الإتيان والمجيء ٢٢

7: ينظر مواهب الفتاح ١ / ٣٥٢ (من شروح التلخيص) لابن يعقوب المغربي ، دار السرور ، بيروت ، لبنان

8 : ينظر : التحرير والتنوير مج٩ ٢١٣/٢٤

الأمر بمعنى الكيد :

١٧٦ـ قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يوسف:١٠٢]

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ وذلك بعد أن قصَّ الله عليه هذه القصة العجيبة التي هي من أخبار الغيب ، لتدل على نبوته ﷺ وفي هذا تعريض بالمشركين .

والأمر في هذه الآية بمعنى الكيد والمكر ، وهو إلقاء يوسف عليه السلام في الجب ، يقول البغوي : " (إذ أجمعوا أمرهم) أي : عزموا على إلقاء يوسف في الجب "[1] .

وفي ذكر هذه القصة تهكم بقريش ، لأن الرسول ﷺ لم يكن حاضراً لهذه القصة ، إنما هو وحي منه سبحانه وتعالى ، يقول الزمخشري : " والمعنى : أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا جهة الوحي ، لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر ، كقوله : (وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه "[2] .

واسم الإشارة (ذلك) إما أن يكون دالاً على البعد الحقيقي ، فالقصة حصلت في وقت بعيد جداً عن زمن الرسول ﷺ ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإخبار بها أو يكون منه الإشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من بعد مترلته عليه السلام [3] .

وختم هذه الآية بقوله: (وهم يمكرون) تقدم فيها المسند إليه على خبره الفعلي لتأكيد المعنى وتقريره، وجاء الفعل (يمكر) مضارعاً لتجدد هذا الفعل منهم حتى نهاية القصة ، حين قالوا : (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ولعل ختم القصة بهذه الآية تعريض بالمشركين وأمرهم ، فقد ذكر الرازي في تفسيره أن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺ على سبيل التعنت ، فلما ذكرها أصروا على كفرهم فترلت هذه الآية [4] .

١٧٧ـ وقال تعالى : ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الزُّخرف:٧٩]

نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي ﷺ في دار الندوة حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله ، فتضعف المطالبة بدمه فترلت هذه الآية ، وقتلهم الله جميعاً

[1] : تفسير البغوي ٤٥٢/٢

[2] : الكشاف ٣٢٧/٣

[3] : ينظر : التفسير الكبير ١٧٨/١٨

[4] : ينظر : تفسير مقاتل ١٩٧/٣

ببدر [1] والأمر في هذه الآية بمعنى الكيد والمكر ، يقول البغوي : "(أم أبرموا) أحكموا (أمراً) في المكر برسول الله ﷺ"([2]) وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن الأمر بمعنى : العمل الخطير والعظيم ، وهذا المعنى متوافق مع المعنى السابق ، فكيدهم ومكرهم كان عملاً خطيراً وعظيماً ، فقد أرادوا قتل الرسول ﷺ واختلاف صيغتي الإبرام في قوله :(أبرموا) فعل ماض و(مبرمون) اسم فاعل ، لأن إبرامهم واقع ، وأما إبرام الله جزاء على إبرامهم ، وهذا توعد من الله لهم ، وفي الإبرام[3] استعارة [4] ؛ لأن أصل الإبرام الفتل المحكم ، فقد شبه إحكام كيدهم ومكرهم وما دبروا لرسول الله بالإبرام ، بجامع الإحكام في كل منهما ، فالاستعارة تصريحية .

الأمر بمعنى الفعل :

١٧٨ـقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٩٥ ﴾ [المائدة:٩٥] .

الخطاب في هذه الآية موجه للمؤمنين ، وفيها بيان حكم من أحكام الإحرام ، وقد جاء (الأمر) مفرد (الأمور) ، يراد به (الفعل) وهو قتل الصيد ، يقول بن عاشور : "والأمر : الشأن والفعل ، أي أمر من قتل الصيد متعمداً " [5]، وقد يكون الضمير في (أمره) عائداً على الله ﷻ والمعنى : ليذوق وبال مخالفته لأمر الله ، فيكون الأمر على هذا حقيقياً ، لكن هذا لا يتناسب مع السياق ، لأن أمر الله لا وبال فيه إنما الوبال في مخالفته ، يقول الآلوسي : " وضمير (أمره) إما لله تعالى ، أو لمن قتل الصيد ، أي ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتك حرمة ما هو فيه ، أو الثقل الشديد على مخالفتة أمر الله تعالى القوي ، وعلى هذا لابد من تقدير مضاف كما أشرنا إليه ، لأن أمر الله تعالى لا وبال فيه وإنما الوبال في مخالفته " [6] .

1: ينظر : تفسير البغوي ١٤٦/٤

٤: المرجع السابق

2: المرجع السابق

3: أبرم الشيء : أحكمه : مختار الصحاح ٤٣

4: يقول الزمخشري في أساس البلاغة : "ومن المجاز : أبرم الأمر ، وأمر مبرم " (أساس البلاغة ٣٧)

5: التحرير والتنوير مج٣ ٥٠/٧

6: روح المعاني مج٥ ٧ /٤١

وقد فصل جملة (ليذوق وبال أمره) عما قبلها ، وهي قوله (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً)؛ لأنها جاءت جواباً لسؤال يفهم من الثانية ، فكأن أحداً يسأل عن العلة من هذا الحكم ؟ فكان الجواب : (ليذوق وبال أمره) .

١٧٩ــوقال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

قال السيوطي عن سبب نزول هذه الآية : " قوله تعالى (يسألونك عن الروح) أخرج البخاري عن ابن مسعود قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكئ على عسيب ، فمرّ نفر من قريش ، فقال بعضهم : لو سألتموه ، فقالوا ، حدثنا عن الروح ، فقال ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ، ثم قال :(الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[1] " (٢).

و(الأمر) في هذه الآية بمعنى الفعل ، فالروح من فعل الله ﷻ، يقول الرازي : " لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل ... فقوله (قل الروح من أمر ربي) أي من فعل ربي وتكوينه " (٣) ، وذلك إذا كان سؤالهم عن الروح هل قديمة أو حادثة ؟ فقال : " بل هي حادثة وإنما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجــاده "(٤).

أما إن كانت الروح بمعنى القرآن فإن المراد بـــ (الأمر) الوحي ، يقول الزمخشري : " وقيل : القرآن ، و(من أمر ربي) أي : من وحيه وكلامه ، ليس من البشر " (٥) .

وقد فصل جملة (قل الروح من أمر ربي) عما قبلها (ويسألونك عن الروح) لكمال الانقطاع ،لأن الأولى خبرية لفظاً ومعنى ، والثانية إنشائية لفظاً ومعنى .

وفي قوله :(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) أسلوب قصر ، حيث قصر موصوفاً وهو (وما أوتوا من العلم) على صفة (القليل) في جنب علم الله ، " وأسلوب القصر (النفي) و(إلا) كثير في القرآن في الأمور التي هي مجال للشك والإنكار " (٦) ، ولمّا كان اليهود أهل كتاب ، حيث نزلت عليهم التوراة وفيها علم وحكمة إلا أنه لا يقارن بعلم الله ، جاء في الكشاف : " وقيل: هو خطاب لليهود خاصة

---

[1]: صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله الله تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه) ص١٢٨٦ ، رقم الحديث ٧٤٦٢

[2]: لباب النقول ١٤٠

[3]: التفسير الكبير ٣٢/٢١

[4]: ينظر : المرجع السابق .

[5]: الكشاف ٥٤٨/٣

[6]: علم المعاني ٣٩٠ د . طالب الزوبعي

لأهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : قد أوتينا التوراة ، وفيها الحكمة ،وقد تلوت : (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) فقيل لهم : إن علم التوراة قليل في جنب الله " (١) .

الأمر بمعنى القول :

١٨٠ــقال تعالى :﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ [طه:٦٢].

الحديث في هذه الآية عن السحرة وما كان منهم من اختلاف الرأي في موسى عليه السلام هو على حق أم باطل !! والأمر في هذه الآية مفرد (الأمور) ويراد به القول ، كما ذكر ذلك الزمخشري ، يقـــول : " والظاهر أهم تشاوروا في السر ، وتجاذبوا أهداب القول ، ثم قالوا : إن هذان لساحران " (٢) ويقـــول الدامغاني : " الأمر يعني القول وكقوله تعالى : (فَتَنَازَعُوا أَمْـــرَهُمْ بَيْـــنَهُمْ وَأَسَـــرُّوا النَّجْـــوَى) " (٣)، وقــــوله :(فتنازعوا) تنازع على وزن تفاعل تدل على المشاركة ، فالسحرة اختلفت آراؤهم في موسى عليه السلام وحقيقة التزع : الجذب من البئر ، و التعبير بها هنا مجاز ، حيث شبه اختلاف آراؤهم ، ومحاولـــة كل صاحب رأي إقناع الطرف الآخر بالمنازعة والمجاذبة ، فالاستعارة تصريحية .

١٨١ــوقال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢].

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ويـــراد به القول ، يقول الشهاب : " وقد جوّز فيه إرادة الأمر القولي ، فيوافق قوله (إنما قولنا لشيء) فيراد به القول النافذ " (٤) .

وقد جاء الأمر في أسلوب القصر بـــ (إنما) " والأصل فيها أن تأتي في الأمور التي يدعى أهـــا مـــن الوضوح بمكان " (٥)، قصر أمره سبحانه على الكينونة ، فهو من قصر الموصوف على الصفة وهو قصر قلب اعتقاد منكري البعث (١) .

---

1 : الكشاف ٥٤٩/٣

2 : المرجع السابق ٩١/٤

3: الوجوه والنظائر للدامغاني ٤١ ، وينظر : نزهة الأعين النواظر ٦٠

4: حاشية الشهاب ٤٩/٨

5 : من بلاغة القرآن ١٢٣

الأمر بمعنى النصر:

١٨٢ـقـــال تعـــالى:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[آل عمران:١٥٤] .

الحديث في هذه الآية عن غزوة أحد ، وما كان من أمر النعاس الذي أمَّن الله به المؤمنين فغشي أهل الإخلاص منهم، وبقي المنافقون والذين في قلوبهم مرض [٢] . وقد جاء (الأمر) في هذه الآية ثلاث مرات ، وكلها مفرد (الأمور) ، ويراد به معاني مختلفة ، فمرة جاء بمعنى النصرة ، ومرة بمعنى القضاء ، والثالثة بمعنى الرأي والتدبير ، فقوله: (هل لنا من الأمر شيء)جاء الأمر هنا بمعنى (النصرة) ، يقول الزمخشري :"(هل لنا من الأمر شيء) معناه: هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط ، يعنون النصر والإظهار على العدو"[٣] .

وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن الأمر قد يكون بمعنى السيادة الذي منه الإمارة ، يقول : " والمراد بالأمر هنا شأن الخروج إلى القتال والأمر بمعنى السيادة الذي منه الإمارة"[٤] ، والأقرب ــ والله أعلم ــ أن الأمر هنا بمعنى النصرة كما أشار إلى ذلك معظم المفسرين [٥]، ولأن سياق الآية الحديث عن غزوة أحد ، وكان الرسول ﷺ قائداً للمسلمين ووليًاً لأمرهم ، فكيف يطلبون السيادة والإمارة وفيهم الرسول !! يقول الدامغاني : "الأمر بمعنى النصر، قوله تعالى في سورة آل عمران (يقولون هل لنا من

---

[1]: ينظر : التحرير والتنوير مج ٩ ٢٣ / ٧٩

[2]: ينظر المحرر الوجيز ٣٧١

[3]: الكشاف ٦٤٣/١ وينظر التفسير الكبير ١٣٩/٩ وتفسير أبي السعود ١٠١/٢

[4]: التحرير والتنوير مج٢ ١٣٧/٤

[5]: مثل :الزمخشري والرازي وأبي السعود.

الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله) يعني : النصر "[1]. وقوله تعالى : (قل إن الأمر كله لله) جاء الأمر هنا بمعنى القضاء ، يقول البيضاوي :"أي الغلبة الحقيقية لله تعالى وأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو القضاء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد " [2]. وقوله تعالى :(لو كان لنا من الأمر من شيء) جاء الأمر هنا بمعنى التدبير والاختيار ، وهو رأي ابن أبيّ بعدم الخروج من المدينة ، فهم يقولون لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن أبيّ وغيره [3] . وفصل قوله تعالى: (قل إن الأمر كله لله) عما قبلها لأنها جاءت رداً على المنافقين وإبطالاً لقولهم ، فكأن هذه الجملة جاءت جواباً لسؤال يفهم من الأولى وتقديره: بم أمر الله رسوله بالرد على هؤلاء المنافقين ؟ فقيل : قال الله لرسوله (قل إن الأمر كله لله) فبين الجملتين شبه كمال اتصال ــ والله أعلم ــ يقول الطاهر بن عاشور :"وفصلت الجملة جرياً على حكاية المقاولة"[4] ، وفصلت جملة (يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ههنا) لأنها وقعت جواباً لسؤال نشأ مما قبله، كأنه قيل : أي شيء يخفون؟ فقيل : يحدثون أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض خفية : (لو كان لنا من الأمر من شيء) [5]، فبين الجملتين شبه كمال اتصال .ومن خلال التأمل في قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم)جاء التعبير بالفعل المضارع (يغشى) وما قبله ماضياً (أنزل)؛ وذلك لأن المضارع هنا يدل على أمر متجدد، يقول البيضاوي :"وعن أبي طلحة ، غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه"[6] ،وكذلك الأفعال المضارعة (يظنون ، يقولون ، يخفون ، يبدون) جاءت في سياق الحديث عن المنافقين ، وهذه الأمور متجددة منهم ، وفي ذلك ذم لهم لتشكيكهم في انتصار الرسول ﷺ ومن معه . وفي قوله تعالى :(يخفون ، يبدون) طباق ، فيه إشارة إلى الحالة التي كان عليها المنافقون وبيان حالة القلق التي يعيشونها.

١٨٣ــقال تعالى:[إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ] [الأنفال:٤٢]

[1]: الوجوه والنظائر للدامغاني ٤٢

[2]: تفسير البيضاوي ٣/ ١٥٤ ،وينظر : تفسير أبي السعود ٢/ ١٠٢ ، و روح المعاني مج٣ ٤/ ١٤٨

[3]: ينظر : تفسير البيضاوي ٣/ ١٤٥ و حاشية الشهاب ٣ / ١٤٥

[4] التحرير والتنوير مج٢ ٤/١٣٨

[5]: ينظر : تفسير أبي السعود ٢/١٠٢

[6]: تفسير البيضاوي ٣/١٤٣

لما كان سياق هذه الآية الحديث عن معركة بدر وما كان فيها من نصر مؤزر للمسلمين وإذلال للمشركين جاء الأمر في قوله (وكان أمر الله مفعولاً)بمعنى النصر وقتل كفار مكة ، يقول البغوي : " (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه"(١). وقد جاء الأمر في أسلوب " ظاهره يقتضي تعليل أفعال الله وأحكامه بالأغراض والمصالح"(٢) فقوله (ليقضي الله) أي :"فعل ذلك ليقضي"(٣) ، فالله ﷻجعل اللقاء بين المسلمين والمشركين بلا موعد " ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل ، وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه " (٤) ، وقد فصل قوله :(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) عما قبلها؛ لأنها جاءت بدل اشتمال من جملة (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)لأن المراد هو نصر المسلمين وقهر المشركين ، وذلك قد اشتمل على إهلاك المهزومين (٥). وقوله تعالى: (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) إما أن يكون الهلاك والحياة على حقيقتهما ، ويكون الهلاك بمعنى الموت ، والحياة بمعنى النجاة ، وقد ذكر الشيخ ابن عاشور أنه وإن حُمل الهلاك على الحقيقة فإنّا لا نستطيع حمل الحياة على الحقيقة ، لأن حياة الأحياء ثابتة لهم من قبل يوم بدر (٦)، وقد جاء في حاشية الشهاب ما يحمل الرد على هذا الكلام ، فقد ذكر الشهاب أن المراد بالحياة هنا مشارفة الحياة ودوامها ، والمعنى : لتدوم حياة من أشرف لدوامها يقول :" وكذا لما لم يتصور أن يتصف بالحياة المستقبلية من اتصف بها في الماضي حمل على هذه المشارفة ليكون مستقبلاً أيضاً لكن يلزم منه أن يختص بمن لم يكن حياً إذ ذلك فيحمل على دوام الحياة دون الاتصاف بأصلها "(٧) ، وما ذكره الشهاب هو الأقرب ــ والله أعلم ــ ؛ لأن حياة الحي يراد بها الاستمرار ، فقد قال سبحانه :(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)[المائدة:٣٢]، فالنفس حية، والمقصود هنا تخليصها من المهلكات والحرص على إبقائها ، يقول الزمخشري :"ومن أحياها : ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو هدم أو غير ذلك "(٨). وقد يكون المراد بالهلاك والحياة المجاز لا الحقيقة ، فيكون في الآية استعارة تصريحية ،حيث شبه الكفر بالهلاك بجامع الاضمحلال والانتهاء ، وشبه الإسلام بالحياة بجامع الاستمرار والبقاء ، يقول

---

1 : تفسير البغوي ٢٥٢/٢

2 : التفسير الكبير ١٣٥/١٥

3 : المرجع السابق

4: الكشاف ٥٨٥/٢

5: ينظر: المرجع السابق

6: ينظر: المرجع السابق

7: حاشية الشهاب ٤٨١/٤

8: الكشاف ٢٢٨/٢

الزمخشري :"واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام"[1] ، وقد تكون مجازاً مرسلاً [2]، علاقته السببية ، لأن الكفر سبب للهلاك ، والإسلام سبب للحياة الدائمة، والغرض من هذا المجاز إيقاظ الإحساس الروحي عند الإنسان والإشارة إلى أن هذا الدين هو الدين الحق الذي يجب على أصحاب الفطرة السليمة التمسك والالتزام به لأن فيه نجاقم .

الأمر بمعنى الطاعة:

١٨٤_قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلٗا ۝٥٠ ﴾ [الكهف:٥٠] .

سياق الآية الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين ، فهم بفعلهم هذا يقلدون إبليس حينما افتخر على آدم بأصله ، فقال : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين....)[3]. و(الأمر)في قوله تعالى:(ففسق عن أمر ربه) مفرد (الأمور) ويراد به السجود، يقول البيضاوي:"(ففسق عن أمر ربه) فخرج عن أمره بترك السجود"[4] ، وقد يكون المراد من الأمر هو الطاعة، كما أشار إلى ذلك البغوي حين قال :"(عن أمر ربه) عن طاعة ربه "[5] ، وهذا المعنى متصل بالسابق ، فالسجود والطاعة مرتبطان ببعض . أو يكون الأمر مفرد (الأوامر) ويراد به الأمر الحقيقي ، حيث أمر الله إبليس بالسجود، يقول ابن عطية: " يحتمل أن يريد : خرج عن أمر ربه إياه ، أي : فارقه"[6]، ويقول الزمخشري :"أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله :(اسْجُدُوا لِآدَمَ) [البقرة:٣٤] "[7] . وعطفت جملة (ففسق عن أمر ربه) بالفاء على (فسجدوا إلا إبليس) أو على (كان من الجن) وهذا العطف لبيان كمال قبح ما فعله[8]، يقول الآلوسي :" والفاء سببية عطفت ما بعدها على قوله تعالى (كان من الجن) وأفادت تسبب فسقه عن كونه من الجن إذ شأنهم التمرد لكدورة مادتهم

---

1 : المرجع السابق ٢/٥٨٥

2: ينظر : حاشية الشهاب ٤/٤٨١

3 : ينظر : التفسير الكبير ٢١/١١٦

4 : تفسير البيضاوي ٦/١٩٠

5 : تفسير البغوي ٣/١٦٦

6: المحرر الوجيز ١١٩٧

7 : الكشاف ٣/٥٩٢

8 : ينظر : تفسير أبي السعود ٥/٢٢٧ ، وحاشية الشهاب ٦/١٩٠

وخباثة ذاتهم "[1] ، والاستثناء في قوله :(فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) استثناء منقطع ، لأن إبليس ليس من الملائكة ، وإن كان الخطاب موجهاً إلى إبليس كما وجه إلى الملائكة وذلك لأن إبليس كان يأتي إلى الملائكة ويجتمع إليهم ، فوجه الخطاب إلى هذا المجتمع (الملائكة وإبليس) [2]. وختم الآية بقوله (بئس للظالمين بدلاً)وهذه الجملة مستأنفة لإنشاء الذم [3] ، ولذلك فصلها عما قبلها . " وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع ضمير المخاطبين من الإيذان بكمال السخط " ([4]) .

١٨٥ــوقال تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧] .

جاءت هذه الآية في سياق قصة لقمان ، والمواعظ التي وعظ بها ابنه ، وقد جاءت (الأمور) في هذه الآية جمعاً لأَمْر المراد به غير الطلب ، ويراد به الطاعات؛ لأن سياق الآية الأمر بمجموعة من الطاعات ، وهي : إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبة ، وذكر هذه الطاعات مؤذن بقدمها ، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم ، جاء في الكشاف :"وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات ، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم ، وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن ،سابقة القدم على ما سواها ، موصى بها في الأديان كلها"[5] .

والإشارة بــ(ذلك) للإشعار بعلو منزلة هذه الطاعات في الفضل [6] . وقوله: (من عزم الأمور) عبَّر بالمصدر(عزم) والمراد إما أن يكون اسم الفاعل والمعنى من عازمات الأمور، فيكون الإسناد مجازياً لعلاقة الفاعلية ، أو تكون العلاقة المفعولية إذا أريد من المصدر اسم المفعول بمعنى من معزومات الأمور أي مقطوعاتها ومفروضاتها (٧)، يقول الزركشي :"وقوله (فإذا عزم الأمر) لأن الأمر هو المعزوم عليه بدليل (فإذا عزمت فتوكل على الله)"[8].

الأمر بمعنى الإيمان :

1: روح المعاني مج٩ ٤٢٣/١٥
2: ينظر : تفسير القرآن العظيم ٩١
3: ينظر التحرير والتنوير مج٦ ٢٤٢/١٥
4: روح المعاني مج ٩ ١٥/ ٤٢٦
5: الكشاف ١٦/٤
6: ينظر : تفسير أبي السعود ٧٣/٧
7: ينظر : حاشية الشهاب ٤٢١/٧
8: البرهان في علوم القرآن ٢٥٧/٢

١٨٦_قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف:١٠] .

هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن قصة أصحاب الكهف ، وهذه القصة قد سئل عنها رسول الله ﷺ كما سئل عن الروح ([1]).

و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ويراد به (الإيمان) ، والمقصود -والله أعلم- يسر لنا ما نلتمس من خير رضاك وما فيه رشدنا ، يقول الشيخ ابن عاشور : "والأمر هنا : الشأن والحال الذين يكونون فيه ، وهو مجموع الإيمان والاعتصام إلى محل العزلة عن أهل الشرك ، وقد أعد الله لهم من الأحوال ما به رشدهم "([2]) .

وقد عطفت جملة (وهيئ لنا من أمرنا رشداً) على ما قبلها وهي قوله : (ربنا آتنا من لدنك رحمة)؛ لأنهما متفقتان في الإنشاء ، وقد ذكر ابن عطية أن قوله :(وهيئ لنا من أمرنا رشداً) دعاء في أمر دنياهم، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة([3]) ، وذكر الآلوسي أنه من الأولى جعل الدعاء عاماً في أمر الدنيا والآخرة ([4])، وتنكير (رحمة) للتعظيم ، أي : آتنا رحمة عظيمة ([5]) .

الأمر بمعنى الذنب :

١٨٧_قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٧] .

سياق الآية تثبيت المسلمين في حال الهزيمة والإرجاف بقتل النبي ﷺ وفي هذه الآية تأديب من الله تعالى في كيفية الدعاء عند النوائب والمحن ([6]) ، فيبدأ المسلم بالتوبة والاستغفار من الصغائر والكبائر ثم بطلب إزالة الخوف والوساوس الفاسدة من القلب ، ثم يسأل الله النصرة ، وهذا الترتيب في غاية البلاغة ([7]) .

---

[1] : ينظر : التفسير الكبير ٢١ / ٦٩

[2] : التحرير والتنوير مج ٦ ١٥ / ٢٦٧

[3] : ينظر المحرر الوجيز ١١٧٨

[4] : ينظر : روح المعاني مج ٩ ١٥ / ٣٠٦

[5] : ينظر : المرجع السابق

[6] :ينظر التفسير الكبير ٩/٢٤

[7] : ينظر المرجع السابق

و(الأمر) في قوله (وإسرافنا في أمرنا) مفرد (الأمور) ويراد به :كبائر الذنوب ، يقول البغوي : "(وإسرافنا في أمرنا) أي : الكبائر" [1] ، ويقول الشيخ العثيمين : " وقوله (في أمرنا) المراد بالأمر هنا الشأن ، أي في شأننا ، وهو مفرد مضاف فيعم جميع الأمور "[2] . وفي قوله : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) إطناب بذكر الخاص بعد العام ، يقول الرازي : " (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فدخل فيه كل الذنوب سواء كانت من الصغائر أو من الكبائر ، ثم إنهم خصوا الذنوب العظيمة الكبيرة منها بالذكر بعد ذلك لعظمها وعظم عقابها ، وهو المراد من قوله (وإسرافنا في أمرنا) " [3] .

والجمل في قوله :(ربنا اغفر لنا ذنوبنا) و (ثبت أقدامنا)و (انصرنا على القوم الكافرين) كلها جمل إنشائية طلبية خرج فيه (الأمر) عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو(الدعاء)؛ لأن الخطاب صادر من الأدنى إلى الأعلى وهو (الله) سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى:(وثبت أقدامنا)قد تحمل على الحقيقة، باعتبار ما بعدها وهي قوله: (وانصرنا على القوم الكافرين) فهم بحاجة إلى تثبيت الأقدام في الحرب وبذلك يكون النصر [4] .

وقد تكون مجازاً على سبيل الاستعارة ، وذلك باعتبار ما قبلها وهو قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) ، فقد شبه الثبات على طلب المغفرة والاستمرار عليه بثبات الأقدام، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به ، فهي استعارة تصريحية [5] .

الأمر بمعنى النبوة :

١٨٩ ــ وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ [طه:٣٢] .

سياق الآية الحديث عن قصة موسى عليه السلام عندما أمره الله سبحانه وتعالى بالذهاب إلى الطاغية فرعون .

والأمر هنا مفرد (الأمور) ويراد به النبوة والرسالة ،يقول البغوي :"(وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) يعني في النبوة وتبليغ الرسالة" [6] ، ويقول الزمخشري : " وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في

1: تفسير البغوي ٣٦٠/١

2: تفسير القرآن العظيم ٢٦٦/٢

3 : التفسير الكبير ٢٤/٩

4 : ينظر المحرر الوجيز ٣٦٧

5 : ينظر المحرر الوجيز ٣٦٧

6: المرجع السابق

أرضه وما يصحبها من مزوالة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب "[١] ، وبالتأمل في سياق الآية يلحظ أن السياق الحديث عن حدث جلل، فقد أرسل موسى عليه السلام إلى شخص ادعى الربوبية فقال : (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) [النَّازعات:٢٤]، يقول أبو السعود :"وأن يسهل عليه أمره مع ذلك الذي هو أجل الأمور ، وأعظم وأصعب الخطوب وأهوالها"[٢]. وقد وصل بين هذه الآية مع ما قبلها ، وهي قوله (اشدد به أزري)؛ لأنها كلها جمل إنشائية طلبية ، فالسياق دعاء موسى والتجاءه إلى ربه في هذا الحال العظيم .

الأمر بمعنى الصفات :

١٩٠_قال تعالى : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشُّورى:٤٣].

هذه الآية فيها تحذير من الظلم والبغي وما يؤدي إلى العذاب ، وفيها حض على الصبر [3] ، والأمور هنا جمع (أمر) ويراد به المأمور به ، وهي " الصفات والخلال " [٤] .

وقد أسند العزم إلى الأمر مجازاً عقلياً لأن (الأمور) ليس لها عزم بل يعزم عليها ، والمراد بالمصدر (عزم) اسم الفاعل ، والمعنى : الأمور العازمة العازم أصحابها ، ووصف الأمور بالعزم للمبالغة في تحقق المعنى فيها [٥] .

وقد عطفت جملة (ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور) على ما قبلها (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) وجاءت مؤكدة بلام القسم للتأكيد على الاهتمام بالعفو والترغيب فيه ، والصبر هو الإصلاح المذكور في قوله : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فتكراره هنا وتقديمه لأنه من شأن أولي العزم ، وعطف الغفران على الصبر للإشارة إلى أن هذا الصبر لم يأت عن ضعف بل عن قدرة وقوة [٦].

الأمر بمعنى الخلق :

[1] : الكشاف ٧٧/٤

[2] : تفسير أبي السعود ١٢/٦

[3] : ينظر روح المعاني مج ١٤ ٧٤/٢٥

[4] : ينظر التحرير والتنوير مج١٠ ١٢٢/٢٥

[5] : ينظر المرجع السابق

[6] : ينظر حاشية الشهاب ٣٦٢/٨

١٩١ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [القمر:٥٠] .

سياق الآية إثبات قدرة الله ﷻ وتحذير المكذبين لرسول الله ﷺ من عذاب الله .

و(الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) ، يراد به الخلق والإيجاد ، يقول الطاهر بن عاشور :" والأمر في قوله (وما أمرنا) يجوز أن يكون بمعنى الشأن ، فيكون المراد به الشأن المناسب لسياق الكلام ، وهو شأن الخلق والتكوين أي وما شأن خلقنا الأشياء " [١] .

أو يكون (الأمر) مفرد (أوامر) ويراد به الأمر الحقيقي ، يقول الرازي : " الإيجاد خلق والإعدام أمر ، يعني يقول للملائكة الغلاظ الشداد اهلكوا وافعلوا فلا يعصون الله ما أمرهم ولا يوقفون الامتثال على إعادة الأمر مرة أخرى فأمره مرة واحدة يعقبه العدم والهلاك " [٢]، يقول البيضاوي :"(وما أمرنا إلا واحدة) إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ولا معاناة أو إلا كلمة واحدة وهو قوله كن " [٣] ، يقول الشهاب في حاشية : " وقوله كلمة واحدة ، فالأمر مقابل النهي وواحد الأوامر " [٤] .

وفي هذه الآية تشبيه ، حيث شبه سرعة مجيء أمر الله بلمح البصر ، وفيه تحذير للمكذبين لرسول الله ﷺ ، يقول الدكتور القاسم : " تأتي الصورة التشبيهية ممثلة في التشبيه على سبيل التمثيل ،أي أن الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت من القرب بمثابة لمح البصر ، واللمح النظر بسرعة ،أي كنظرة سريعة بطرف العين ، بل هو أقرب لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون ، وهذا تمثيل لسرعة مجيئها ، وليس المراد أن تأتي الساعة في لمح البصر ، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها " [٥] .

الأمر بمعنى الخبر:

١٩٢ـ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٣ ﴾ [النساء:٨٣] .

---

[1]: التحرير والتنوير مج١١ ٢٢٠/٢٧

[2]: التفسير الكبير ٦٨/٢٩

[3]: تفسير البيضاوي ٤١/٩

[4]: حاشية الشهاب ٤١/٩

[5]: ينظر : البلاغة القرآنية ٣٠٦ للقاسم

سياق الآية الحديث عن المنافقين ، وفضحهم والكشف عن سرائرهم ، فهم إذا بلغهم أي خبر من أمن أو سلامة أو خوف أو خلل أذاعوه بقصد الإفساد[1]. و(الأمر) في قوله: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف) مفرد (الأمور) يراد به الخبر ، يقول الطاهر بن عاشور : "والأمر هنا بمعنى الشيء وهو هنا الخبر بقرينة قوله(أذاعوا به)"[2] .

والمقصود أن المنافقين إذا سمعوا خبراً عن سرايا المسلمين من خوف أو أمن أفشوه وأذاعوا به عند أعداء المسلمين ، ولا شك أن في ذلك مفسدة ومكيدة [3] . ثم قال: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ،والأمر هنا هو الشأن ، وأصحاب الشأن إما أن يكون المقصود منهم أمراء السرايا لأنهم هم الذين لهم أمر على الناس [4] ، أو الصحابة لكونهم المرجع فيه أو المظهر له [5] ، والمعنيان لا يتعارضان بل يقتضيهما السياق ؛ لأن المقصود بأولي الأمر هم أصحاب العقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم [6].

وفي قوله :(لعلمه الذين يستنبطونه) استعارة مكنية ، حيث شبه ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير بالماء الذي يخرج عند الحفر بجامع الاستخراج [7]. وفي قوله :(الأمن أو الخوف) طباق فيه إظهار مكيدة المنافقين وأغراضهم الفاسدة من إشاعة الأخبار فهم يريدون إضعاف المسلمين .

الأمر بمعنى الحذر:

١٩٣ـقال تعالى : ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [التوبة:٥٠] .

في هذه الآية إظهار نوع من مكائد المنافقين وخبث بواطنهم[8] ، وقد جاء (الأمر) في هذه الآية مفرد (الأمور) بمعنى الحذر والتيقظ ، يقول البغوي :"(يقولوا قد أخذنا أمرنا)حذرنا"[9] ، يقول ابن الجوزي في المدهش : " ويراد به الحذر: (قد أخذنا أمرنا من قبل) "[1] .

---

[1]: ينظر: الكشاف ١١٦/٣

[2]: التحرير والتنوير مج٢ ١٣٩/٥

[3]: ينظر: الكشاف ١١٦/٣ والتفسير الكبير ١٠ /١٥٥

[4]: ينظر : التفسير الكبير ١٥٩/١٠

[5]: ينظر : المحرر الوجيز ٣١٨

[6]: ينظر : المحرر الوجيز ٤٦٠ وفتح القدير ٤٩٢/١

[7]: ينظر الكشاف ١١٧/٣ والتحرير والتنوير مج٢ ١٤١/٥

[8]: ينظر: التفسير الكبير ٦٨/١٦

[9]: تفسير البغوي ٢٩٩/٢

والمعنى : الحال المهم صاحبه ، ويكون المعنى تلافينا ما يهمنا من الأمر يعنون الاعتزال عن المسلمين فلم نقع في المصيبة [2] . والتعبير بلفظ (الأمر) في جملة خبرية مؤكدة بـــ (قد) التي دخلت على الفعل الماضي فأفادت التحقيق فالمنافقون "كانوا يودون خيبة المؤمنين وهزيمتهم ولا يصرحون بذلك ، فلا يحبون الخروج معهم "[3] ، وقد عطفت جملة الشرط (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) على جملة الشرط (وإن تصبك حسنة تسؤهم) وذلك لأن الجملتين تبينان حال المنافقين وخبث بواطنهم ومداراة الكفار قولاً وفعلاً . وقد فصل هذه الآية عما قبلها ، لأنها تتنزل منزلة البيان لجملة(إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)[4] ، فبين الجملتين كمال اتصال . والتعبير بالجملة الاسمية (وهم فرحون) للدلالة على دوام السرور ، وإسناد المساءة إلى الحسنة ، والمسرة إلى أنفسهم للإيذان باختلاف حاليهم ، فهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون [5] .

وذكر المسند إليه (هم) لزيادة التقرير وإيضاح ما هم عليه من حال الحقد والكراهية لرسول الله ﷺ وأصحابه.وبين قوله :(حسنة) و(مصيبة) طباق ، فالحسنة بمعنى النصر ، والمصيبة بمعنى الهزيمة ، وهذه المعاني تظهر من السياق الذي وردتا فيه ، وإلا فالأمر عام في كل حسنة وكل مصيبة [6]. وذلك لبيان حال المنافقين أنهم في كل حسنة وعند كل مصيبة يكونون على الوصف المذكور.

والتعبير بـــ(مصيبة) بدل (سيئة)لأن الخطاب فيها موجه للرسول الكريم ﷺ، وهي في حقه مصيبة يثاب عليها لا سيئة يعـــاتب عليها [7] .

الأمر بمعنى الرزق :

١٩٤_قال تعالى :﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الذاريات:٤] .

جاءت هذه الآية معطوفة على أمور أقسم الله بها ، و"الرب إذا أقسم بشيء أثبت له شرفاً"[1].

1: المدهش ٢٣

2: ينظر : التحرير والتنوير مج٥ ٢٢٢/١٠

3: التحرير والتنوير مج٥ ٢٢٢/١٠

4: ينظر : المرجع السابق

5: ينظر : تفسير أبي السعود ٧٣/٢

6: ينظر: التفسير الكبير ٦٨/١٦

7: ينظر حاشية الشهاب ٥٧٩/٤

و(الأمر) هنا مفرد (أمور) يراد به (الأرزاق)، يقول البغوي : " هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته"(٢) .

وعطف هذه الآية على ما قبلها بالفاء إما أن تكون للتعقيب ، وذلك إذا كان معنى (المقسمات)الملائكة ويكون المعنى : أن الله ﷻ أقسم بالرياح ، فالسحاب التي تسوقه ، فالملك التي تجري بهبوبها ، فالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر . أو تكون المقسمات بمعنى (الرياح)، فيكون العطف بالفاء للترتيب ، فالرياح تبتدئ بالهبوب فتذروا التراب فتنتقل السحاب فتجري في الجو فتقسم المطر (٣) .

المبحث الثاني : أسرار التعريف والتنكير :

تكلم علماء البلاغة عن التعريف والتنكير ، والفائدة في استعمال أحدهما دون الآخر ، فالنكرة والمعرفة لكل منهما مقام لا يليق بالأخرى ، ولا تتضح بلاغة استعمالهما إلا من خلال السياق الذي وردتا فيه ، فالدلالات البلاغية لكل من المعرفة والنكرة إنما تعلم من القرائن والسياق (٤) .

أسرار التنكير :

جاءت كلمة (أمر) نكرة في بعض الآيات ، والنكرة لا تدل على شيء بعينه ، وإنما فيها إبهام ،والإبهام في مواضع يكون أبلغ من الإيضاح ؛ لأنه تترتب عليه أغراض ودلالات تتضح من خلال السياق ، والأمر إما أن يكون مسنداً أو مسنداً إليه أو متعلقاً من المتعلقات ، وسأفصل دلالات التنكير والتعريف في كل واحد منها ، إن شاء الله تعالى .

التنكير لإفادة التعظيم :

شواهد تنكير المسند :

[١٢٨] قال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ٢١] .

1: الجامع لأحكام القرآن ٣/٢١

2: تفسير البغوي ٤/٢٢٨

3: ينظر : الكشاف ٥/٦٠٩ والتفسير الكبير ٢٨/١٦٨

4: ينظر: علم المعاني ١٤٤ د. طالب الزوبعي

جاء الأمر مسنداً لأنه خبر كان منصوب ، وتنكير (أمراً) هنا دال على التعظيم لأنه جاء في سياق الحديث عن قدرته ﷻ على خلق عيسى ﵇ من غير أب .

تنكير المسند إليه :

[١٩٢] قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء:٨٣] .

الأمر هنا مسند إليه فهو فاعل للفعل (جاء) ولما كان سياق الآية الحديث عن ضعاف النفوس من المسلمين في الحرب فإن تنكير (أمر) جاء دالاً على التعظيم، فإذا وقع الأمن فإن ذلك يستلزم النصر ، ولا شك أن النصر للمسلمين سيكون نصراً عظيماً مؤزراً ، وإذا وقع الخوف فإن ذلك يستلزم الهزيمة ، والهزيمة إذا وقعت فإنها ستكون عظيمة في جانب المسلمين ــ والله أعلم ــ والتنكير يفيد النوعية ، وذكر (من) لبيان هذا النوع من الأمن أو الخوف ، يقول الرازي : " فإن وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر وآلات الحرب لهم أرجف المنافقون بذلك ، فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار ، فأخذوا في التحصن من المسلمين .... وإن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك وزادوا فيه وألقوا الرعب في قلوب الضعفة والمساكين فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشأ الفتن والآفات من كل الوجوه ، ولما كان الأمر كذلك ذم الله تلك الإذاعة وذلك التشهير ومنعهم منه " [1] .

تنكير المتعلقات :

١٩٥ قال تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة:١١٧] .

جاء (أمراً) مفعولاً به ، والمسند إليه ضمير مستتر تقديره (هو) عائد عليه ﷻ ، وعدم التصريح بالمسند إليه جاء في سياق الرد على النصارى وشبهتهم ، والحديث عن قدرته ﷻ ، فهو معلوم لدى المخاطب ولا ينصرف الذهن إلا إليه، وفي تركه تعويل على شهادة العقل ، وتنكير (أمراً) دال على التعظيم ، فالخالق ﷻ إذا أراد أمراً من الأمور فإنه يتحقق بلا توقف ولا امتناع ، ومن كان بهذا الوصف كيف يتخذ ولداً ؟! يقول الزمخشري : " وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون

---

[1]: التفسير الكبير ١٥٨/١٠

ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء أكد بهذا استبعاد الولادة ، لأن من كان بهذه الصفة من القدرة ، كانت حالة مباينة لأحوال الأجسام في توالدها " [1] .

و نظير هذه الآية :

١٩٦ _ قوله تعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر:٦٨] .

[١٦٠] قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:٤٧]

[١٢٩] وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم:٣٥] .

سياق هذه الآيات الحديث عن قدرته ﷻ ، وتنكير الأمر يفيد التعظيم ، فهو " يشمل الأمور المتعلقة بالحيوان والمتعلقة بالجماد " [2] .

[٨٤] وقوله تعالى :﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة:٥٢] .

جاء (أمر) معطوفة على (بالفتح) متعلقاً بـــــ (يأتي) ، ولما كان سياق الآية تهديداً ووعيداً جاء (أمر) نكرة للتهويل والتعظيم ، ويكون المراد : أمراً عظيماً من عنده يقطع شأفة اليهود ، يقول الزمخشري : "(أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم ، وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر الرسول ﷺ " [3] .

---

[1]:الكشاف ٣١٥/١

[2]: تفسير القرآن العظيم ٢١/٢

[3]:المرجع السابق ٢٥١/٢

[١٨٨] وقال تعالى : ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢] .

جاء (أمراً) مفعولاً به منصوباً متعلقاً بـــالفعل (يقضي) ، و سياق هذه الآية الحديث عن معركة (بدر) وما كان فيها من نصر مؤزر للمسلمين ، وهذا السياق يدل على إفادة تنكير (أمر) معنى التعظيم ، يقول الطاهر بن عاشور :" ومعنى (أمرا) هنا الشيء العظيم ، فتنكيره للتعظيم أو يجعل بمعنى الشأن ، وهم لا يطلقون (الأمر) بهذا المعنى إلا على شيء مهم " (1).

١٩٧ــ وقال تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف:١٨] .

١٩٨ ـــوقال تعالى : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف:٨٣] .

(أمراً) مفعول به منصوب متعلق بالفعل (سولت) ، وسياق الآية الحديث عن قصة يوسف عليه السلام وما حل به على أيدي إخوته ، والسياق يشير إلى أن إخوته فعلوا به فعلاً يؤذيه ، ولذلك أفاد التـــنكير الإبهام الدال على التعظيم والتهويل (2) ، يقول الطاهر بن عاشور : " والإبهام الذي في كلمة (أمـــراً) يحتمل عدة أشياء مما يمكن أن يؤذوا به يوسف عليه السلام من قتل أو بيع أو تغريب ، لأنه لم يعلم تعيين مـــا فعلوه ، وتنكير (أمراً) للتهويل " (3) .

[١١١]ــ وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النور:٦٢] .

---

1 : التحرير والتنوير مج ٥ ١٠/ ٢٠

2 :ينظر : الكشاف ٢٦٣/٣ والتحرير والتنوير مج ٥ ٢٣٨/١٢

3 : التحرير والتنوير مج٥ ٢٣٨/١٢

لما كان سياق الآية الحديث عن الشأن والحال المهم الذي يجتمع الناس لأجله حول الرسول ﷺ للتشاور [1] ، فقد أفاد تنكير (أمر) الدلالة على التعظيم ــ والله أعلم ــ، فوصف الأمر بالجامع يدل على عظمته واجتماع الناس له ، يقول أبو السعود : " كما إذا كانوا معه ﷺ على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها " [2] .

[١٥٥] وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل:٣٢] .

جاء (أمراً) مفعولاً به لاسم الفاعل (قاطعة) ، وسياق الآية يدل على إفادة تنكير (أمراً) للتعظيم ، ذلك لأن الآية تتحدث عن بلقيس وسياستها في مملكتها القائمة على مبدأ الشورى في الأمور المهمة ، يقول الطاهر بن عاشور : " والأمر في (ما كنت قاطعة أمراً) هو أيضا الحال المهم ، أي أنها لا تقضي في المهمات إلا عن استشارتهم " [3] .

[١٧٧] وقال تعالى : ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الزُّخرف:٧٩] .

جاء (أمراً) مفعولاً به متعلقاً بالفعل (أبرم) ، والآية تتحدث عن كيد المنافقين ومكرهم برسول الله ﷺ ولا شك أن الكيد برسول الله ﷺ أمر عظيم لذلك أفاد التنكير لـــ(أمر) التعظيم كما أشــار الطاهر بن عاشور إلى هـــذا المعنى حين قــال : " والأمر العمل العظيم الخطير "[4] ، وقال : " أي : نحن نقدر لهم الآن أمراً عظيماً وذلك إيجاد أسباب وقعة بدر التي استئصلوا فيها "[5] .

[١١٦] وقال تعالى :﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدُخان:٤، ٥].

1 :ينظر التحرير والتنوير مج٨ ١٨/٣٠٧
2 :تفسير أبي السعود ٦/١٩٧
3 : التحرير والتنوير مج٨ ١٩/٢٦٣
4 :المرجع السابق مج١٠ ٢٥/٢٦٢
5 :المرجع السابق .

الآية تتحدث عن ليلة عظيمة ، قدر فيها الخالق ما هو كائن في السنة ، وقد أفاد تنكير (أمر) التفخيم والتعظيم ، يقول الشهاب : " وقوله :(وفيه) ،أي : وصفه بقوله : من عندنا مزيد تفخيم للأمر لصدوره عن حضرة العظمة ، وقال : مزيد ، لأن تنكيره يدل على تفخيمه " (1) .

[١٠٣] وقال تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر:١٢] .

(على أمر) جار ومجرور متعلق بالفعل (التقى) والسياق هنا يتحدث عن الطوفان الذي أغرق الله بــه قوم نوح عليه السلام وهو عذاب عظيم من الله ، استأصلهم وقطع شــأفتهم ، فأفــاد تنكــير (أمر) مــن هذا السياق معنى التعظيم كما أشار إلى ذلك الرازي حين قال : " وذلك لأن الناس اختلفوا ، فمنهم من قال ماء السماء كان أكثر ، ومنهم من قال : ماء الأرض ، ومنهم من قال : كانا متساويين ، فقــال : على أي مقدار كان ، والأول إشارة إلى عظمة أمر الطوفان ، فإن تنكير الأمر يفيد ذلك " (2)

[١٢١] وقوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ [النَّازعات:٥] .

جاء (أمراً) مفعولاً به لاسم فاعل (فالمدبرات) ، والسياق الحديث عن الملائكة التي تنزع روح الكافر ، ولا شك أن هذا يقتضي تنكير (أمراً) للدلالة على التهويل والتفخيم (3) ، يقول أبو السعود : " أما (أمراً) فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم " (4) .

التنكير لإفادة التعميم :

١٩٩ــ قال تعالى :﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ ﴾ [الكهف:٦٩] .

الآية تتحدث عن موسى عليه السلام وقصته مع الخضر ، ولما كان سياق الآية يظهر الطاعة من موسى عليه السلام وذلك لحرصه على العلم وازدياده ، فقد أفــاد التنــكير الجهــل بالمسمى (الإبهام) ــ والله

1 :حاشية الشهاب ٤٢٠/٨
2 : التفسير الكبير ٣٥/٢٩
3 : ينظر : تفسير أبي السعود ٩٦/٩
4 : المرجع السابق .

أعلم ـــ، يقول د . طالب الزوبعي عن أغراض التنكير: " وقد يكون التنكير لغرض الجهل المسمى الإبهام " [1] .

[١٩٣] قال تعالى : ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾ [الذاريات:٤].

ذكر بعض المفسرين (٢) أن المراد بـــ (المقسمات أمرا) الملائكة تقسم أرزاق الخلق على ما أمروا به ، وعلى هذا فتنكير (أمراً) يقتضي الدلالة على التعميم ، يقول البيضاوي : " (فالمقسمات أمراً) الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة " [3].

[١٥٣] وقوله تعالى :﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ ﴾ [القمر:٣]

سياق هذه الآية التعريض بالمشركين المتبعين لأهوائهم ، وتنكير (أمر) للتعميم ، فكل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها ، ومن جملتها أمر الرسول ﷺ .

التنكير لإفادة التنويع :

[١١٩] قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ ﴾ [الطَّلاق:١] .

تنكير (أمراً) في هذه الآية أفاد التنويع ، أي : أمراً موصوفاً بصفة محذوفة ، أي أمراً نافعاً لهما [4]، فقد يصرف الله القلوب من محبة إلى كره ومن كره إلى محبة ـــ والله أعلم ـــ .

ثانياً : أسرار التعريف :

---

1 :علم المعاني ١٥٢ د . طالب الزوبعي .

2 : ينظر مثلاً: تفسير البغوي ٤/ ٢٢٨ ، والكشاف ٥ / ٦٠٨

3 : تفسير البيضاوي ٨/ ٥٨٩

4 :ينظر التحرير والتنوير مج١١ ٢٨/٣٠٦

جاءت مادة (أمر) معرفة في الكثير من الشـــواهد ، فقد جاءت مـــعرفة بـــ(أل) وجاءت معرفة بـــ (الإضافة) ، وقد جاءت مضافة إلى الله ﷻ سواء كان اسماً صريحاً أو ضميراً عائداً إليهﷻ أكثر من إضافتها إلى غيره ﷻ وسيتضح من خلال تناول الشواهد في سياقتها .

التعريف بـــــ(أل) :

إن تعريف المفردة بـــ (أل) يتضمن من الدقـــة والتلميح والإشارة ما يوقظ ذهن السامع ويـــحركه .[1] والتعريف بـــــ (أل) يأتي لغرضين ، أولهما : الإشارة إلى فرد من أفراد الحقيقة معهود بين المتكلم والمخاطب وتسمى اللام العهدية ، وتأتي على ثلاثة أنواع : العهد الصريح ، والعهد الكنائي ، والعهد الحضوري ، ثانيهما : الإشارة إلى نفس الحقيقة ، وتسمى اللام الجنسية ، وتأتي على ثلاثة أنواع أيضاً ، إما أن يراد بها قصد الجنس دون النظر إلى الأفراد ، أو يراد بها فرد غير معين من أفراد الجنس ، أو الاستغراق ، والاستغراق إما حقيقي وإما عرفي .[2]

التعريف بـــــ(أل) الجنسية :

[٨٣] قال الله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠]

في قوله سبحانه :(وإلى الله ترجع الأمور) جاءت (الأمور) معرفة بـــ (أل) الجنسية ويراد بها الاستغراق الحقيقي ، والمعنى قضيت (الأمور) كلها ، وسياق الآية الحديث عن العذاب ، ففيه تهديد وتخويف بمن لا يمتثل دين الله ﷻ ، فالأمور كلها ترجع له وحده ويجازي كلا بعمله .

ونظير هذه الآية قوله :

[١٠٤] قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٩] .

---

[1]: ينظر :علم المعاني ١٥٢ د. طالب الزوبعي

[2]: ينظر : علم المعاني ١/١١٣ د . بسيوني فيود .

٢٠٠ ـ قال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦].

٢٠١ـ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال:٤٤] .

٢٠٢ ـ قال تعالى : ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [التوبة:٤٨] .

٢٠٣ ـ قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١] .

[١١٠] قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [الحج:٧٦] .

[١٨٥] قال تعالى :﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧] .

[١١٢] قال تعالى :﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان:٢٢] .

[١١٤] قال تعالى :﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ [فاطر:٤] .

[١٩٠] قال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورى:٤٣] .

[١١٣] قال تعالى :﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشُّورى:٥٣] .

[١١٨] قال تعالى :﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [الحديد:٥] .

فهذه الآيات دخلت عليها (أل) الجنسية التي تفيد الاستغراق ، وقد دخلت على الجمع (أمور) وبهذا فهي تفيد العموم والشمول ، " فالمعرف بـ(أل) يفيد العموم والشمول في حالة الجمع وحالة الإفراد معاً ، ألا ترى قوله تعالى : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)

[المائدة:١١٦] ، وقوله سبحانه :(وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) [المائدة:٩٣]؛ فإن (أل) في الآيتين الكريمتين داخلة على الجمع ، ولا يمكن أن يقال : إن استغراق الجمع لا يشمل استغراق المفرد " [1].

يقول أبو السعود : " (وإلى الله ترجع الأمور) كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد " [2] ، ويقول الشيخ العثيمين : " بيان سعة الله تعالى حيث كانت جميع الأمور ترجع إليه ، لأن الأمور جمع أمر وهو محلى بـ(أل) فيفيد العموم فكل الأمور ترجع إليه " [3] .

[١٣٦] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤]

سياق الآية الحديث عن قدرة الله ﷻ وجاء الأمر معرفاً بـ (أل) الجنسية الدالة على الاستغراق الحقيقي ، فالله ﷻ يصرف كل شيء على حسب إرادته ـ والله أعلم .

[١٠٧] وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود:١٢٣] .

التعريف بـ (أل) الجنسية الدالة على الاستغراق الحقيقي ، فكل الأمور ترجع إليه ، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : " والتعريف في (الأمر) تعريف الجنس فيعم الأمور ، وتأكيد الأمر بـ (كله) للتنصيص على العموم " [4].

[١٣٨] وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد:٣١] .

سياق الآية الحديث عن قدرته ﷻ على الآيات التي اقترحوها ، [1] لذلك جاء الأمر معرفاً بـ (أل) الجنسية الدالة على الاستغراق الحقيقي ، جاء في التحرير والتنوير : " فاللام في قوله (الأمر) للاستغراق ، و(جميعاً) تأكيد له " [2] .

---

[1] : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ٣٣٠

[2] : تفسير أبي السعود ٢٥/٤

[3] : تفسير القرآن العظيم ٤٦/٣

[4] : التحرير والتنوير مجـ٥ ١٩٥/١٢

[١٣٠]وفي قوله تعالى : ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرُّوم:٤]

جاء الأمر معرفاً بـــ (أل) الجنسية الدالة على الاستغراق الحقيقي ــ والله أعلم ــ فقوله سبحانه (من قبل ومن بعد) يدل على أن جميع الأمور لله وحده ﷻ.

[١٥٨] وقول تعالى : [وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ] [الحجرات:٧]

الخطاب في الآية موجه للمؤمنين " والتعريف في الأمر تعريف الجنس الشامل لجميع الأمور ولذلك جيء معه بلفظ (كثير من) أي أحداث كثيرة مما لكم رغبة في تحصيل شيء منها في مخالفة لما شـــرعـــه "[3].

التعريف بـــــ(أل العهدية) :

العهد الكنائي :

[٨٣] قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠].

وردت كلمة (الأمر) معرفة بـــــــ(أل)ولم يسبق لها ذكر صريح من قبل ، ولكن بالتأمل في الآية يلحظ أنه وإن لم يذكر صراحة فإنه ذكر ما يدل عليه في قوله سبحانه (إلا أن يأتيهم الله) دل هذا أن المراد هو أن يأتي أمر الله وهو العذاب ، [4] وقد يراد بـــــ(أل) الجنسية الدالة على الاستغراق الحقيقي ، يقول الطاهر بن عاشور : " والتعريف في (الأمر) إما للجنس مراد منه الاستغراق ، أي : قضيت الأمور كلها ، وإما للعهد ، أي : أمر هؤلاء أي : عقابهم ، أو للأمر المعهود للناس كلهم وهو الجزاء "[5].

---

[1]: ينظر : الكشاف ٣/٣٥٢

[2]:التحرير والتنوير مج٦ ١٣/١٤٤

[3]: المرجع السابق مج ١٠ ٢٦ / ٢٣٥

[4]: ينظر : التفسير الكبير ٥ / ١٨٥

[5]: التحرير والتنوير مج١ ٢/ ٢٨٧

[٨٥] وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨] .

جاء (الأمر) معرفاً بـــــ (أل) للعهد الكنائي ـــ والله أعلم ـــ لأنه بالتأمل في سياق هذه الآية وما قبلها (1) يلحظ أنه سياق تهديد ووعيد ، والأمر هنا يراد به العذاب ، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : " فاللام عوض عن المضاف إليه بقرينه السياق ، أي : لقضي أمـــــر عذابهم الذي يتهددهم به " (2) .

[١٢٢] وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٨] .

سياق الآية الحديث عن الحرب بقرينة السياق ، جاء في الآية السابقة : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)والأمر هنا يراد به القضاء، لذلك جاء معرفاً بـــــ(أل) للعهد الكنائي، الله أعلم .

[١٢٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣] .

[١٢٥] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١] .

[١٢٧] وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد:٢] .

---

[1] قال تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ الآية رقم ٧

[2] : التحرير والتنوير مج ٣ ٧ /١٤٣

(الأمر) معرف بـــ (أل) للعهد الكنائي ، لأن سبقت الإشارة إلى شؤون تلك المخلوقات ـــ والله أعلم ـــ ، يقول الشهاب : " قوله (يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته) يعني تعريف الأمر للعهد، والمراد أمر الكائنات وتدبيرها بمعنى تقديرها جارية على مقتضي الحكمة " (1) .

وقد تكون (أل) للجنس ، وتفيد الاستغراق الحقيقي ، " وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره " [2] ، " فالأمر جنس يعم جميع الشؤون والأحوال في العالم " [3] .

[١٤٩] وقال تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحج:٦٧] .

الأمر هنا معرف بــــ (أل) ومن السياق يتضح لي أن (أل) هنا للعهد الكنائي ، فقوله سبـــحانه : (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) يراد به الشرع والدين ، والأمر هنا بمعنى الـــدين ـــ والله سبحانه ـــ أعلم .

٢٠٤ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القصص:٤٤] .

جاء (الأمر) معرفاً بـــ (أل) للعهد الكنائي ، فالأمر هنا يراد به (النبوة) ، وقد جاء في الآية السابقة ما يدل على النبوة في قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ .

[١٥١] وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية١٧ ـ ١٨].

جاء (الأمر) معرفاً بـــ (أل) للعهد الكنائي ، لأن المراد بالأمر هنا (الدين) ، وقد سبقت الإشارة إليه في قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ، والله أعلم .

---

[1] : حاشية الشهاب ٥/٨

[2] : الكشاف ٣/١١٤

[3] :التحرير والتنوير مج٥ ١١/٨٧

[١٦٦] وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطَّلاق:١٢] .

(الأمر) معرف بـ (أل) العهدية ، والعهد هنا كنائي ـــ والله أعلم ـــ ، فالأمر هنا يراد به الوحي ، وقد جاء ما يدل عليه في قوله: ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق:١١] .

العهد الحضوري :

[١٧١] قـــال تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٢] .

السياق يوحي بشيء مختلف فيه معهود لدى المخاطبين ، ولأنه لم يذكر ألبتة لا صراحة ولا كناية فإن العهد هنا حضوري ، والله أعلم .

[١٧٢] وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

جاء (الأمر) معرفاً بـــ(أل) للعهد الحضوري ، لأن المراد بـــ(الأمر) الحرب ، ولم يذكر لا صراحة ولا كناية ، ويرى الرازي أن (أل) هنا لا تحمل على الاستغراق ، لأن الشريعة فيها أمور لا تجوز المشاورة فيها ، وهي الأمور التي نزل بها الوحي [1] .

[١٧٠] قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد:٢٦] .

---

[1]: ينظر : التفسير الكبير ٥٥/٩

لما كان سياق الآية الحديث عن المنافقين وتعاونهم مع اليهود على عداوة الرسول ﷺ ، وكان الأمر معهوداً لديهم و لم يذكر لا صراحة ولا كناية فقد جاء الأمر معرفاً بـــ (أل) للعهد الحضوري ، والله أعلم .

العهد الصريح :

[١٥٤] قــــال الله تعـــــالى : ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفال:٤٣] .

(الأمر) هنا معرف بـــ (أل) العهدية ، وهي هنا للعهد الصريح ، فقد سبقت الإشارة إليه في قولـــه سبحانه : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَـــانِ وَاللهُ عَلَـــى كُـــلِّ شَـــيْءٍ قَـــدِيرٌ) [الأنفال:٤١] .

[١٧٣] وقول الله تعـــالى : ﴿ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١] ·

(الأمر) هنا بـــ (أل) للعهد [1] الصريح ، فالأمر هنا يراد به القتال ، وقد سبقت الإشارة إليـــه في قوله ﷻ (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ) [محمد:٢٠] .

التعريف بالإضافة :

التعريف بالإضافة يفيد أغراضاً بلاغية وأسراراً ومزايا عديدة من إيجاز وتعظيم وتحقير [2] ،وغيرها من المعاني التي يذكرها البلاغيون في كتبهم ، ولا يكشف عن هذه المعاني إلا السياق الذي وردت فيه .

وقد جاءت كلمة (أمر) معرفة بالإضافة أكثر من تعريفها بـــ (أل) ، وقد تنوع المضاف إليه فجاءت مضافة إلى الله ﷻ سواء كان اسماً صريحاً أو ضميراً عائداً إليه ﷻ كما أنها جاءت مضافة إلى غير الله في مواضع عدة ، ولا شك أن تنوع المضاف إليه يتبعه تنوع الدلالة ، وهذا سيتضح مـــن خـــلال ســـياق الآيات.

---

[1]: ينظر : علم المعاني ٢٠٩ د / طالب الزوبعي

[2]: ينظر : مفتاح العلوم ٨٩ ، وعلم المعاني ١ / ١١٦ د : بسيوني فيود .

أولاً : مجيئه مضافاً إلى (الله) سبحانه وتعالى :

جاء (الأمر) مضافاً إلى لفظ الجلالة (الله) في مواضع عدة ، ولا شك أن في إضافته إليه ﷻ نوعاً من التعظيم ، قال السكاكي : " أو مثل أن تتضمن نوع تعظيم باعتبار كما تقول عبدي حضر فتعظم شـأنك ، أو كما تقول عبد الخليفة حضر فتعظم شأن العبد ، أو كما تقول عبد الخليفة عند فلان فتعظم أمر فلان "(1) . ولفظ الجلالة (الله) يدل على تفرده سبحانه بالألوهية ، يقـول الفيروزأبادي :" ولا شيء من الأسماء يتكرر في القرآن المجيد وفي جميع الكتب تكرره ، أما في نص القرآن فمذكور في ألفين وخمسمائة وبضع وستين موضعاً ، وأكثر الأسماء والصفـات والأفعـال الإلهية وأحوال الخلق مرتبطة به " (2).

وبالتأمل في سياق الآيات التي أضيف فيها (الأمر) إلى الله فإني ألحظ إما أن يكون السياق فيها الحديث عن طائفة غير مؤمنة ، مثل اليهود والنصارى ، ومن هنا كان في إضافة (الأمر) فيها إلى الله اختصاصه ﷻ بالألوهية وتعظيم لأمره ﷻ وتعريف بحالهم وعباداتهم – والله أعلم – وشواهد ذلك قوله تعالى :

[١٢٣] قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء : ٤٧] .

[٢٠٢] وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ [التوبة:٤٨] .

[٩٠] وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود : ٤٣].

[١٧٤] وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النحل : ١] .

أما قول الله تعالى **٢٠٥** ــ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [التوبة:١٠٦] .

---

1 : مفتاح العلوم٨٩

2 : بصائر ذوي التمييز ٢ / ٢١

فسياق هذه الآية الحديث عن المخلفين الذين لم يتب الله عليهم ، وأمرهم موقوفٌ إلى أن يقضي الله بما يشاء ، لأنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ دون عذر ، وإضافة الأمر إلى الله ﷻ فيه من التعظيم ما يناسب ذنبهم الذي اقترفوا ، والله أعلم .

وقد يكون سياق الآيات الحديث عن حكم من أحكام الله ، وإضافة الأمر إليه ﷻ فيه من التعظيم ما يناسب ذمهم الذي اقترفوا ، والله أعلم .

وقد يكون سياق الآيات الحديث عن حكم من أحكام الله ، وإضافة الأمر إليه ﷻ تعظيم للأمر ، ومن ذلك :

[١٣١] قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٧] .

في هذه الآية جاء السياق الحديث زواج الرسول ﷺ من زينب ــ رضي الله عنها ــ وفي إضافة الأمر إلى الله نفي الحرج عن المؤمنين في عدم إجراء المتبنين مجرى أزواج البنين في حكم التحريم .

٢٠٦ــ وفي قوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] .

سياق الآية الحديث عن حكم من أحكام الله في وقوع الاختلاف بين المؤمنين ،و (أمر الله) هو ما في الشريعة من العدل والكف عن الظلم ، وفي إضافة الأمر إليه ﷻ تعظيم ، والله أعلم .

[١٦١] قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطَّلاق:٥] .

جاء (الأمر) مضافاً إلى الله ﷻ لأن سياق الآية الحديث عن حكم من الأحكام من امتثل به استوجب ذلك الأجر العظيم وتكفير السيئات وتفريج الكرب وتيسير الصعوبات ، والله أعلم.

وقد يكون سياق الآيات الحديث عن قدرة الله ﷻ كما في قوله سبحانه :

[١٣٧] [قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود:٧٣] .

[٩٨] وقوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١ ﴾ [الرعد:١١] .

سياق الآيتين الحديث عن عظيم قدرته ﷻ ، فقوله سبحانه :(أتعجبين من أمر الله) " أي : أتعجبين من قدرة الله على خرق العادات " [1] ، فإنجاب سارة في هذا السن أمر عجيب يدل على قدرة الله ﷻ على كل شيء .

أمَّا قوله :(يحفظونه من أمر الله) فإن قدرته ﷻ تحفظ مخلوقاته من أدنى شيء يضرهم ، وإضافة (الأمر) إليه ﷻ فيه تعظيم لهذا الأمر .

مجيئه مضافاً إلى (الرب) سبحانه :

جاء (الأمر) مضافاً إلى (الرب) ﷻ في عدة مواضع ، " و(الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير ، وأصناف النعم وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم " [2] .

ومن خلال التأمل في الآيات التي جاء فيها (الأمر) مضافاً إلى (الرب) ألحظ أن السياق إما أن يكون حديثاً عن أقوام سابقة أنعم ربهم عليهم بإرسال الرسل فاستكبروا وعصوا فحلّ بهم العذاب ، وذلك مثل :

[١٤٦] قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ ﴾ [الأعراف:٧٧] .

[٩٤] وقوله تعالى :﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ ﴾ [هود:٧٦] .

[٩٧] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١ ﴾ [هود:١٠١] .

[١٠١] وقوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣ ﴾ [النحل:٣٣].

---

[1] : التحرير والتنوير مج٥ ١٢ /١٢٢

[2]: تيسير الكريم الرحمن ١٥

[١٤٥]وقوله تعالى : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٥] .

[١٥٢]وقوله تعالى : ﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الذاريات:٤٤] .

[١٦٢] وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابًا نُّكۡرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الطَّلاق:٨] .

فقد جاء (الأمر) مضافاً إلى (الرب) ملائماً للسياق ، فقد رباهم ﷻ بإصلاح قلوبهم وأرواحهم بإرسال الرسل ، ثم اتبعوا أرباباً متفرقين .

وقد يكون الخطاب موجهاً للرسول الكريم ﷺ وفي إضافة (الأمر) إلى (الرب) مزيد من التشويق والتسلية له ﷺ ، وذلك في قوله تعالى :

[١٧٩] ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

فقد أضيف (الأمر) إلى (الرب) لاختصاصه به ﷻ ، وأضيف (الرب) إلى ضمير الخطاب للتشريف، يقول أبو السعود : " (من أمر ربي) كلمة (من) بيانية ، و (الأمر) بمعنى (الشأن) ، والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي لاشتراك الكل فيه ، وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الإضافة الثانية من تشريف المضاف إليه أي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر "[1] .

أما الثانية فهي :

٢٠٧ قوله سبحانه : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم:٦٤] ،

جاء (الأمر) مضافاً إلى (الرب) وقد أضيف الرب إلى ضمير الخطاب ، لأن سياق الآية تسلية للرسول ﷺ عندما أبطا الوحي فشقّ ذلك عليه مشقّة شديدة ، وقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه ، يقول أبو

[1]: تفسير أبي السعود ١٩٢/٥

السعود : " وإعادة اسم الرب المعرب عند التبليغ إلى الكمال اللائق مضافاً إلى ضميره ﷺ من تشريفه والإشعار بعلة الحكم ما لا يخفى " [1] .

مجيئه مضافاً إلى الضمير العائد إليه سبحانه :

كما جاء (الأمر) معرفاً بالإضافة إلى الاسم الصريح فقد جـــاء مضافـــاً إلى الضمير العائد إليه سبـــحانه ، " وتكمن وراء التعبير بضمير المتكلم معان دقيقة ومزايا لطيفة يدركها ذو الحس المرهف والذوق السليم " [2] ، وإضافة (الأمر) إلى الضمير العائد إليه ﷻ يفيد التعظيم والتهويل ، وهذه الدلالة تتضح من خلال السياق ، فبالتأمل في هذه الآيات يلحظ أن السياق إما أن يكون الحديث عن العذاب كما في قوله سبحانه :

[٨٩]﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود:٤٠] .

[٩٢]وقوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [هود:٥٨] .

[٩٥]وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ ﴾ [هود:٨٢] .

هذه الآيات [3] سياقها الحديث عن العذاب الذي حلّ بالأقوام السابقة ، وإضافة الأمر إلى الضمير العائد إلى الله ﷻ يفيد التهويل والتعظيم ، يقول أبو السعود : " (ولما جاء أمرنا) أي : نزل عذابنا ، وفي التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء مالا يخفى من التفـــخيم والتهويـــل " [4] ، ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور : " وإضافته إلى اسم الجلالة لتهويله بأنه فوق ما يعرفون " [5] ،

أمّا قوله تعالى :

---

1 : المرجع السابق ٥/٢٧٣

2 : علم المعاني ١/٩٧ د. بسيوني فيود

3 : ونظيرها: هذه الآيات ، (هود : ٩٤) و (يونس : ٢٤) و (المؤمنون : ٣٧).

4 : تفسير أبي السعود٤ /٢١٩

5 : التحرير والتنوير مج٥ ١٢ / ٧٠ ، وينظر : علم المعاني ٢١٣ الزوبعي

٢٠٨: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل:٢].

[١٣٩]وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل:١٢] .

[١٣٦]وقولـــه تعـــالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

[٨٧]وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة:٢٤]

فسياق هذه الآيات [1] الحديث عن قدرته ﷻ ، وإضافة (الأمر) إليه فيه تعظيم للمضاف (الأمر) ، يقول الرازي في تفسيره لقوله تعالى : (والفلك تجري في البحر بأمره) : " وإنما قال (بأمره) لأنه سبحانه لما كان المجري لها بالرياح نسب ذلك إلى أمره توسعاً لأن ذلك يفيد تعظيمه بأكثر مما يفيد لو أضافه إلى فعله بناء على عادة الملوك في مثل هذه اللفظة " [2] .

مجيئه مضافاً إلى غيره سبحانه :

جاء (الأمر) مضافاً إلى غيره ﷻ ليؤدي دلالات تفهم من السياق الذي وردت فيه . ففي

[١٨٧] قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٧] .

[1] : نظير هذه الآيات : (الروم : ٤٦) و (السجدة : ٢٤) , (سبأ : ١٢) , (س : ٨٢) و (غافر : ١٥) و (الشورى : ٥٢) و (الجاثية : ١٢) و (القمر : ٥٠) و (يوسف : ٢١) و (ابراهيم :٣]).

[2] : التفسير الكبير ٥٥/٢٣

أضيف (الأمر) إلى الضمير العائد على الربيين ، وذلك في سياق الإشارة إلى أن ما أصابهم من هزيمتهم في الحرب بسبب تقصيرهم في الاستعداد لها (١) ، يقول أبو السعود : " أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين براءة من التفريط في جنب الله تعالى هضماً لها واستقصاراً لهممهم وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم " (٢) .

وقد يكون الغرض من الإضافة التحقير ، وذلك إذا كان السياق الحديث عن العاصين أو المنافقين أو اليهود المتفرقين في دينهم أو فرعون ... الخ ، وكل من يدخل في صنفهم .

[٨٦] قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٩] .

[١٩٣]وقوله تعالى : ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [التوبة:٥٠].

٢٠٩ ــ وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس:٧١] .

[١١١]وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود:٩٧] .

٢١٠ ــ وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣) [يوسف:١٥] .

كما جاء (الأمر) مضافاً إلى ضمير موسى عليه السلام ، وذلك كما جاء في [١٤٤] قوله تعالى :(أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)[طه:٩٣] و [١٨٩] قوله تعالى : (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)[طه:٣٢] ولعل في إضافته

1: ينظر : التحرير والتنوير مج٢ ٤/١٢٠

2: تفسير أبي السعود ٢/٩٦

3: نظير هذه الآيات : (يوسف : ١٠٢) , (الكهف : ٢٨) و (طه : ٦٢) و (الأنبياء : ٩٣) و(المؤمنون : ٥٣) و(الشعراء : ١٥١) و(الحشر : ١٥) و (التغابن : ٥) .

له تعظيماً للأمر ، فالأمر يراد به الصلابة في الدين والمحاماة عليه [(١)] ، " وموسى عليه السلام كان رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة "[(٢)]. أما قوله سبحانه :

[١٥٦] : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف:٨٢] .

جاء (الأمر) مضافاً إلى (الخضر) ، وفي هذه الإضافة تشريف للخضر ، لأن الأمر لله سبحانه وتعالى لا للخضر ، يقول الرازي : " (وما فعلته عن أمري) يعني ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال عن أمري واجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ووحيه " [(٣)] ، وقد بيّن الشيخ ابن عاشور النكتة في هذه الإضافة حين قـال : " وإنما أوثر نفي كونه فعله عن أمر نفسه على أن يقول : وفعلته عن أمر ربي تكملة لكشف حيرة موسى وإنكاره " [(٤)] .

أمّاقوله تعـــــــالى :

[١٤٣] : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ص:٣٦] .

٢١١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنبياء:٨١] .

فأضيف (الأمر) إلى سليمان عليه السلام، وفي إضافته إلى الضمير العائد عليه عليه السلام دلالة على التعظيم ، يقول أبو السعود : " فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته " [(٥)] ، أمّا نقوله سبحانه :

١١٢ : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصّلت:١٢] .

1: ينظر: تفسير أبي السعود ٣٨/٦

2: ينظر: تفسير الكشاف ٤ /١٠٥

3: التفسير الكبير ١٣٨/٢١

4: التحرير والتنوير مج٧ ١٥/١٦

5: تفسير أبي السعود ٨٠/٦

فسياق الآية الحديث عن قدرته ﷻ على خلق السماوات في يومين ، وأضيف (الأمر) إلى الضمير العائد على السماوات للتعظيم ، يقول البغوي : " قال عطاء عن ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد ما لا يعلمه إلا الله " [1] .

[١٥٧]وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشُّورى:٣٨] .

جاءت هذه الآية في سياق مدح المؤمنين ، وقد أضيف (الأمر) إلى الضمير العائد عليهم ، يقول الرازي : " فقيل كان إذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم ، أي لا ينفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه " [2] ، وإضافة المصدر (أمر) إلى الضمير (هم) يدل على العموم للمبالغة ، حيث جعل الأمر مشاورة لا تشاور فيه ، يقول الشهاب : " والأمر متشاور فيه لا مشاورة إلا إذا قصد المبالغة وأورد عليه أن يقال من غير تأويل شأن الكرم فكأنه حمل الأمر على القضايا المتشاور فيها فاحتاج للتأويل ، وما قيل إن إضافة المصدر للعموم فلا يصح إلا بذلك ... " [3]

المبحث الثالث : أسرار الإفراد والجمع :

كلما أمعن المسلم التفكر في كتاب الله تجلت له أسرار عظيمة في استعمال الألفاظ ، ولطائف عجيبة ، فكل لفظ موضوع في محله الذي يليق به ويلائمه ، ومن تلك المواضع أسرار استعمال المفرد دون الجمع ، وتارة أخرى استعمال الجمع دون مفرده ، ولو حاولنا التغيير والتبديل لفسد التعبير وذهبت حلاوته وفاتت طلاوته [4] .

جاء في بدائع الفوائد : " اعلم أن الأصل في المعنى المفرد ، وأن يكون اللفظ الدال عليه مفرداً ، لأن اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذي حذوه ، والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولاً وقصراً وخفة وثقلاً ، وكثرة وقلة ، وحركة وسكوناً ، وشدة وليناً ، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه , وإن كان مركباً ركبوا لفظه " [5] .

1: تفسير البغوي ١٠٩/٣

2 : التفسير الكبير ١٥٢/٢٧

3 : حاشية الشهاب ٣٦٠/٨

4: ينظر صفاء الكلمة ١٢١

5: بدائع الفوائد ٨٦ للإمام ابن القيم الجوزية ١٤٢٤هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت

أسرار الإفراد :

بما أن المفرد هو الأصل ، فقد جاء (الأمر) مفرداً في كثير من المواضع ليؤدي دلالات وأغراضاً تفهم من السياق الذي ورد فيه ، فالأمر قد يأتي ويراد به العذاب ، هذا العذاب إما أن يكون في الدنيا وذلك مثل العذاب الذي حلَّ بالأقوام السابقة ، أو يوم القيامة ، يقول الرازي : " قوله (وقضي الأمر) يدل على أن أحوال يوم القيامة توجد دفعة دون توقف ، فإنه تعالى ليس لقضائه دافع ، ولا لحكمه مانع "([1])

ولذلك جاء الأمر مفرداً في قوله تعالى :

[٨٣] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

[٨٥] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨] .

[٩٩] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٢] .

[١٠٠] وقال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحجر:٦٦] .

كما جاء (الأمر) مفرداً في سياق الحديث عن الحرب والنصر ، وهي معان مفردة ، كما في قوله تعالى :

[١٨٢] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

---

[1] : التفسير الكبير ٥ / ١٨٥

[١٧٣] وقوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١] .

أمَّا في [١٦٠] قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:٤٧] .

[١٢٨] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم:٢١] .

[١٢٩] وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم:٣٥] .

جاء الأمر مفرداً لأنه في سياق الحديث عن خلق عيسى عليه السلام ، وهذا المعنى مفرد فاقتضى السياق إفراد الأمر ، والله أعلم .

٢١٣ قال تعالى : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١] .

جاء الأمر في سياق الحديث عن قصة صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام، ويراد بالأمر هنا تعبير الرؤيا ، وهذا المعنى مفرد ولذلك جاء الأمر مفرداً ، والله أعلم .

[١٧٧] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الزُّخرف:٧٩] .

جاء (الأمر) مفرداً لأنها في سياق الحديث عن مشركي مكة وكيدهم برسول الله ﷺ في دار الندوة ، وهو قتله ﷺ، يقول الرازي : " قال مقاتل : " نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة " [1] .

[١٩٧] وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف:١٨] .

[١٩٨] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف:٨٣] .

---

[1] : التفسير الكبير ١٩٥/٢٧

سياق الآيتين الحديث عن يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين ، وإفراد الأمر لأن ما فعله إخوة يوسف عليه السلام شيء مفرد منكر ، إما قتل أو تغريب أو بيع ، فما فعلوه شيء واحد لا عدة أشياء ، فاقتضى السياق إفراد الأمر ، يقول أبو السعود : " أمراً من الأمور لا يوصف ولا يعرف " [1] .

[١٢٧]وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد:٢]

جاء الأمر (مفرداً) إلا أنه معرف بـــ (أل) للاستغراق الحقيقي ، والسياق التعبير عن عظمة قدرتـــه سبحانه وتعالى فإنه لا يشغله أمر عن أمر ، " وفيه دليل عجيب على كمال القدرة والرحمة وذلك لأن هذا العـــالم المعلوم من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى أنواع وأجناس لا يحيط بها إلا الله تعالى ، والدليل المذكور دلّ على أن اختصاص كل واحد منهما بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس إلا مـــن الله تعـــالى ، ومن المعلوم أن كل من اشتغل بتدبير شيء فإنه لا يمكنه تدبير شيء آخر إلا الباري سبحانه وتعالى فإنه لا يـــشغله شأن عن شأن " [2] .

[١٥١]وقال تعـــالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الجاثية:١٧- ١٨] .

سياق الآيتين الحديث عن الدين ، والدين واحد ثابت بالدلائل والحجج ، وهو معنى (مفرد) فاقتضى السياق إفراد الأمر ، والله أعلم .

[١٧٠]وقوله تعـــالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد:٢٦]

جاء الأمر مفرداً لأنه في سياق الحديث عن مكيدة من مكائد المنافقين ، وهي القعود عن القتال ، و لم يظهروا الطاعة في جميع الأمور لأن فيه فضحاً لسرائرهم الخبيثة ، يقول الطاهر بن عاشـــور : " أي : نطيعكم في بعض الكفر ولا نطيعكم في جميع الشؤون لأن ذلك يفضح نفاقهم " [3] .

1: تفسير أبي السعود ٤/٢٦٠

2: التفسير الكبير ١٨/١٨٧

3 : التحرير والتنوير مج١٠ ٢٦/١١٧

أسرار الجمع :

كما استعمل الأمر (مفرداً) فقد استعمل جمعاً أيضاً ، ولكنه لم يرد جمعاً إلا في آيات قليلة ، وبالتأمل في تلك الآيات ألحظ أن (الأمر) فيها جاء معرفاً بـــ (أل) ، ومن دلالات (أل) العموم والاستغراق ، يقول السكاكي عن دلالات (أل) : " أو العموم والاستغراق كقوله عز وعلا (إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . [العصر : ٢]. وقوله : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) [المائدة:٣٨] وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)[طه:٦٩] " [1] .

[٨٣]قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

جاء الأمر مرتين الأولى مفرداً ، والثانية جمعاً ، ولو وضعنا أحدهما مكان الأخرى لفسد المعنى ، لأن المفرد (الأمر) يراد أمر الإهلاك والعذاب ، أما الجمع (الأمور) فيراد به جميع الأمور التي امتحن الله بهـا عباده في الدنيا، فإذا انقضى أمر هذه الدار ووصلنا إلى دار الثواب والعقاب كان الأمر كله لله وحده [2] ، يقول الشيخ ابن عاشور : " وقوله (وإلى الله ترجع الأمور) تذييل جامع لمعنى : وقضي الأمر" [3].

[١٠٤]وقوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٩] .

[١١٠]وقوله تعالى :﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحج:٧٦] .

[١١٣]وقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى:٥٣] .

[١١٨]وقوله تعالى : ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [الحديد:٥] .

جاء الأمر جمعاً ليعم كل أمر ، فكل الشؤون تعود إلى الله تعالى وترجع إليه ، لأنه سبحانه ابتدأها فيجب أن ترجع إليه [4] .

1: مفتاح العلوم ٨٩

2: ينظر: التفسير الكبير ١٨٦/٥ وروح المعاني مج ٢ ١٤٩/٢

3 : التحرير والتنوير مج١ ٢٨٧/٢

4: ينظر : تفسير أبي السعود ٧٠/٢ وروح المعاني مج١٥ ٢٧ / ٢٥٨

[٢٠١]وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال:٤٤] .

جاء الأمر في هذه الآية مرتين ،الأولى مفرداً (أمراً) والثانية جمعاً (أمور) ، الأول يراد به نصر المسلمين ، يقول أبو السعود : " المراد بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وحزبه " [1]، ومجيئه جمعاً في قوله :(وإلى الله ترجع الأمور) لأن الغرض منه التنبيه على أن أحوال الدنيا غير مقصودة لذاتها وإنما المراد منها ما يصلح أن يكون زاداً ليوم المعاد [2] ، والأمور يراد بها جميع الأشياء [3] .

[٢٠٢]وقوله تعالى : ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [التوبة:٤٨] .

وفي هذه الآية ــ أيضاً ــ جاء الأمر مرتين ، الأولى جمعاً ، والثانية مفرداً ومجيء الأولى جمعاً في سياق الحديث عن مكائد وحيل المنافقين وهي كثيرة ومتعددة ، يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية : " ودبروا لك الحيل والمكايد ، ودوروا الآراء في إبطال أمرك " [4] .

أما إفراد (الأمر) في قوله (وظهر أمر الله) لأن المراد به (الدين) ، ودين الله واحد ختم به الأديان ونسخها ، يقول الزمخشري : " (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه " [5].

[٢٠٠]وقوله تعالى : ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

[١٨٥]وقوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧] .

[١٩٠]وقوله تعالى :﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورى:٤٣] .

جاء الأمر في هذه الآيات جمع (الأمور) لأنها تجمع عدة أشياء ، يقول الشيخ الطاهر بن

---

1 : تفسير أبي السعود ٢٥/٤

2: ينظر: التفسير الكبير ١٣٦/١٥

3: ينظر: التحرير والتنوير مج١٠ ٢٨/٥

4 : الكشاف ٥١/٣

5: المرجع السابق.

عاشـــــور : " والأمر الشؤون والأحوال والحقائق وكل موجود من الذوات والمعاني "[1] .

فإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر وإخلاص الدين لله كلها أحوال ترجع له ﷻ فيثيب الإنسان عليها .

[١١٢] وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان : ٢٢] .

الأمر في سياق " الرد على الكفرة في زعمهم مرجعية آلهتهم لبعض الأمور " [2] ، وجاء جمعاً معرفاً بـــ (أل) الاستغراق ، " وهو تعميم يراد به أن أمور المسلمين التي هي من مشمولات عموم الأمور صائرة على الله وموكولة إليه فجزاؤهم بالخير مناسب لعظمة الله " [3] .

[١١٤] وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ [فاطر:٤] .

فسياق الآية وعيد المكذبين لرسول الله ﷺ ، وجاء (الأمر) جمعاً لأنه لا يراد به حال جماعة دون أخرى، إنما يراد به أحوال مختلفة وهي حال رسول الله ﷺ وحال المكذبين فيجازيهم الله على الصبر والتكـــذيب.

* * *   * * *   * * *

1: التحرير والتنوير مجـ١٠ ١٥٦/٢٥

2: حاشية الشهاب ٤٢٦/٧

3: التحرير والتنوير مجـ٨ ١٧٧/٢١

الفصل الرابع
الموازنة بين دلالات (الأمر) لغير الطلب

المبحث الأول : من حيث الكثرة و القلة .

المبحث الثاني : من حيث الافراد و الجمع .

المبحث الثالث : من حيث التعريف و التنكير .

المبحث الرابع : من حيث الحقيقة و المجاز .

الموازنة بين دلالات (الأَمْر) لغير الطلب

من خلال دراستي في الفصل السابق لصيغ مادة (أَمْر) الدالة على غير الطلب ، لحظت تنوع أحوال استعمالها ما بين الكثرة والقلة ، والتنكير والتعريف ، والإفراد والجمع ، والحقيقة والمجاز ، ولا شك أن هذا التنوع له أسرار بلاغية مرتبطة بالسياق الذي وردت فيه مادة (أمر) " فالقرآن الكريم يختار الصيغة الأنسب في حروفها ومعناها ودلالاتها الأنسب للجملة وللآية وللسياق ، ولا يمكن أن تحل صيغة محل صيغة أخرى ، لأن القرآن اختار الصيغة المناسبة لموضعها بتوازن دقيق " [1] .

المبحث الأول : من حيث الكثرة والقلة :

من خلال التأمل في السياق الذي وردت فيه (أَمْر) غير دالة على الطلب ألحظ أن استعمال (الأمر) تفاوت ما بين كثرة وقلة ، فجاء للدلالة على معان كثيرة دل عليها السياق ، فقد جاءت بمعنى العذاب في (٢٤) أربعة وعشرين موضعاً ، ومن ذلك [٨٣] قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٢١٠ ﴾ [البقرة:٢١٠].

سياق الآية الحديث عن المكذبين لرسول الله ﷺ وهو سياق تهديد ووعيد لهم ، والأمر يراد به الهلاك والعذاب .

كذلك [٨٨] قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ ﴾ [يونس:٢٤] .

أيضاً السياق هنا تهديد وتحذير للناس من الدنيا وعدم الاغترار بها والأمر هنا بمعنى العذاب .

و[٨٩] قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠ ﴾ [هود:٤٠] .

و[٩٢] قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٨ ﴾ [هود:٥٨] .

---

[1] : إعجاز القرآن البياني ٢٩١

و[٩٥] قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ [هود:٨٢]

سياق هذه الآيات الحديث عن الأقوام السابقة وتكذيبهم للرسل عليهم السلام، والأمر هنا بمعنى العذاب والهلاك.

كما جاء (الأمر) ويراد به الشأن مجرداً عن المعاني الأخرى في (٢٠) عشرين موضعاً ، وذلك مثل [٢٠٠] قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٩].

و[١١٠] قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحج:٧٦].

و[١١٢] قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان:٢٢].

و[١١٤] قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ [فاطر:٤] .

سياق هذه الآيات الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى وأن جميع الشؤون والأحوال ترد إليه وحده ، وفي هذا وعيد للمكذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم . والتعبير بالأمر دون الشأن لأن سياق الآيات الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى وإحاطة حكمة وتصرفه وتدبيره بالأول والآخر.

وفي[١٠٦] قوله سبحانه :﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود:٩٧] .

السياق الحديث عن فرعون وقومه . والأمر هنا يراد به الشأن والحال التي كان عليها فرعون ، وفي التعبير بالأمر دون الشأن تعريض بقوم فرعون في اتباعهم له .

وجاء (الأمر) بمعنى (القضاء) في (١٣) ثلاثة عشر موضعاً ، ومن ذلك[١٢٤] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣] .

جاء (الأمر) في سياق تقرير قدرة الله سبحانه وتعالى وتفرده بالألوهية ، و(الأمر) هنا يراد به القضاء فكل الأمور لا تخرج عن قضائه سبحانه وتعالى .

و[١٢٥] قوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١]

لسياق هنا الحديث عن قدرته ﷻ ــــ أيضاً ــــ . والمراد (بالأمر) (القضاء) ،وفي هذه الآية ردّ على المشركين وإثبات الألوهية له ، ﷻ .

وجاء الأمر بمعنى (الدين) في (١٠) عشرة مواضع ، ومن ذلك [١٤٨]قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٣] .

و[١٥٠] قوله تعالى :﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٣]

سياق الآيتين الحديث عن الاختلاف الذي وقع في اليهود والنصارى في دينهم ، فتفرقوا وصاروا فرقاً وأحزاباً ، والتعبير بالأمر دون الدين فيه تعريض بهم وأن الواجب عليهم الالتزام بالإسلام واتباع محمد ﷺ .

و[١٤٩] قوله تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحج:٦٧]

الخطاب هنا موجه للرسول الكريم ﷺ ، وسياق الآية الحديث عن الدين ، وفيه نهي للرسول ﷺ عن الالتفات لمن ينازع ويجادل في الدين .

كما جاء الأمر بمعنى القدرة في (١١) أحد عشر موضعاً، ومن ذلك [١٣٦] قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

لما ذكر ﷻحال الكفار وعباداتهم الباطلة احتج عليهم ﷻ بمقدوراته ومصنوعاته جل شأنه، ودلهم بذلك على أنه لا معبود سواه ، فقال مخاطباً بالخطاب العام (إن ربكم) للرد على إنكارهم انفراد الله بالربوبية [(١)] ، و(الأمر) هنا يراد به القدرة .

---

[1]: ينظر : روح المعاني مج٥ ١٩٧/٨ والتحرير والتنوير مج٨ ١٥٨/٤

و[١٣٧] قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود:٧٣] .

هذه الآية جاءت في الخطاب الموجه لسارة زوج إبراهيم عليه السلام وذلك في سياق إنكار تعجبها " لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة " [1] والأمر هنا بمعنى القدرة ، فهي تعجبت من قدرة الله بحسب العرف والعادة وهذا لا يدل على جهلها بقدرة الله سبحانه وتعالى [2] .

وجاء (الأمر) بمعنى (الرأي) في خمسة مواضع ، ومن ذلك [١٥٤] قوله تعالى : ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفال:٤٣]

سياق الأية الحديث عن (الحرب) ، ولأن موقف الحرب يكثر فيه اختلاف الآراء وتفرق الكلمة ، منَّ الله على رسوله والمؤمنين بتلك الرؤيا التي كانت من أسباب النصر.

و[١٥٥] قوله تعالى :﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل:٣٢] .

سياق الآية الحديث عن بلقيس عندما طلبت من قومها إبداء الآراء تجاه دعوة سليمان عليه السلام والأمر هنا بمعنى (الرأي) .

وجاء الأمر بمعنى الحكم في ثلاث آيات ، وذلك في[١٥٩] قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٥]،

سياق الآية الحديث عن آكلي الربا ، و(الأمر) هنا بمعنى الحكم ، فالله سبحانه وتعالى يجازي المنتهي عن أكل الربا على انتهائه ..

---

[1]: **الكشاف ٢١٧/٣**

[2]: ينظر : **التفسير الكبير ٣٣/١٨**

وجاء الأمر بمعنى (الوحي) في ثلاثة مواضع . من ذلك[١٦٤] قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٧٣] .

جاءت هذه الآية في سياق الامتنان على إبراهيم عليه السلام بعد أن نجاه من النار ووهب له إسحاق بعد كبر ، وهبة يعقوب ازدياد لإسحاق بن إبراهيم في حياة إبراهيم ورؤيته إياه كهلاً صالحاً وجعلهم هادين بأمر الله وهو الوحي زيادة على الجعل [١] .

و[١٦٦] قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطَّلاق:١٢] .

بعد الحديث عن أحكام الطلاق ، ذكر الوعيد الذي سيلحق من يخالف أحكامه وحدوده ، وفي هذه الآية إشارة إلى قدرة الله على كل شيء وإحاطة علمه بكل شيء ، و(الأمر) أي الوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى .

وجاء (الأمر) بمعنى (الحرب) في أربعة مواضع ، وذلك مثل [١٢٢]قوله تعالى :﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٨] .

سياق الآية الحديث عن غزوة أحد ، وما كان فيها من كسر رباعية الرسول ﷺ وشج وجهه حتى سال الدم عليه ، ولما كان السياق الحديث عن الحرب فإن (الأمر) هنا معناه (شأن الحرب) وما فيها من هزيمة ونصرة وتوبة وعذاب .

وجاء الأمر بمعنى القيامة في ثلاثة مواضع ــ أيضاً ــ ، ومن ذلك[١٧٤] قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النحل:١] .

السياق هنا تهديد للمشركين الذين كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم ، والمراد بـــ (أمر الله) فيه تهويل وتفخيم وأن تحققها منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب[٢] .

وجاء الأمر بمعنى (الكيد) في موضعين فقط ومن ذلك[١٧٦] قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يوسف:١٠٢] .

1: ينظر التحرير والتنوير مج٧ ١١٠/١٧

2: ينظر الكشاف ٤٢٢/٣ وروح المعاني مج٨ ١٣٣/١٤

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول الكريم ﷺ وفيها ردَّ على المشركين وتهكم بهم، فمحمد ﷺ ما طالع الكتب و لم يتلمذ لأحد ومجيئه بهذه القصة الطويلة دون غلط ولا تحريف فيه إعجاز [1] ، و(الأمر) يراد به (الكيد والمكر) ويقصد به ما فعله إخوة يوسف عليه السلام به وهو القاؤه في الجب .

وجاء الأمر بمعنى (الخلق) في موضعين . ومن ذلك [١٦٠]قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:٤٧].

جاءت هذه الآية في سياق تعجب مريم عندما بشرت بعيسى عليه السلام ؛ لأنها بشرت بأمر خارق للعادة وهو إنجاب الولد من غير أب ، و(الأمر) هنا يراد به خلق عيسى عليه السلام وهذا المعنى مستفاد من السياق .

كما وردت (أمر) بمعنى (الفعل) مرتين فقط ، ومن ذلك[١٧٨] قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة:٩٥] .

الآية هنا في سياق الحديث عن حكم من أحكام الإحرام ، والأمر يراد به (الفعل) وهو (قتل الصيد)، فمن هتك حرمة الإحرام سيذوق عاقبة هتكه لحرمة الإحرام .

كما جاء بمعنى القول مرتين . ومن ذلك [١٨٠] قوله تعالى : ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ [طه:٦٢] .

سياق الآية الحديث عن السحرة وما كان منهم من اختلاف في القول وتنازع فيه ، فكانوا يقولون : إن كان ساحراً غلبناه وإن كان من السماء فله أمر ، والأمر هنا بمعنى (القول) .

وجاء الأمر بمعنى (النصر) في آيتين فقط ، ومن ذلك [١٨٣]قوله سبحانه : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢] .

سياق الآية الحديث عن معركة بدر ، ويراد (بالأمر) هنا النصر ، يقول الزمخشري : " ليقضي الله أمراً كان مفعولاً من إعزاز دينه وإعلاء كلمته " [1] .

---

[1] : ينظر الكشاف ٣/ ٣٢٧ والتحرير والتنوير مج٦ ١٣/ ٦١

كما جاء الأمر ويراد به القرآن والصفات والكفر والإيمان والذنب والخبر والحذر والرزق ، وكل هذه المعاني لم ترد عليها (أمر) إلا مرة واحدة ، وقد تناولت هذه الآيات بشيء من التفصيل في مواضعها ، ولذا أتركها هنا تفادياً للإطالة .

كما أنه يلحظ بالتأمل في الآيات التي جاء (أمر) دالاً فيها على غير الطلب استعمال المعرفة أكثر من النكرة والمفرد أكثر من الجمع ، ولا شك أن هذا التفاوت في الاستعمال وراءه أسرار بلاغية يكشف عنها السياق وذلك في المباحث القادمة بإذن الله .

المبحث الثاني : من حيث الإفراد والجمع :

كلما أمعن الفكر في مادة (أمر) وتنوع استعمالها أجد أسراراً ولطائف عجيبة ، فكما أنه تنوع استعمالها كثرة وقلة ، وتعريفاً وتنكيراً ، وحقيقة ومجازاً، فإنه قد تنوع استعمالها ما بين إفراد وجمع ، ولا شك أن لهذا التنوع في الاستعمال أسراراً تتضح من خلال التأمل في سياق الآيات ، ففي [٨٣]قوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

و[٨٤]قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة:٥٢] .

و[٨٥] قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨] .

جاء الأمر مفرداً ، لأن المعنى وهو (العذاب) معنى مفرد مستفاد من السياق .

أما[١٨٢] قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

---

[1] : الكشاف ٥٨٥/٢

فسياق هذه الآية الحديث عن غزوة (أحد) وما كان فيها من أحداث ، وهذا المعنى مفرد ولذلك جاء (الأمر) مفرداً لا جمعاً ، إذ لو جاء جمعاً لما ناسب هذا السياق .

وفي [١٧٢] قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

جاء السياق الحديث عن الحرب ، فجاء الأمر (مفرداً) للدلالة على هذا المعنى ، ولأن المشاورة لا تكون في جميع أمور الدين إنما تكون في الحرب ، وذلك لغرض تطييب نفوس المسلمين .

وفي[١٩٧] قوله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف:١٨] .

و[١٩٨]قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف:٨٣] .

جاء (الأمر) مفرداً في سياق الحديث عن موقف يعقوب ﷺ عندما علم ما عمله أبناؤه بيوسف عليه السلام وأخيه بنيامين ، وما فعلوه بهم شيء واحد لا عدة أشياء ، فما عملوه إما أن يكون قتلاً أو بيعاً أو تغريباً ، ولذلك عبّر بالمفرد ليناسب هذا السياق .

أمّا [١٦٠] قوله سبحانه : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران:٤٧] .

و[١٢٨] قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم:٢١] .

و[١٢٩] قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم:٣٥] .

و[١٣٧]قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود:٧٣] .

جاء الأمر في هذه الآية مفرداً لأن السياق يقتضي ذلك، فالمراد (بالأمر) هنا خلق عيسى عليه السلام وخلق إسحاق عليه السلام، فالمعنى مفرد لذلك التعبير بالمفرد أبلغ من التعبير بالجمع،والله سبحانه أعلم .

أما [١٨٢]قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٤]

و[١٨٣]قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢]

سياق الآيتين الحديث عن الحرب ، والمراد بالأمر هنا (النصر) ، وهذا المعنى مفرد فناسب السياق استعمال المفرد دون الجمع ، والله أعلم .

وكما استعمل (الأمر) مفرداً فقد استعمل (جمعاً) ، إلا أنه لم يرد (جمعاً) إلا في مواضع قليلة ، وصلت إلى ثلاثة عشر موضعاً ، وبالتأمل في تلك المواضع ألحظ أن الأمر وقع في جملة تذييل بعد الحديث عن قدرته ﷻ وذلك في [٨٣] قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

و[٢٠٠] قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٩] .

و[٧٦]قوله تعالى :﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحج:٧٦] .

و[١١٣] قوله تعالى :﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشُّورى:٥٣] .

و[١١٨]قوله تعالى :﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [الحديد:٥] .

و[٢٠٠]قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال:٤٤] .

و[١٨٥]قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧] .

و[١٩٠]قوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورى:٤٣] .

و[١١٤] قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ [فاطر:٤] .

فبعد الحديث عن قدرته ﷻ ختم بهذه الجملة التي تدل على أن جميع الأمور ترجع إليه وحده لا إلى غيره ، ولا يليق بغيره ، فهو ﷻ يمهل الناس في الدنيا ، وهو يرجع الأمور إليه يوم القيامة ، فالأمور كثيرة متعددة لا مفردة ، ولذلك عبر عنها بصيغة الجمع وهي صالحة لأن تكون تذييلاً جارياً مجرى المثل [1] .

أما[٢٠٢] قوله سبحانه : ﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [التوبة:٤٨] .

فجاء الأمر مرتين في هذه الآية ، مرّة بالجمع ومرّة بالإفراد يكشف عن إعجاز القرآن في اختيار ألفاظه ، ففي هذه الآية جاءت (الأمور) جمعاً لأن المراد به مكائد المنافقين وحيلهم وهي كثيرة متعددة ، فلو جاء الأمر مفرداً لما أفاد المعنى ، بينما جاء الأمر (مفرداً) في المرّة الثانية ، لأن المراد به (الدين) ، ودين الله واحد لا ثاني له ، فدلت هذه الصيغة على هذا المعنى ، ولو وضعت إحداهما مكان الأخرى لفسد المعنى .

المبحث الثالث : من حيث التعريف والتنكير :

لما كانت كل كلمة في القرآن الكريم في موضعها ملائمة لسياقها، فقد كان استعمال المعرفة في مواضعها أبلغ من استعمال النكرة، حيث لو وضعت النكرة مكان المعرفة والمعرفة مكان النكرة لتغير المعنى ، فمثلاً في [٨٣] قوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

و[٨٥]قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨] .

---

[1]: ينظر التحرير والتنوير مج١١ ٣٦٦/٢٧

و [٨٩] قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود:٤٠] .

و[٩١] قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود:٤٤] .

و[٨٨] قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤] .

جاء (الأمر) معرفاً بـــ(أل) و(الإضافة) والتعريف هنا أبلغ من التنكير لأن سياق الآيات الحديث عن العذاب ، وهو متعين من السياق ، فالتعريف هنا أبلغ في التهديد والوعيد ، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور عن التعريف بـــ (أل) في مثل هذه المواضع : " أو للأمر المعهود للناس كلهم وهو الجزاء " [(١)] كما جاء (الأمر) معرفاً في سياق الحديث عن الحرب والنصر ، وهذه معانٍ متعينة في ذهن المخاطب ومعهودة له ، لذلك اقتضى السياق تعريف (الأمر) ، إذ لو جاء (الأمر) نكرة أفاد الإبهام وهذا لا يتناسب مع السياق ، وذلك مثل[١٢٢] قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٨]

و[١٧١]قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٢] .

و[١٨٢]قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا

---

[1]: التحرير والتنوير مج١ ٢/٢٨٧

قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

أما [١٢٤]قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١] .

و[١٢٧] قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد:٢] .

فالتعريف في هذه الآيات أبلغ من التنكير ، لأن (الأمر) في هذه الآيات يراد به أمر الكائنات التي ورد ذكرها في السياق ، فجاء (الأمر) معرفاً بـ (أل) ..

أما [١٤٩]قوله تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحج:٦٧] .

و[١٥١]قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية١٧ـ ١٨].

الواضح من السياق أن (الأمر) يراد به الدين ، ولذلك مجيء (الأمر) معرفة أبلغ من مجيئه نكرة لأنه سبقت الإشارة إليه فهو معلوم عند المخاطب ، وقد استفاد الأمر من التعريف التعظيم كما أشار إلى ذلك الشيخ بن عاشور [1] .

و[٩٠]في قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود:٤٣] .

---

[1]: ينظر : التحرير والتنوير مج١٠ ٣٤٦/٢٥

جاء الأمر معرفاً بالإضافة إلى لفظ الجلالة ﷻ والتعريف بالإضافة إليه ﷻ في هذا السياق أبلغ منه نكرة ، لأن السياق خطاب رأفة ورحمة من أب لابنه فأضاف الأمر إليه ﷻ لتذكير ابنه بالله وتعليق قلبه به .

أما[٩٤] قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود:٧٦] .

و[٩٧] قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [هود:١٠١]

و[١٠١]قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل:٣٣] .

سياق الآيات يدل على أن المراد بـ (الأمر) العذاب ، وقد جاء (الأمر) معرفاً بالإضافة إلى الرب ، والخطاب فيها موجه لإبراهيم ﷺ ومحمد ﷺ ، ولا شك أن التعريف أبلغ من التنكير لأنه السياق الحديث عن العذاب ، فهو متعين لدى السامع، ولعل في إضافة (الأمر) إلى الرب إفادة التعظيم والتهويل.

أما[١٧٧] قوله تعالى :﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الزُّخرف:٧٩] .

و[١١٦] قوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدُخان٤_٥] .

و[١٩٤] قوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الذاريات:٤] .

و[١٥٣]قوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ ﴾ [القمر:٣] .

سياق هذه الآيات يدل على أن التنكير أبلغ من التعريف لأن (الأمر) فيها غير معين ، فمكائد المنافقين ومكرهم متنوعة وكثيرة ، وما يفرقه الله في ليلة القدر غير معين ، إذ إنه سبحانه يفرق كل ما هو كائن في السنة والأرزاق التي تقسمها الملائكة غير معينة فهي كثيرة متنوعة ، كما أن جميع الأمور لابد أن تنتهي إلى غاية ، لذلك استعمل التنكير لأنه لا يراد به أمر معين ، والله سبحانه أعلم .

و[١١٩]في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ

مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطَّلاق:١] .

جاء (أمراً) نكرة لأنه غير معين ، فالأمر الذي سيحدثه الله مبهم إما أن يكون حباً أو كرهاً ، ولذلك كان التعبير بالنكرة أبلغ من التعريف بالمعرفة .

و[١١٧]قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [ق:٥]

التعبير بالنكرة (أمر) أبلغ من التعريف بالمعرفة ، لأن السياق الحديث عن الكفار المكذبين لرسول الله ﷺ، وبيان حالهم مضطرب غير معين ، فهم مرّة يقولون شاعر، ومرّة يقولون كاهن ومرة ثالثة مجنون ، فكان التعبير بالنكرة أبلغ ، والله سبحانه أعلم .

و[١٩٩]قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف:٦٩] .

جاء التعبير بالنكرة دون المعرفة لأن سياق الآية إظهار طاعة موسى عليه السلام للخضر ، وهي طاعة مطلقة غير معينة بشيء في سبيل طلب العلم ، ولذلك كان التعبير بالنكرة أبلغ ، والله أعلم .

* * *

المبحث الرابع : من حيث الحقيقة والمجاز :

كما تنوع استعمال (الأمر) ما بين تنكير وتعريف وإفراد وجمع ، فقد تنوع استعماله ــ أيضاً ــ ما بين حقيقة ومجاز ، ولا شك أن حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز .

فالأمر في [٨٣] قوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

قضاء الأمر (العذاب) من الله قضاء حقيقي ، وهو سبحانه الذي ترجع له الأمور ،

و[٢٠٠]قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩ ﴾ [آل عمران:١٠٩] .

و[١١٣]قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾ [الشُّورى:٥٣] .

و[٢٠١]قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤ ﴾ [الأنفال:٤٤] .

و[١١٤]قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤ ﴾ [فاطر:٤].

رجوع الأمور إلى الله رجوع حقيقي ، فهي ترجع له ﷻ لا إلى غيره ، يقول الآلوسي : " (وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى غيره ﷻ فيجازي ﷻ كلا منك ومنهم ما يليق به ، وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع به تعالى مع إبهام الجزاء ثواباً وعقاباً من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى " [1] .

وكذلك [١٠٧]قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣ ﴾ [هود:١٢٣] .

الخطاب في هذه الآية موجه لرسول الله ﷺ وأمر الرسول ﷺ وأمر المشركين ، ورجوع الأمر إليه ﷻ رجوع حقيقي ، " فمعنى إرجاع الأمر إليه : أن أمر التدبير والنصر والخذلان وغير ذلك يرجع إلى الله ، أي إلى علمه وقدرته وإن حسب الناس وهيأوا ، فطالما كانت الأمور حاصلة على خلاف ما استعد إليه المستعد ، وكثيراً ما اعتز العزيز بعزته ، فلقي الخذلان من حيث لا يرتقب ، وربما كان المستضعفون بمحل العزة والنصرة على أولي العزة والقوة " [2] .

---

[1] : روح المعاني مج١٢ ٢٤٧/٢٢

[2]: التحرير والتنوير مج٥ ١٩٥/١٢

و[١٢٦]قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف:٢١] .

جاء الأمر متعلقاً بالمسند إليه وهو (الله) ﷻ، والله غالب على الأمر حقيقة لا مجازاً ، و(أمره) فيها ضمير إما أن يكون عائداً إلى الله ﷻ ويكون المعنى أن الله يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ، ولا يُرد عليه حكم راد ، أو يكون الضمير عائداً على يوسف عليه السلام ، والمعنى أن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه [١] .

و[١٢٤]قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣] .

هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن قدرته ﷻ ، وجاء (الأمر) متعلقاً بالفعل (يدبر) ، وإسناد تدبير الأمر إلى الله إسناد حقيقي ، فهو سبحانه " يقضي ويقدر ويتصرف في ذلك على أكمل الوجوه " [٢] .

و[١٦٠]قوله تعالى:﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ل عمران:٤٧] .

و[٢٠١]قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال:٤٤] .

و[١٢٩]قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم:٣٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم:٣٩] .

سيق الآيات الحديث عن قدرته . ﷻ وجاء (الأمر) متعلقاً بالفعل (قضي) ، وقضاء الأمر منه ﷻقضاء حقيقي ، وفيه رد على النصارى الذين قالوا اتخذ الله ﷻ ولداً ، و" تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا

[1]: ينظر تفسير البغوي ٤١٧/٢

[2]: روح المعاني مج٨ ١٢٨/١٣

قضى أمراً من الأمور أن يعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير، فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد " [1] .

و[١٣٠]قولــــه تعــــالى : ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرُّوم:٤] .

أسند (الأمر) إلى الله وحده ﷻ ، وسياق الآية الحديث عن الفرس والروم ، وإثبات الأمر لله ﷻ على الحقيقة ؛ فــ" له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما إلا بقضائه " [2] .

أيضاً جاء الأمر مجازاً في عدة شواهد ، ومن ذلك[٢٠٠] قوله تعالى :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

و[١٩٠]قوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشُّورى:٤٣] .

و[١٧٣]قوله تعالى :﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١] .

[٧٠]وقوله تعــالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان : ١٧] .

في هذه الآيات مجاز ، وهو إما أن يكون مجازاً عقلياً ، حيث أسند (الأمر) إلى غير صاحبه لعلاقة السببية ، والأصل أن يسند إلى صاحب الأمر لا الأمر ، يقول الزمخشري : " والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر مجازياً " [3] .

وقد يكون المجاز لغوياً ، وهو مجاز مرسل علاقته المصدرية ، حيث أطلق المصدر وأريد المفعول ، والمعنى من الأمور المعزومة ، يقول الشهاب : " قوله (عزمه الله) أي قطعه وأوجبه ، والعزم بهذا المعنى يسند إليه تعالى ، ومنه ما ورد عزمة من عزمات الله وفي الحديث (لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل) أي يأتي بنية قاطعة ، وقوله ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل إذا كان بمعنى المفعول فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الأمور المعزومة ، وإذا كان بمعنى الفاعل فهو من الإسناد المجازي كمكر الليل " [4] .

---

1 : تفسير أبي السعود ٢٦٥/٥

2: تفسير البيضاوي ٣٧٣/٧

3: الكشاف ٥٢٥/٥

4 : حاشية الشهاب ٤٢١/٧

و[٢٠٢]قوله تعالى : ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [التوبة:٤٨]

سياق الآية الحديث عن المنافقين وتدبيرهم الحيل والمكايد في إبطال دين رسول الله ﷺ ، ولذلك عُبّر عن حالهم هذا بتقليب الأمر ، جاء في المفردات : " قلب الشيء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب وقلب الإنسان " [1] .

فقوله سبحانه : (قلبوا لك الأمور) مجاز لغوي حيث شبه الأمر بثوب يقلب من وجه إلى آخر بجامع التفتيش ، فالاستعارة مكنية ، يقول أبو السعود : " (وقلبوا لك الأمور) تقليب الأمر تصريفه من وجه إلى وجه وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة ، يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حوّل قلّب ، أي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ، ودوروا الآراء في إبطال أمرك " [2] ، ويقول الشهاب : " يعني الأمور المراد منها المكايد فتقليبها مجاز عن تدبيرها أو الآراء فتقليبها تفتيشها وإجالتها " [3] .

وفي (قلبوا) مجاز ، حيث شبه التفتيش والبحث بالتقليب بجامع الإحاطة بحال الشيء، فالاستعارة تصريحية ، وأيضاً فيه تعريض بحال هؤلاء المنافقين لمبالغتهم في البحث عن المكائد ، ويقول الطاهر بن عاشور : " ويجوز أن يكون (قلبوا) من قلب بمعنى فتش وبحث استعير التقليب للبحث والتفتيش لمشابهة التفتيش للتقليب في الإحاطة بحال الشيء كقوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ فيكون المعنى أنهم بحثوا وتجسسوا للإطلاع على شأن المسلمين وإخبار العدو به " [4] .

و[٨٩] قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود:٤٠] .

و[٩٢] قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [هود:٥٨] .

و[٩٣]قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود:٦٦] .

---

1 : المفردات ٥٩ (قلب) ..

2 : تفسير أبي السعود ٧٢/٤

3 : حاشية الشهاب ٥٧٨/٤

4 : التحرير والتنوير مج٥ ٢١٩/١٠

و[٩٤]قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود:٧٦] .

و[٩٦]قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود:٩٤] .

و[٩٧]قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ [هود:١٠١] .

و٢١٤ قوله تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد:١٤] .

هذه الآيات جاء (الأمر) فيها بمعنى (العذاب) ، والتعبير بلفظ (جاء) في سياق الحديث عن العذاب يدل على الصعـــوبة ، و " يرتبط بصعوبة المجيء استعمال الفعل (جاء) في المقامات والسياقات التي تشعر بمعنى القهر والإلجاء ، وتكون قوة الفعل راجعة ـــ في الحقيقة ـــ إلى فاعله الحقيقي لا الفاعل في صنعة الكلام " [(١)] .

وفي الآية استعارة مكنية ، حيث شبه (الأمر) بإنسان ، وحذف المشبه به وأتى بما يدل عليه وهو المجيء .

وقد يكون الأمر مفرد (أوامر) ، وعلى هذا المعنى يكون المجاز عقلياً ، حيث أسند المجيء إلى الأمر لعلاقة السببية ، فالأمر سبب للعذاب ، يقول الشهاب : " وقوله عذابنا على أن الأمر بمعنى الشأن واحد الأمور أو المأمور به ، والتفسير الآخر على أنه واحد الأوامر والإسناد على الثاني مجازي " [(٢)] .

و[٨٨]قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤]

و[١٠١]قوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل:٣٣]

---

[1]: الإتيان والمجيء ٦٥

[2]: حاشية الشهاب ١٨٤/٥

المراد بـــ (الأمر) في هاتين الآيتين (العذاب) إلا أنه استعمل فيه الفعل (أتى) دون (جاء) لأنه بالتأمل في سياقهما يلحظ أن الأولى سياقها الحديث عن الدنيا وما فيها من أحداث متنوعة " من أخــذ الأرض زخرفها وتزينها حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها، فتأتي لهم الأمر بالعذاب وتسهل إتيانه مصاحباً حالاً كانت مطمئنة رغداً ، وفيها من الغرابة التي يناسبها الفعل (أتى) "[1] ، أما الثانية فالخطاب فيها موجــه لرسول الله ﷺ ، والتعبير بـــ (الإتيان) لطف به ﷺ وإن كان عذاباً عليهم [2] .

وفي قوله : (أتاها أمرنا) و: (يأتي أمر ربك) استعارة مكنية حيث شبه الأمر بإنسان ، وحذف المشبه به وأتى بلازمه وهو (الإتيان) ، والله سبحانه أعلم .

وقــد يكون في (الإتيان) استعارة تبعية ، حيث شبه تحقق العذاب وحصوله بالإتيان ، يقول الشيخ بن عاشور : " وأمــر الله تقديره وتكوينه ، وإتيانه إصــابة تلــك الأرض بالحوائج المعجلة لهـــا بـــاليبس والفناء " [3] .

و[١٧٤]قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ ﴾ [النحل:١].

في التعبير بلفظ (أتى) ماضياً استعارة ، حيث شبه المستقبل بالماضي للدلالة على وجوب الوقوع ، فقد جعل العذاب : " بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه " [4] .

يقول الشهاب : " قوله(والمعنى أن الأمر الموعود به) يشير إلى أتى بمعنى يأتي على طريق الاستعارة بتشبيه المستقبل المحقق بالماضي في تحقق الوقوع ، والقرينة عليه قوله (فلا تستعجلوه) فإنه لو وقع ما استعجل[5].

و[١٤٨]قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ ﴾ [الأنبياء:٩٣] .

و[١٥٠]قوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾ [المؤمنون:٥٣].

الأمر في هاتين الآيتين يراد به (الدين) ، وفي (تقطعوا أمرهم بينهم) مجاز ، حيث شبه الدين بثوب كل واحد ينتزع منه قطعة ، فتمزق الثوب وتقطع قطعاً و لم يحصل أحد منهم بفائدة ترجع إليه ، فالاستعارة مكنية ، والغرض منها تقبيح فعلهم [6] .

1: الإتيان والمجيء ٣٦

2: ينظر تفسير أبي السعود ١١١/٥

3: التحرير والتنوير مج٥ ١٤٢/١١

4: الكشاف ٤٢٢/٣

5: حاشية الشهاب ٥٤٥/٥

6: ينظر الإبداع البياني ٢٠٤

يقول الزمخشري : " والمعنى : جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى ، ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم " [١] .

و[١٧٣]قوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١] .

قوله: (فإذا عزم الأمر) مجاز عقلي حيث أسند العزم إلى غير فاعله الحقيقي ، والأصل العزم لصاحب الأمر [٢] ، فالعلاقة مسببية ، فالأمر مسبب عن صاحب الأمر ، والله أعلم.

وقد يكون المجاز لغوياً حيث شبه (الأمر) بإنسان له عزم ، فالاستعارة مكنية ، يقول الرازي " ونسب العزم إلى الأمر ، والعزم لصاحب الأمر ، معناه : فإذا عزم صاحب الأمر ، هذا قول الزمخشري ، ويحتمل أن يقال هو مجاز كقولنا جاء الأمر " [٣] ـــ والله أعلم .

تم بحمد الله

الخاتمة

---

[1] : الكشاف ١٦٤/٤

[2] : ينظر : الكشاف ٥/ ٥٢٥

[3] : التفسير الكبير ٥٥/٢٨

الحمد لله أحمده وأشكره وأثني عليه فقد يسر لي ﷻ البحث في (صيغ مادة أمر ودلالاتها في النظم القرآني) ووقفت على أسرار استعمالها ، ولا أدعي أني أتيت على كل ما فيها من أسرار واستخرجت كل ما فيها من وجوه الإعجاز ، إلا أني بذلت جهدي في محاولة الوقوف على أكثرها ، ويعلم الله أن ما تجاوزته من بعض النكات التي كنت أعزم الوقوف عليها إنما كان خشية الإطالة ، ومع ذلك فقد ظهرت ببعض النتائج من هذا البحث تتلخص في التالي :

١) تنوع استعمال مادة (أمــر) مابين فعل ماض وأمر ومضارع ، ومصدر ،وتعريف وتنكير وحقيقة ومجاز جاء لأسرار بلاغية يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وأنه منزل من لدن حكيم خبير .

٢) مجيء الفعل (أمر) ماضياً في سياق الحديث عن العبادة والتشريع ، وهي أمور تقررت وثبتت في زمن مضى ، وذلك مثل قوله تعالى : (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) ، وقوله تعــالى (أمــر ألا تعبدوا إلا إياه) ..

٣) مجيء الفعل (أمر) ماضياً على صيغة ما لم يسم فاعله المأمور به هو العبادة والإيمان والاستقامة والآمر بهذه معلوم لدى المخاطب لا ينصرف الذهن إلا إليه .

٤) ألحظ أن التعبير بالفعل المضارع جاء كثيراً في سياق الحديث عن اليهود والمنافقين وصــفاتهم ، وهذه الصفات متأصلة في نفوسهم إلى وقتنا هذا ، وكذلك إذا كان السياق الحديث عن (إبلــيس) وما يصدر منه من وساوس مستمرة إلى أن يشاء الله .

٥) – لم يرد (أمر) الدال على الطــلب على صيغــة الجمع (أوامر) مطلقاً ، بينما ورد على صيغة الجمع غير دال على الطــلب (أمور) ، ولعــل الســبب في ذلك – والله أعلم – أن سياق الآيات التي ورد فيها (أمر) دالاً على الطلب كان السياق الأمر بالعبادة أو السجود أو القسط وهي معــان مفردة ، أو يكون السياق الحديث عن طائفة معينة مثل اليهود والمنافقين والمؤمنين ، أو يكون السياق الحديث عن قوم من الأقوام وأمر نبيهم لهم ... وكل هذه السياقات تقتضي إفراد الأمر لأن المعــنى المراد به مفرد .

وفي النهاية لي بعض التوصيات رأيت ضرورة تسجيلها هنا ، ومنها :

١- لحظت من خلال بحثي في موضوع { مادة (أمر) ودلالاتها في النظم القرآني} وجود بعض الآيــات المتشابهه ، وذلك مثل قوله تعالى : (وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [سورة الأنعام : ١٦٣] ، وقوله

تعالى : (وأمرت أن أكون من المسلمين) [سورة يونس :٧٢] وقوله تعالى : (الذين يبخلون ويـــأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عـــذاباً مهينـــاً) [النـــساء : ٣٧] ، وقوله تعالى : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) [سورة الحديد :٢٤] وغير هذه الشواهد ، شواهد أخرى كثيرة جديرة بالبحث والدراسة والكشف عـــن جوانـــب الاعجاز فيها .

٢- ضرورة تشجيع الباحثين والباحثات على البحث في أسرار كتابهم (القرآن الكريم) فكل مفـــردة في هذا الكتاب الكريم قادرة على القيام برسالة علمية كاملة وفي هذا خدمة لكتاب الله – العزيز – وتطبيق مسائل البلاغة على استعمال تلك المفردات لإبراز نواحي الإعجاز البلاغي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	الشاهد	الصفحة
سورة البقرة		
٢٧	١	١٩، ٥١، ١٣٥، ٣٤، ١٧٤ ١٣٦، ١٥٥، ٧٢
٤٤	٣٩	٧٣، ١٠١، ١٤٧، ١٦٢، ١٧١
٦٧	٣٢	٦٣، ١٤٤،١٠٢، ١٦١، ١٧٢
٦٨	٦٢	٩٧، ١١٠، ١٤٤، ١٦٢
٩٣	٤٠	٧٥، ١٠٢، ١٥٠، ١٦٦
١١٧	١٩٥	٢٧٥
١٦٩	٤١	٧٦، ١٠٣، ١٤٨، ١٦٧، ١٧١
٢١٠	٨٣	١٧٦، ١٨١، ٢٨٤، ٢٩٧، ٣٠٠ ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٧
٢٢٢	٢	٢١، ٦١، ١٣٧، ١٥٦
٢٦٨	٤٢	٧٧، ١٠٣، ١٤٨، ١٦٧، ١٧٢
٢٣٥	١٥٩	٢٤٣، ٣٠٧
سورة آل عمران		
٢٧	٤٣	٧٨، ١٠٣، ١٤٧، ١٦٣
٤٧	١٦٠	٢٤٥، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٩
٨٠	٣٥	٦٧، ١٠٤، ١٤٥، ١٦٢
١٠٤	٤٤	٧٩، ١٠٤، ١٤٥، ١٦٣
١٠٩	١٠٤	١٩٥، ٢٨١، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٨
١١٠	٤٥	٨٠، ١٠٥، ١٤٦، ١٦٣
١١٤	٤٦	٨٢، ١٠٥، ١٤٦، ١٦٣
١٢٨	١٢٢	٢١٠، ٢٨٤، ٣٠٨، ٣١٤
١٤٧	١٨٧	٢٦٨، ٢٩٤
١٥٢	١٧١	٢٥٤، ٢٨٦، ٣١٤
١٥٤	١٨٢	٢٦٣، ٢٩٨، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤
٥٤	١٣٦	٢٢٣، ٢٨٢، ٢٩٣، ٣٠٦
٧٧	١٤٦	٢٣١، ٢٩١
١٥٩	١٧٢	٢٥٥، ٢٨٧، ٣١١
١٦٠	٤٧	٢٧٦
١٨٦	٢٠٠	٢٨١، ٣٠٢، ٣٢٠
سورة النساء		
٣٧	٤٧	٨٣، ١٠٥، ١٤٧، ١٦٣
٤٧	١٢٣	٢١١، ٢٨٨
٥٨	٣٣	٦٤، ١٠٦، ١٤٥، ١٦١، ١٧٢
٥٩	١٠٥	١٩٦
٦٠	١٨	٣٧، ١٤١، ١٥٩
٨٣	١٩٢	٢٧١، ٢٧٤
١١٤	١٦	٣٣، ٥٨، ١٤٠، ١٥٨
١١٩	٤٨	٨٤، ١٠٦، ١١٠،١٤٨، ١٧٠،١٦٧
سورة المائدة		
٥٢	٨٤	١٧٧، ٢٧٦، ٣١٠
٩٥	١٧٨	٢٦٠، ٣٠٩
١١٧	٣	٢٢، ٥٢، ١٣٧، ١٥٦، ١٧١
سورة الأنعام		
٨	٥٨	١٧٨، ٢٨٤، ٢٩٧، ٣١٠، ٣١٤
١٤	١٩	٣٨، ٥٢، ٦٠، ١٤٢، ١٦٠، ١٧٣
١٧	٢٠	٣٩، ١٤١، ١٥٩
١٥٩	٨٦	١٧٨، ٢٩٤
١٦٨+ ١٦٣	٢١	٤١، ٥٣، ٦١، ١٤٢، ١٦٠، ١٧٣
سورة الأعراف		
١٢	٤	٢٣، ٥٣، ١٣٧، ١٥٦
٢٨	٥	٢٤، ١٠٧، ١٣٨، ١٥٧، ١٦٣
٢٩	٦	٢٥، ٥٤، ١٣٨، ١٥٧، ١٧٢
١١٤	١٦	٣٣
سورة هود		

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الشاهد	الصفحة
١١٠	٤٩	٨٥، ٩٢، ١٤٤، ١٦٨
١٤٥	٦٧	١١٥، ١١٩، ١٤٤، ١٦٨
١٥٧	٣٦	٦٩، ١٠٧، ١٦٢
١٩٩	٦٨	١١٦، ١١٩، ١٥١، ١٦٩
سورة الأنفال		
٤٢	١٨٨	٢٦٤، ٢٧٦، ٣٠٩، ٣١٢
٤٣	١٥٤	٢٣٨، ٢٨٧، ٣٠٧
٤٤	٢٠١	٢٨١، ٣٠١، ٣١٣، ٣١٨، ٣١٩
سورة التوبة		
٢٤	٨٧	١٧٩، ٢٩٣
٣١	٢٢	٤٢، ١٤٢، ١٦٠
٤٨	٢٠٢	٢٨١، ٢٨٩، ٣٠١، ٣١٣، ٣٢١
٥٠	١٩٣	٢٧٢، ٢٩٤
٦٧	٥٠	٨٦، ١٠٨، ١٤٧، ١٦٤
٧١	٥١	٨٧، ١١١، ١٤٦، ١٦٤
١٠٦	٢٠٥	٢٨٩
١١٢	٧٨	١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٥٢
سورة يونس		
٣	١٢٤	٢١٣، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣١٤، ٣١٩
٢٤	٨٨	٨١، ٣٠٤، ٣١٤، ٣٢٢
٣١	١٢٥	٢١٤، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣١٥
٧١	١٠٩	٢٩٤
٧٢	٢٣	٤٣، ٦٠، ١٤٢، ١٦٠، ١٧٣
١٠٤	٢٤	٤٤، ١٤٢، ١٦٠، ١٧٣
٨٣	١٩٨	٢٧٧، ٢٩٩، ٣١١
١٠٢	١٧٦	٢٥٨، ٣٠٩
سورة الرعد		
٢	١٢٧	٢١٦، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣١٥
١١	٩٨	١٩١، ٢٩٠
٢١	٨	٢٦، ١٣٧، ١٥٥، ١٧٢
٢٥	٩	٢٧، ٥٥، ١٣٧، ١٥٦
٣١	١٣٨	٢٢٥، ٢٨٣
٤٠	٨٩	١٨٢، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٢٠
٤٣	٩٠	١٨٤، ٢٨٩، ٣١٦
٤٤	٩١	١٨٤، ٣١٤
٥٨	٩٢	١٨٦، ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٢١
٥٩	٧١	١٢٠
٦٦	٩٣	١٨٧، ٣٢٢
٧٣	١٣٧	٢٢٤، ٢٩٠، ٣٠٧، ٣١١
٧٦	٩٤	١٨٨، ٢٩١، ٣١٦، ٣٢٢
٨٢	٩٥	١٨٩، ٢٩٣، ٣٠٥
٨٧	٥٢	٨٨، ١٠٨، ١٤٩، ١٦٨، ١٧١
٩٤	٩٦	١٩٠، ٣٢٢
٩٧	٧٢	١٢١، ١٩٧، ٣٠٥
١٠١	٩٧	١٩٠، ١٩١، ٣١٦، ٣٢٢
١١٢	٢٥	٤٦، ٥٩، ١٤٣، ٦٠، ١٧٣
١٢٣	١٠٧	١٩٧، ٢٨٣، ٣١٨
سورة يوسف		
١٥	٢١٠	٢٩٥
١٨	١٩٧	٢٧٧، ٢٩٩، ٣١١
٢١	١٢٦	٢١٥، ٣١٨
٣٢	٥٣	٨٩، ١٤٩، ١٦٤، ١٧١
٤٠	٧	٢٦، ٥٤، ١٣، ١٥٧
٤١	٢١٣	٢٩٨
٥٣	٧٩	١٢٧، ١٣٣، ١٥٣
٦٨	١٣	٣٠، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٢، ٥٤
سورة الإسراء		
١٦	١٠	٢٨، ٥٦، ١٣٢، ١٤٠، ١٥٣
٨٥	١٧٩	٢٦١، ٢٩١
سورة الكهف		
٢١	١٤٧	٢٣٣
٢٨	١٠٩	١٩٩
٥٠	١٨٤	٢٦٦
٦٩	١٩٩	٢٧٩، ٣١٦

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الشاهد	الصفحة
٣٦	٢٦	٤٦، ٥٥، ١٤٣، ١٦٠
سورة إبراهيم		
٢٢	٩٩	١٩٢، ٢٩٧
سورة الحجر		
٦٥	٦٣	٩٧، ١١١، ١٥٠، ١٦٦
٦٦	١٠٠	١٩٢، ٢٩٧
٩٤	٦٤	٩٨، ١١٢، ١٦٦
سور النحل		
١	١٧٤	٢٥٧، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣٢٣
٢	١٦٣	٢٤٧، ٢٩٣
١٢	١٣٩	٢٢٦، ٢٩٣
٣٣	١٠١	١٩٣، ٢٩١، ٣١٦، ٢٣٣
٥٠	٦٥	٩٩، ١١٢، ١٦٦
٧٦	٥٤	٩٠، ١٠٨، ١٤٦، ١٦٥
٧٧	١٠٨	١٩٨
٩٠	٣٤	٦٥، ١٠٩، ١٦١
سورة الحج		
٤١	١٧	٣٥، ٥٧، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٣، ٢٨١
٦٥	١٤٠	٢٧٧
٦٧	١٤٩	٢٣٤، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣١٥
٧٦	١١٠	٢٠٠، ٢٨١، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٢
سورة المؤمنون		
٢٧	١٠٢	١٩٤
٥٣	١٥٠	٢٣٥، ٣٠٦، ٣٢٣
سورة النور		
٢١	٥٥	٩١، ١١٢، ١٤٨، ١٦٧، ١٧٢
٥٣	١٤	٣١، ٦٠، ١٤٠، ١٥٨
٦٢	١١١	٢٠١

الآية	الشاهد	الصفحة
٧١	٨٠	١٢٨، ١٥٤
٨٢	١٥٦	٢٤١، ٢٩٥
سورة مريم		
٢١	١٢٨	٢١٧، ٢٧٤، ٢٩٨، ٣١١
٣٥	١٢٩	٢١٨، ٢٧٦، ٢٩٨، ٣١١، ٣١٩
٥٥	٣٧	٧١، ١٠٩، ١٤٨، ١٦٢
٦٤	٢٠٧	٢٩٢
٣٢	١٨٩	٢٦٩
٦٢	١٨٠	٢٦٢، ٣٠٩
٩٠	٧٥	١٢٤
٩٣	٧٦	١٢٤
١٣٢	٦٩	١١٧، ١١٩، ١٥١، ١٦٩
سورة الأنبياء		
٧٣	١٦٤	٢٤٧، ٣٠٨
٨١	٢١١	٢٩٥
٩٣	١٤٨	٢٣٣، ٣٠٦، ٣٢٣
٢٥	١٤١	٢٢٨
٤٦	١٤٢	٢٢٨
سورة لقمان		
١٧	١٨٥	١١٨، ١٢٠، ١٥٢، ١٧٠، ١٧٣ ٢٦٧، ٣٠٢، ٣١٣، ٣٢٠
٢٢	١١٢	٣٠٢، ٢٨٢، ٣٠٢، ٣٠٥
سورة السجدة		
٢٤	١٦٥	٢٤٨
سورة الأحزاب		
٣٧	١٣١	٢١٩، ٢٨٩
٣٨	١٣٢	٢٢٠
سورة سبأ		

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	الشاهد	الصفحة
سورة الفرقان		
٦٠	٣٨	٧٢، ١١٣، ١٤٩، ١٦٢
سورة الشعراء		
٣٥	٥٦	٩٢، ١١٣، ١٤٤، ١٦٨
١٥١	٧٣	١٢٢
سورة النمل		
٣٢	١٥٥	٢٤٠، ٣٠٧
٣٣	٥٧	٩٣، ١٤٤، ١٦٥
٩١	٢٧	٤٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٠، ١٧٣
سورة القصص		
٢٠	٨١	١٢٩، ١٣٣، ١٥٤
٤٤	٢٠٤	٢٨٥
سورة الروم		
٤	١٣٠	٢١٨، ٢٨٣، ٣٢٠
سورة غافر		
١٥	١٣٣	٢٢١
٤٤	١١٥	٢٠٦
٦٦	٢٩	٤٩، ٥٧، ١٤٢، ١٦٠، ١٧٣
٦٨	١٩٦	٢٧٥
٧٨	١٧٢	٢٥٧
سورة فصلت		
١٢	٧٤	١٢٣، ٢٩٦
سورة الشورى		
١٥	٣٠	٤٩، ١٤٣، ١٦٠، ١٧٣
٣٨	١٥٧	٢٤٢، ٢٩٦
٤٣	١٩٠	٢٧٠، ٢٨٢، ٣٠٢، ٣١٣، ٣٢٠
٥٢+ ٥٣	١١٣	٢٠٤، ٢٨٢، ٣٠١، ٣١٢
سورة الزخرف		
٧٩	١٧٧	٥٩، ٢٧٨، ٢٩٨، ٣١٦
سورة الدخان		
٤+٥	١١٦	٢٠٦، ٢٧٨، ٣٠٦
سورة الجاثية		
٣٣	٥٨	٩٤، ١٥٠، ١٦٥، ١٧١
سورة فاطر		
٤	١١٤	٢٠٥،٢٨٢، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١٣، ٣١٨
سورة يس		
٨٢	١٨١	٢٦٢
سورة الصافات		
١٠٢	٦٦	١٠٠، ١١٤، ١٥٠، ١٦٦
سورة ص		
٣٦	١٤٣	٢٢٩، ٢٩٥
سورة الزمر		
١١+١٢	٢٨	٤٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٠، ١٧٣
٦٤	٥٩	٩٥، ١٤٩، ١٦٥
سورة محمد		
٢١	١٧٣	٢٥٦، ٢٨٧، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٢٤
٢٦	١٧٠	٢٥٣، ٢٨٧، ٣٠٠
سورة الحجرات		
٧	١٥٨	٢٤٢، ٢٨٣
٩	٢٠٦	
سورة ق		
٥	١١٧	٢٠٧، ٣١٦
سورة الذاريات		
٤٤	١٥٢	٢٣٧، ٢٩١
٤	١٩٤	٢٧٣، ٢٧٩، ٣١٦
سورة الطور		
٣٢	٦٠	٩٥، ١١٤، ١٤٩، ١٦٩، ١٧١
سورة القمر		
٣	١٥٣	٢٣٧، ٢٧٩، ٣١٦
١٢	١٠٣	١٩٥، ٢٧٨
٥٠	١٩١	٢٧٠
سورة الحديد		

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	الشاهد	الصفحة
٤+٥	١١٦	٢٠٦، ٢٧٨، ٣٠٦
سورة الجاثية		
١٢	١٤٤	٢٣٠
١٧+ ١٨	١٥١	٢٣٦، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣١٥
سورة الأحقاف		
٢٥	١٤٥	٢٣١، ٢٩١
سورة الطلاق		
١	١١٩	٢٠٨، ٢٨٠، ٣١٦
٤	١٢٠	٢٠٩
٥	١٦١	١٦١، ٢٩٠
٦	٨٢	١٣١، ١٥٢، ١٥٥، ١٧٣
٨+٩	١٦٢	٢٤٦، ٢٥٢، ٢٩١
١٢	١٦٦	٢٥٠، ٢٨٦، ٣٠٨
سورة التحريم		
٦	١١	٢٩، ٥٨، ١٣٨، ١٤٥، ١٧٠
سورة النازعات		
٥	١٢١	٢٠٩، ٢٧٩
٥	١١٨	٢٠٨، ٢٨٢، ٣٠١، ٣١٢
٢٤	٦١	٩٦، ١٠٩، ١٤٧، ١٦٥
١٤	٢١٤	٣٢٢
سورة الحشر		
١٥	١٦٧	٢٥١
سورة التغابن		
٥	١٦٨	٢٥٢
سورة عبس		
٢٣	١٢	٣٠، ٦٠، ١٣٩، ١٥٧
سورة الانفطار		
١٩	٧٧	١٢٥
سورة العلق		
١٢	١٥	٣٢، ٥٨، ١٣٩، ١٥٨
سورة القدر		
٤	١٣٥	٢٢٢
سورة البينة		
٥	٣١	٥٠

الأحاديث الشريفة

الرقم	الأحاديث النبوية	رقم الصفحة
١-	" ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ..."	٦٤
٢-	" إن الله يرضى لكم ثلاثاًويكره لكم ثلاثاً..."	٦٥
٣-	" إني أرى مالاترون وأسمع مالاتسمعون ، أطت السماء وحُق لها أن تئط..."	٩٩
٤-	" ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ..."	٥٥
٥-	" كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ..."	٢٠٨
٦-	" لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول ..."	٤٩
٧-	" اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً....".	٢٢٧
٨-	" لو فعله لأخذته الملائكة .."	٣١
٩-	" يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه في النار..."	٧٤

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم .

٢) الإبداع البياني في القرآن العظيم ــ للشيخ محمد على الصابوني ط ١ ــ ١٤٢٦ هـــ المكتبة العصرية ــ بيروت .

٣) الإتقان في علوم القرآن ت للسيوطي ت : فواز أحمد زمـرلي ط ١ ــ ١٤١٤هـ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .

٤) الإتيان و المجيء فقه دلالتهما و استعمالهما في القرآن الكريم ــ د / محمود موسى حمدان ط ١ ــ١٤١٨هــ مكتبة وهبة ــ القاهرة .

٥) أسرار البلاغة ــ تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ــ علق عليه : محمود محمد شاكر ط١ – ١٤١٢هــ الناشر دار المدني – جدة .

٦) أسلوب القصر في محكم النظم ــ تأليف د/ هشام الديب ط١ /١٤١هــ دار الطباعة المحمدية ــ القاهرة .

٧) أساس البلاغة ــ تأليف الإمام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمـر الزمخشري ــ ط ١ / ١٤١٢هــ دار صادر ــ بيروت .

٨) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق ــ محمد نور الـدين المنجـد ط١ / ١٤١٩هــ ــ دار الفكر ــ دمشق .

٩) أضواء البيان ــ تأليف العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ــ إعداد الأستاذ – سيد محمد ساداتي الشنقيطي ط١ /١٤٢٦هــ دار الفيصلية ــ السعودية – دار الهدي النبوي ــ مصر .

١٠) الإعجاز البلاغي ــ دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ــ د/ محمد أبو موسى ط١ / ١٤٠٥هـــ - مكتبة وهبة ــ مصر .

١١) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم – دارسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة د – عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي /١٤٢٣هــ المكتبة العصرية – بيروت.

١٢) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربـاني – د / صـلاح عبـد الفتـاح الخالـدي ط٢ /١٤٢٥هــ - دار عمار – عمان .

١٣) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي / ١٤٢٤ هـ دار الكتاب العربي – بيروت .

١٤) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم - د / فتحي الدجيني ط١ /١٤٠٤هـ مكتبة الفلاح — الكويت .

١٥) الأفعال في القرآن الكريم ـ دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته . د / عبد الحميد مصطفى السيد ط١ /١٤٢٤هـ .

١٦) الإكسير في علم التفسير للفقيه العالم الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي ـ ت ـ عبد القادر حسين – مكتبة الآداب القاهرة .

١٧) الأمثال في القرآن – لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي – ت – إبراهيم محمد ط١ /١٤٠٦هـ مكتبة الصحابة ـ طنطا – مصر .

١٨) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع / تأليف الخطيب القزويني ط١/١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية – بيروت –

١٩) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم الجوزية /١٤٢٤هـ - دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٠) البرهان في توجيه متشابه القرآن – تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني – ت : عبد القادر أحمد عطا – ط١ / ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية – بيروت .

٢١) البرهان في علوم القرآن للإمام / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ – المكتبة العصرية – بيروت .

٢٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – تأليف/ مجمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي – المكتبة العلمية – بيروت .

٢٣) البلاغة العربية (علم المعاني) د / وليد قصاب ط١ /١٤١٩هـ - دار القلم – دبي .

٢٤) البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني) د/ فضل حسن عباس ط٧ / ١٤٢١هـ دار الفرقان ـ عمان .

٢٥) البلاغة القرآنية – دراسة في الصورة الفنية – د / محمد محمود القاسم ط ١ /١٤٢٦هـ - مكتبة الرشد – الرياض .

٢٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - د: فاضل صالح السامرائي ط٢ / ١٤٢٢هـ - دار عمار – عمان .

٢٧) التأويل اللغوي في القرآن الكريم – دارسة دلالية – د: حسين حامد الصالح ط١ / ١٤٢٦هـ - دار ابن حزم – بيروت .
٢٨) تأويل مشكل القرآن – تأليف – أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – علق عليه : إبراهيم شمس الدين – ط١ /١٤٢٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٩) التبيان في إعراب القرآن – لأبي البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري – ت - علي بن محمد البجاوي - دار النشر – عيسى البابي الحلبي و شركاه .
٣٠) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة - د / عيد سعد يونس - ط/ ١٤٢٧هـ - عالم الكتب .
٣١) التصوير الجمالي في القرآن الكريم ـ د :عيد سعد يونس ط١ ١٤٢٢هـ دار المعرفة ـ بيروت
٣٢) التعريفات – للجرجاني علي بن محمد بن علي / ١٤٢٣هـ - دار الكتاب العربي - بيروت
٣٣) تفسير ابن زمنين – لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن زمنين ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفي الكتر ط ١ / ١٤٢٣هـ - دار الفاروق الحديثة - مصر – القاهرة.
٣٤) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العماري ط٤ /١٤١٤هـ - دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٣٥) تفسير البحر المحيط ـ لمحمدبن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ط٢/ ١٤٠٣هـ دار الفكر ـ بيروت .
٣٦) تفسير البغوي المسمى معالم التتزيل ـ للإمام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ـ ت: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار ط٥ دار المعرفة ـ بيروت .
٣٧) تفسير التحرير و التنوير - تأليف سماحة الأستاذ / الإمام الشيخ بن الطاهر بن عاشور – دار سحنون للنشر و التوزيع - تونس .
٣٨) تفسير القرآن العظيم لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين ط ١ / ١٤٢٣هـ دار ابن الجوزي – السعودية .
٣٩) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي ط ٢ / ١٤٢٥هـ دار الكتب العلمية- بيروت .
٤٠) تفسير مجاهد – لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي ت /: عبد الرحمن السورتي – دار المنشورات العلمية – بيروت .

٤١) تفسير مقاتل – أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ت : أحمد فريد ط١ /١٤٢٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
٤٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التأويل) تأليف : أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – ت : يوسف على بديوي - د / محي الدين ديب مستو ط / ١٤٢٦هـ.
٤٣) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري - ت : محمد عوض مرعب ط ١ / ٢٠٠١ – دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٤٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تفسير السعدي - تأليف الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي / ١٤٢٧ هـ المكتبة العصرية - بيروت.
٤٥) الجملة العربية تأليفها و أقسامها – د: فاضل السامرائي ط١ / ١٤٢٢هـ دار الفكر للنشر والتوزيع ـ الأردن .
٤٦) جماليات المفردة القرآنية – د: أحمد ياسوف ط٢ / ١٤١٩هـ - دار المكتبي – بيروت .
٤٧) جامع البيان في تأويل آيات القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري / ١٤٠٥هـ - دار الفكر - بيروت .
٤٨) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت: كمال يوسف الحوت ، دار الباز ، مكة المكرمة .
٤٩) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت: عبد الحميد هنداوي ط١/ ١٤٢٥هـ - المكتبة العصرية - بيروت
٥٠) الجامع لمسائل أصول الفقه – د : عد الكريم النملة ط٦/١٤٢٤هـ - مكتبة الرشد – الرياض
٥١) الجدول في إعراب القرآن
٥٢) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي و كفاية الراضي للقاضي / شهاب الدين أحمد محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي ، ضبطه و خرج آياته و أحاديثه / الشيخ عبد الرزاق المهدي ط١ /١٤١٧هـ - دار الكتب العلمية – بيروت .
٥٣) حاشية محي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي – ضبطه و صححه و خرج آياته / محمد عبد القادر شاهين ط١ / ١٤١٩هـ - دار الكتب العلمية – بيروت .
٥٤) خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية – د / عبد العظيم المطعني ط١/ ١٤١٣هـ - مكتبة وهبه – مصر .

٥٥) الخطاب النفسي في القرآن الكريم – دارسة دلالية أسلوبية – د : كريم حسين ناصح الخالدي – ط١ / ١٤٢٨هـ – دار صفاء للنشر و التوزيع .
٥٦) خواطر قرآنية، نظرت في أهداف سور القرآن – عمرو خالد – ط١ / ١٤٢٥هـ – الدار العربية للعلوم – بيروت .
٥٧) درة التنزيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز للشيخ الإمام أبي عبد الله الخطيب الإسكافي ، اعتنى به الشيخ / خليل مأمون شيحا – ط ١ / ١٤٢٢هـ – دار المعرفة – بيروت .
٥٨) دلائل الإعجاز – تأليف- الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني – قراه و علق عليه : محمود محمد شاكر ط٥/١٤٢٤هـ – مكتبة الخانجي – القاهرة .
٥٩) دلالات التراكيب – دارسة بلاغية – د: محمد أبو موسى ط٣/ ١٤٢٥هـ مكتبة وهبة – مصر .
٦٠) رسائل في العقيدة – تأليف الشيخ : محمد بن صالح العثيمين ط٣/ ١٤٠٨هـ – دار عالم الكتب – الرياض .
٦١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني قرأه و صححه : محمد حسين العرب – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت .
٦٢) روائع البيان – تفسير آيات الأحكام من القرآن – محمد علي الصابوني / ١٤٢٧ هـ – المكتبة العصرية – بيروت .
٦٣) الزمن في القرآن الكريم – د: بكري عبد الكريم ط٣ /٢٠٠١ – دار الفجر للنشر و التوزيع – القاهرة .
٦٤) زاد المسير في علم التفسير : تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط ١ / ١٤٢٣ هـ دار حزم- بيروت .
٦٥) سورة النور دارسة و تحليل – د: إسماعيل السامرائي ط١ / ١٤٢٣هـ – دار عمار – عمان .
٦٦) صحيح البخاري – ط١/ ١٤١٩هـ – مكتبة دار السلام – الرياض .
٦٧) صحيح مسلم بشرح النووي ط٤ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لندن .
٦٨) صفاء الكلمة – د: عبد الفتاح لاشين – ١٤٠٣هـ – دار المريخ للنشر – الرياض .
٦٩) صورة الأمر و النهي في الذكر الحكيم – تأليف الدكتور : محمود توفيق محمد سعد ط١/١٤١٣هـ مطبعة الأمانة – مصر .

٧٠) الطراز لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز للإمام يحى بن حمـــزة العلوي ت: د: عبد الحميد هنداوي – ط١ / ١٤٢٣هـــ - المكتبة العصرية – بيروت .
٧١) عجائب القرآن للإمام : فخر الدين الرازي – ت: عرفان بن سليم العشاحسونه الدمـــشقي – ١٤٢٧هـــ - المكتبة العصرية – بيروت .
٧٢) علم الدلالة – د: أحمد مختار عمر - ط٥ / ١٩٩٨ ـــ عالم الكتب .
٧٣) علم المعاني بين بلاغة القدامى و أسلوبية المحدثين - د : طالب محمد الزوبعي - ط١ /١٩٩٧ – منشورات جامعة فاريونس - بنغازي .
٧٤) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د/ بسيوني فيود ط١/ ١٤١٩هـــ ، دار المعالم الثقافية ، الأحساء .
٧٥) العلاقات والقرائن في التعبير البياني ، د / محمود موسى حمدان ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
٧٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير – تأليف : محمد بن علي الشوكاني – ١٤٠٣ هـــ - دار الفكر – لبنان .
٧٧) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري – ط٥ /١٤٠٣هـــ ت: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة – بيروت .
٧٨) الفعل في سورة البقرة – د : فتح الله أحمد سليمان ط١ / ١٤١٨ هـــ - مكتبة الآداب .
٧٩) في التذوق الجمالي لسورة الكهف – دارسة نقدية إبداعية – د: محمد علي أبـــو حمـــدة ط١ /١٤٢٢هـــ . دار عمار - عمان .
٨٠) فيض المنان في لطائف القرآن – أبو عبد الرحمن بن إبراهيم القرش ط١ / ١٤٢٦ هـــ الـــدار العلمية للنشر و التوزيع – مصر .
٨١) في ظلال القرآن - سيد قطب ط/١١/ ١٤٠٥هـــ دار الشروق – بيروت – القاهرة –
٨٢) قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية - د : عبد العال سالم مكـــرم ط١ / ١٤٠٨هـــــ مؤسسة الرسالة – بيروت .
٨٣) الكتاب لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ت : عبد السلام محمد هـــارون - ط١ - دار الجيل - بيروت .
٨٤) كتاب الأفعال – لأبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي ت / د . حسين محمد محمد شرف – و مراجعة د. محمد مهدي علام - ط٣ / ١٤٢٣هـــ - مطابع مؤسسة دار الشعب - مـــصر - القاهرة .

٨٥) كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر لأبي هلال العسكري ت: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم / ١٤١٩هـ المكتبة العصرية – بيروت .
٨٦) كشف المشكلات و إيضاح المعضلات في إعراب القرآن و علل القراءات لنور الدين أبي الحسن علي بن الحسن الباقولي ت: عبد القادر عبد الرحمن السعدي / ١٤٢١ هـ دار عمار – عمان .
٨٧) الكشاف عن حقائق غوامض التتريل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة / جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري – ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ط١ / ١٤١٨ هـ مكتبة العبيكان – الرياض .
٨٨) الكاشف عن المحصول في علم الأصول للأصفهاني – ط١ / ١٤١٩هـ - دار الكتب العلمية – بيروت .
٨٩) لباب النقول في أسباب الترول ـ تأليف جلال الدين السيوطي مكتبة إسلامية .
٩٠) لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور – اعتنى بها : أمين محمد عبد الوهاب و محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي - ط ٣ /١٤١٩هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٩١) المبنى و المعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم - عبد المجيد ياسين عبد المجيد – ط١ / ١٤٢٦ هـ - دار ابن حزم ـ بيروت .
٩٢) المثل السائر لابن الأثير - ت:د. أحمد الحوفي و د . بدوي طبانة ط٢ / ١٤٠٤ه ـ - دار الرفاعي - الرياض .
٩٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ط ١ / ١٤٢٣ هـ - دار ابن حزم – بيروت .
٩٤) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / ١٩٨٩ – مكتبة لبنان
٩٥) المدهش لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي - ت: حامد أحمد الطاهر حامد البسيوني / ١٤٢٥هـ - دار الحديث – القاهرة .
٩٦) المصطفى في أصول الفقه : أحمد محمد الوزير – ٢٠٢ – دار الفكر – دمشق .
٩٧) معاني الحروف للإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني – ت: الشيخ عرفان حسونة الدمشقي – ط١ /١٤٢٦هـ - المكتبة العصرية – بيروت
٩٨) معاني القرآن للنحاس ت: محمد علي الصابوني ط ١ / ١٤٠٩هـ دار النشر - جامعة أم القرى – مكة المكرمة .
٩٩) معجم البلاغة العربية - د. بدوي طبانة - ط٤ /١٤١٨هـ - دار ابن حزم – بيروت .

١٠٠) معجم مفردات ألفاظ القران – تأليف : العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني - ضبطه و صححه : إبراهيم شمس الدين /١٤٢٥هـ - دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠١)المغني في تصريف الأفعال – د. عبد الخالق عظيمة /١٤٢٦هـ - دار الحديث - القاهرة .

١٠٢)مفتاح العلوم – تأليف : أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ط١٣٥٦/١هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ـ مصر .

١٠٣) المفصل في علم اللغة ٢٤٣ ، تصنيف : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ت: د. فخر صالح قدارة ، ط ١ / ١٤٢٥ هـ ، دار عمار ،عمان .

١٠٤)المقابلة في القرآن الكريم - د. بن عيسى بالطاهر - ط١٤٢/١هـ دار عمار - عمان .

١٠٥) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت: عبد السلام محمد هارون ، ط١/ ١٤١١ هـ دار الجيل ، بيروت .

١٠٦)ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التتريل – للإمام الحافظ العلامة – أحمد بن إبراهيم الغرناطي – ت: سعيد الفلاح ط١ / ١٤٠٣هـ - دار الغرب الإسلامي – بيروت .

١٠٧)من بلاغة القرآن – د. أحمد بدوي / ٢٠٠٥ – نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع – مصر .

١٠٨)ما اتفق لفظه و اختلف معناه – لأبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الشجري - ت: أحمد حسن بسج ط١٤١٧/١هـ - دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠٩)النحو القرآني قواعد و شواهد – د. جميل أحمد ظفر – ط٢ /١٤٢٨هـ - مكة المكرمة .

١١٠)نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر – تأليف : الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن على الجوزي – وضع حواشيه : خليل منصور – ط١ /١٤٢١هـ - دار الكتب العلمية – بيروت .

١١١)نظرات في سورة الحجرات – تأليف : محمد محمود الصواف ط ٢/ ١٣٩٧ مؤسسة الرسالة – بيروت .

١١٢)نظرات لغوية في القرآن الكريم : د. صالح بن حسين العايد - ط٣ / ١٤٢٥هـ - دار كنوز اشبيليا – الرياض .

١١٣)النظم القرآني في سورة الرعد - د . محمد بن سعد الدبل – عالم الكتب .

١١٤)نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز للرازي - ت: إبراهيم السامرائي و محمد بركات أبو علي / ١٩٨٥ – دار الفكر – عمان .
١١٥)الوجوه و النظائر لألفاظ كتاب الله العزيز – تأليف الإمام الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني - ت: عربي عبد الحميد علي ط / ١٤٢٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
١١٦) الوصف المشتق دراسة صرفية ، د/ عبدالله بن حمد الدايل ط١/ ١٤١٧هـ مكتبة التوبة ، الرياض .

* * * * * * * * *

المحتويات

المقدمة ٢
التمهيد ٨
المعنى اللغوي للمادة ٩
قيمة السياق في تحديد الدلالة البلاغية ١٠
تنوع صيغ (أمر) بين الدلالة على طلب الفعل وعدم الدلالة عليه ١٤
حصر مواضعها إجمالاً ١٦
الفصل الأول :صيغ مادة (أمر) دالة على الطلب ١٨
المبحث الأول : صيغة الماضي ١٩
مجيئه مسنداً إلى الله تعالى ١٩
مجيئه مسنداً إلى الرسل عليهم السلام ٣٠
مجيئه مسنداً إلى غير الرسل عليهم السلام ٣٣
مجيئه لما لم يسم فاعله ٣٧
أحوال متعلقاته ٥١
المبحث الثاني : صيغة المضارع ٦٣
مجيئه مسنداً إلى الله تعالى ٦٣
مجيئه مسنداً إلى الرسل عليهم السلام ٦٧
مجيئه مسنداً إلى غير الرسل عليهم السلام ٧٣
مجيئه لما لم يسم فاعله ٩٧
أحوال متعلقاته ١٠١
المبحث الثالث : صيغة الأمر (مُر و أْمُر) ١١٥
مجيء المسند إليه مفرداً ١١٥
أحوال متعلقاته ١١٧
مجيء الأمر مصدراً ١٢٠

المبحث الرابع : صيغ أخرى (قليلة) ١٢٦
صيغة (آمر) ١٢٦
صيغة (أمارة) ١٢٧
صيغة (إمرا) ١٢٨
صيغة (يأتمرون) ١٢٩
صيغة (وأتمروا) ١٣١
صيغة (أمّرنا) و (آمرنا) ١٣٣
أحوال متعلقاته ١٣٣
شواهد ذكر المتعلقات ١٣٣
شواهد حذف المتعلقات ١٣٤
الفصل الثاني : الموازنة بين صيغ مادة (أمر) الدالة على الطلب ١٣٥
المبحث الأول : من حيث الكثرة والقلة ١٣٦
أولا : صيغة الماضي ١٣٦
ثانياً : صيغة المضارع ١٤٣
ثالثاً : صيغة الأمر ١٥١
رابعاً : صيغ أخرى (قليلة) ١٥٢
المبحث الثاني : من حيث الإسناد الحقيقي والمجازي ١٥٥
أولاً: صيغة الماضي ١٥٥
ثانياً : صيغة المضارع ١٦١
ثالثاً : صيغة الأمر ١٦٩
المبحث الثالث : من حيث المتعلقات ١٧٠

الفصل الثالث : صيغة (أمر) لغير الطلب ١٧٤
المبحث الأول : تنوع الدلالة ١٧٥
الأمر بمعنى العذاب ١٧٦
الأمر بمعنى القدرة ٢٢٣

الأمر بمعنى الدين ٢٣١
الأمر بمعنى الرأي ٢٣٨
الأمر بمعنى الحكم ٢٤٣
الأمر بمعنى الوحي ٢٤٧
الأمر بمعنى الكفر ٢٥١
الأمر بمعنى الحرب ٢٥٤
الأمر بمعنى القيامة ٢٥٧
الأمر بمعنى الكيد ٢٥٨
الأمر بمعنى الفعل ٢٦٠
الأمر بمعنى القول ٢٦٢
الأمر بمعنى النصر ٢٦٣
الأمر بمعنى الطاعة ٢٦٦
الأمر بمعنى الإيمان ٢٦٧
الأمر بمعنى الذنب ٢٦٨
الأمر بمعنى النبوة ٢٦٩
الأمر بمعنى الصفات ٢٧٠
الأمر بمعنى الخلق ٢٧٠
الأمربمعنى الخبر ٢٧١
الأمر بمعنى الحذر ٢٧٢
الأمر بمعنى الرزق ٢٧٣

المبحث الثاني :أسرار التنكير والتعريف ٢٧٤
أسرار التنكير ٢٧٤
أسرار التعريف ٢٨٠
المبحث الثالث : أسرار الإفراد والجمع ٢٩٦
أسرار الإفراد ٢٩٧

أسرار الجمع ٣٠٠

الفصل الرابع : الموازنة بين دلالات (الأمر) لغير الطلب ٣٠٣

المبحث الأول : من حيث الكثرةوالقلة ٣٠٤

المبحث الثاني : من حيث الافراد والجمع ٣١٠

المبحث الثالث : من حيث التعريف والتنكير ٣١٣

المبحث الرابع : من حيث الحقيقة والمجاز ٣١٨

الخاتمة ٢٣٥

فهرس الآيات القرآنية ٢٣٧

فهرس الأحاديث الشريفة ٣٣٣

ثبت المصادر والمراجع ٣٣٤

ملخص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فقد نزل القرآن الكريم في أمة بلغت من الفصاحة والبلاغة مبلغاً عظيما ، وتحداهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة فبان عجزهم واتضح للعيان قهرهم .

وإن من ظواهر دقة نظم القرآن الكريم الإتيان بالكلمة ملائمة لسياقها غير قلقة في موضعها ، فكانت كل مفردة في موضع محدد ومعنى معين ، بحيث لاتقوم مفردة مقام مفردة أخرى .

ومن تلك المفردات مادة (أمر) فقد ترددت في القرآن الكريم كثيراً بمختلف الصيغ مابين فعل ماض ومضارع وأمر ومصدر ومعرفة ونكرة ومفرد وجمع ، وورودها بصيغة المبالغة في قوله تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء [يوسف: ٥٣] ، و ورودها بصيغة تفرد بها القرآن فكانت من فرائد أسلوبه ، وذلك في قوله تعالى : (قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا) [الكهف: ٧١].

وغاية هذه الدراسة تبيان مواضع هذه المادة ، وتدبر دلالاتها في سياقها والكشف عن أسرار استعمالها ، وبيان الإعجاز القرآني بذكر بعض المسائل البلاغية المتصلة بالآيات التي وردت فيها .

وقد قامت خطة هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول ذات مباحث ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي وصلت إليها هذه الدراسة ، ومنها :

١ـ التعبير بالماضي (أمر) جاء في سياق الحديث عن أمور تقررت و ثبتت في زمن مضى ، بينما المضارع جاء في سياق الحديث عن اليهود والمنافقين وصفاتهم المتأصلة في نفوسهم إلى وقتنا هذا .

٢ـ لم يرد (أمر) الدال على الطلب على صيغة الجمع(أوامر) مطلقاً ، بينما ورد على صيغة الجمع غير دال على الطلب (أمور) .

ومن خلال بحثي في هذا الموضوع أرى ضرورة تشجيع الباحثين والباحثات على البحث في أسرار القرآن الكريم ، فكل مفردة فيه قادرة على القيام برسالة علمية كاملة ، وفي هذا خدمة لكتاب الله العزيز ، وتطبيق المسائل البلاغية على تلك المفردات لإبراز جوانب الاعجاز البلاغي .

والحمد لله رب العالمين

Abstract

Praise be to Allah & peace be upon Prophet Mohammed, and his family and the companions all.

Allah has revealed the Holy Quran in eloquent notion, and Allah challenged them to bring as the shortest "Sura" in the Holy Quran, but they failed and appeared they are unable to do like that.

Among the phenomena of the Holy Quran composition is that, Allah has brought the suitable word in proper and exact context, so that each word came in particular place and definite meaning, where no word could place another word.

Among these words, the word of "Amar أمر ", as it comes in the Holy Quran in different forms and different meaning, it comes in past, present and imperative tenses, infinitive, definite noun, indefinite noun, single and plural, also it comes in hyperbole form as in the saying of Allah (إن النفس لأمارة بالسوء) " Yousuf: 53", also it comes in unique form only for the Holy Quran as in saying of Allah (قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا) "Alkahf: 71". The purpose of this study is to explain the objects of this word, to imagine its meanings in context, to expose the secrets of its use, and to explain the Holy Quran inimitability by showing some rhetorical signs related to the verses involved.

The plan of research depends on Introduction, Preface, Four Chapters including Acts, then Conclusion including the main results and recommendations, such as:

1. Expressing of past tense for the word "Amar أمر " comes in the context for maters verified and proved in past time, while the present tense comes in the context of narrating Jews and hypocrites and their deep characteristics.
2. The word "Amar أمر " indicating to the request doesn't come in plural from (orders أوامر) absolutely, while comes in plural form not indicating to the request (matters أمور).

Through my search in this subject, I see that, it is necessary to encourage researchers (both males and females) to search in the secrets of the Holy Quran, as each word of the Holy Quran could be full thesis, and by doing this, we could serve the Holy Quran and apply the rhetorical issues on these unique words to show the inimitability.